

Friends, Lovers, and the Big Terrible Thing

ماثيو بييري

ترجمة: مريم عاشور
مذكرات

أصدقاء وعشاق
والشئىء الرهيب

لغة للنشر والتوزيع

أصدقاء وعشاق
والشيء الرهيب

أصدقاء وعشاق

والشيء الرهيب

مذكرات

ماثيو بيري

ترجمة: مريم عاشور

تحرير ومراجعة الترجمة: إيزيس عاشور

الطبعة الأولى أكتوبر 2023

لغة
النشر والتوزيع

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

القاهرة - مصر

FRIENDS, LOVERS, AND THE BIG TERRIBLE THING

.Text Copyright © 2022 by Matthew Perry Published by arrangement with Flatiron Books. All rights reserved

رقم الإيداع: 2023 / 17785

ISBN: 9789778674231

Cover Photo Copyright © Nigel Parry جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن رأي المؤلف

ولا تعبر بالضرورة عن رأي وتوجه دار النشر.

أصدقاء وعشاق
والشيء الرهيب

مذكرات
ماثيو بيري
تقديم
ليزا كودرو
ترجمة
مريم عاشور

إلى كل الذين عانوا..
تعرفون أنفسكم

«أفضل طريق للنجاة دومًا يأتي من داخلك».
- روبرت فروست

«فقط كن بجانبى فى يوم لاحق».
- جيمس تايلور

مقدمة الكتاب

بقلم ليزا كودرو

«كيف حال ماثيو بيرى؟».

منذ أن سُئلت هذا السؤال لأول مرة، وفي مختلف الأوقات، كان دائمًا السؤال الأكثر طرحًا عليّ على مر السنين، ولكنني أتفهم لماذا طرحه كثير من الناس: إنهم يحبون ماثيو، ويرغبون في رؤيته بخير، مثلي تمامًا. ولكن دائمًا ما كان يستوقفني هذا السؤال من الصحافة، لأنني لم أتمكن من الإجابة بما أردت، فكنيت أجيب: «إنها قصته ليحكيها، فأنا لست مكلفة بحكايتها، أليس كذلك؟»، رغبت في أن أقول: «إنها أمور شخصية وخاصة للغاية وإذا لم تعرفوها من صاحب القصة، فهي ليست إلا نسيمة، بالنسبة إليّ، وأنا لن أنم على ماثيو معكم»، علمًا أنني إذا اخترت ألا أرد مطلقًا قد أحدث جلبة أكثر، فأحيانًا كنت أرد وحسب بـ«أعتقد أنه بخير!». فبهذا لن يحظى بكثير من الضوء عليه، وسيتمتع بقليل من الخصوصية بينما يحاول التعامل مع مرضه. ولكن في الحقيقة، لم أكن على علم حقيقي بحال ماثيو، فكما سيروي لكم في هذا الكتاب، الأمر كان يقيه سرًا، واحتاج الأمر منه وقتًا طويلًا حتى يتمكن من رواية حكايته براحة وإعلامنا بجزء مما مر به. خلال كل تلك السنوات لم أحاول أن أتدخل أو أن أواجهه، لأن بمعرفتي القليلة عن الإدمان، عرفت أن تعافيه أمر خارج عن إرادتي، وكم استغرقني الوقت في التساؤل إذا كنت مخطئة حيال عدم التدخل، أو التدخل قليلًا. ولكنني توصلت إلى أن أدركت أن هذا المرض يغذي نفسه بنفسه بلا هوادة، وعازم على البقاء.

لذا ركزت على ماثيو الذي يضحكني بشدة كل يوم، أو مرة في الأسبوع، يضحكني لدرجة الدموع وعدم القدرة على التنفس. كان ماثيو بيرى حاضرًا... ماثيو الذكي بشدة، الساحر، اللطيف، الحساس، والعاقِل جدًا. هذا الشخص، بكل ما صارعه، كان حاضرًا. كان موجودًا من البداية لرفع معنوياتنا في ليلة تصوير مرهقة من أجل مقدمة مسلسلنا الشهير داخل النافورة، قائلًا: «لا أذكر يومًا أنني كنت في نافورة؟»، «ما هذا، هل نحن مبتلون؟»، «لا أذكر يومًا كنت جافًا!». (ماثيو كان السبب في ضحكاتنا جميعًا بالنافورة في مقدمة المسلسل مع الأسماء).

وبعد مسلسل «فريندز»، لم أقابل ماثيو كل يوم، ولم يخطر في ذهني فكرة صحته.

هذا الكتاب هو المرة الأولى التي أعرف فيها منه حقًا عن تعايشه مع إدمانه ونجاته منه. حكى لي ماثيو بعض الأمور، ولكن ليس بالتفصيل هكذا. يدعونا ماثيو في هذا الكتاب إلى عقله وقلبه بصدق، ويكشف كامل التفاصيل. وأخيرًا، لن يحتاج أحد لأن يسألني أو يسأل غيري مجددًا عن حال ماثيو. فسيجيبنا جميعًا عن هذا بنفسه.

لقد نجا من المستحيل ولكن لا أعلم كم من مرة كان على وشك عدم النجاة. أنا سعيدة أنك هنا من جديد يا ماتي، هذا رائع. أحبك.

- ليزا

مقدمة

مرحبًا، اسمي ماثيو، قد تعرفونني باسم آخر⁽¹⁾. يناديني أصدقاؤني بماتي. وكان من المفترض أن أموت.

إذا أردتم، ما أنتم على وشك قراءته ربما تعدونه رسالة من الأعماق، أعماقي. إنه اليوم السابع من الألم. ولا أعني بذلك أنني ارتطمت بإصبعي الصغيرة في شيء، أو ما حدث في فيلم The Whole Ten Yards. ولكنني حددت كلمة الألم هنا لأنه كان أصعب ألم اختبرته في حياتي؛ إنه بمثابة المثالية الأفلاطونية النموذجية. سمعت الناس يقولون إن أصعب الآلام هو ألم الولادة، حسنًا، ألمي كان ماثلاً، ولكن من دون طفل في يدي بعد انتهائه.

قد يكون اليوم السابع من الألم، ولكنه أيضًا اليوم العاشر من عدم الحركة. والمغزى من كلامي هنا أنني لم أكل شيئًا منذ عشرة أيام، وهنا يكمن المغزى. كان هناك شيء خطأ، خطأ كبير. لم يكن ألمًا عاديًا، مثل الصداع، كان ألمًا كالطعن أو ثقب الجلد، كالتهاب البنكرياس الذي أصابني وأنا في الثلاثين من عمري. الألم كان مختلفًا، وكأن جسمي على وشك الانفجار. وكأن أحشائي تحاول الخروج من جسدي. كان ذلك الألم الذي لا يسمح بالعبث معه.

وأصوات الألم، يا إلهي من تلك الأصوات. بطبعي أنا شخص هادئ جدًا، حمول ومتحفظ. ولكن في تلك الليلة، كنت أصرخ بكامل قوتي. ففي بعض الليالي الهادئة في تلال هوليوود، عندما يكون الريح هادئًا والسيارات مصطفة، يمكنك سماع أصوات القيوط - الذئب الأمريكي - المرعبة وهي تمزق شيئًا إربًا وتعوي. في البداية تبدو كأصوات أطفال يضحكون من بعيد، حتى تدرك أنها ليست كذلك، بل هي أصوات الموت. والأكثر سوءًا بالطبع هو عندما تتوقف تلك الأصوات التي أشبه بالعواء، لأنك تعلم أن ما تمت مهاجمته قد بات جثة هامدة. إنه الجحيم.

ونعم، هناك جحيم حقيقي. ولا تدع أي شخص يقنعك بغير ذلك، لقد كنتُ هناك، إنه موجود بالفعل. لا جدال في ذلك.

ولكن في تلك الليلة، كنت أنا الحيوان المفترس. كنت لا أزال أصرخ، وأقاوم بكل ما لدي من أجل النجاة، والصمت سيعني النهاية، لم أكن أعلم كم كنت قريبًا من النهاية.

كنت أعيش وقتها في إحدى دور التعافي في جنوب كاليفورنيا. ولا تتفاجأ، فقد عشت نصف عمري في تلك الدور أو في مراكز إعادة التأهيل، وهو ما يمكنك تقبله في عمر الرابعة والعشرين ولكن ستصبح أقل تقبلًا في الثانية والأربعين. الآن أنا في التاسعة والأربعين من عمري وما زلت أعاني في إنزال هذا القرد من على كتفي!

وفي تلك المرحلة، عرفت أكثر عن الإدمان والكحوليات أكثر من أي معالج ومعظم الأطباء الذين قابلتهم بهذه الأماكن. للأسف، لا تجدي معلوماتك الذاتية في هذا الأمر. فإذا كانت تذكرة النجاة الذهبية

من الإدمان هي التعلم عنه أكثر أو العمل الجاد، فهذا الوحش لن يكون سوى ذكرى جبانة وغير سارة على الإطلاق. حولت نفسي إلى مريض محترف من أجل البقاء حيًا. ولن أجمل الحقيقة، فما زلت في عمر التاسعة والأربعين أخاف الوحدة. وبينما أنا وحيد، سيجد عقلي المجنون (بالمناسبة هو مجنون في تلك المنطقة فقط) أي دافع من أجل الأمور اللاعقلانية: الكحوليات والمخدرات. وهو الشيء الذي دمر بدايات حياتي وأنا خائف من فعله مجددًا. لا أخاف من الحديث أمام عشرين ألف شخص، ولكن أن تتركني وحدي ليلاً على أريكتي أمام التلفزيون يعني أنني سأخاف. وهذا الخوف من ذهني وبالي، خوف من أفكاري التي ستجعل عقلي يدفعني لأن أتجه للمخدرات، مثلما حدث من قبل عدة مرات. عقلي الذي خرج ليقتلني وأنا أعلم ذلك. يملأني دائماً إحساس الوحدة المتربصة بي، الحذر، التمسك بفكرة أن ذلك الشيء الخارجي (المخدر) سيصلحني، وقد كانت كل مغرباتي الخارجية كثيرة.

جوليا روبرتس كانت حبيبتي. «لا يهم، فقط اشرب».

اشترت منزل الأحلام المطل على المدينة بأكملها! «لن أحتفل من دون بائع مخدرات».

جنيت مليون دولار في أسبوع، فعلتها، أليس كذلك؟ «هل تريد أن تشرب، نعم، وما المانع؟ سأفعل، أشكرك شكراً جزيلاً».

حظيت بكل شيء، ولكن كل هذا كان خدعة. لا شيء سيصلحني. قضيت سنيًا قبل أن أستوعب فكرة الحل. أرجوكم لا تفهموني بشكل خاطئ، فكل تلك الأمور: جوليا، ومنزل الأحلام، والمليون دولار في أسبوع، كانت عظيمة، وسأظل إلى الأبد ممتناً لها، أنا واحد من أكثر الرجال حظاً في الكوكب، وكم مرحت واستمتعت!

ولكن كل ذلك لم يكن حلاً أبداً لمشكلتي، فإذا عرض عليّ مجددًا أن أتقدم بتجربة أداء لمسلسل «فريندز»، هل سأفعلها؟ اللعنة، حتمًا سأقدم. وهل كنت سأشرب الكحول مجددًا؟ اللعنة، حتمًا سأفعل. فإذا لم أفعل لتهدئة أعصابي ومساعدتي على الاستمتاع بحياتي، كنت سأقفز من برج عالٍ بالعشرينيات من عمري. نشأ جدي العظيم ألتون ل. بيرري مع أب مدمن للكحول، وتباعاً، لم يلمس الكحول في حياته الطويلة الرائعة، ذات الستة وتسعين عاماً.

ولكنني لست مثل جدي.

لا أكتب إليكم كل هذا فيشعر أي شخص بالتعاطف معي، بل أكتب هذه الكلمات لأنها حقيقية. أكتبها لأن هناك شخصاً قد يكون متردداً حيال التوقف عن الشرب، مثلي، لديه كل المعلومات، ويعلم كل العواقب، ولكن لا يستطيع التوقف عن الشرب. إخواني وأخواتي، لستم وحدكم. (لا بد أن يرفقوا في القاموس بجانب تعريف كلمة «إدمان» صورتي أنظر من حولي حائرًا تمامًا).

في مصحة التأهيل في جنوب كاليفورنيا، كانت غرفتي مطلة على غرب لوس أنجلوس، وبها سريران متوسطا الحجم. كان السرير الآخر لصديقتي المقربة ومساعدتي إيرين، المثلية التي أقدر صداقتها كثيرًا، لأنها تحمل معنى أن تسعد بصداقة مع امرأة لا تحمل أي ضغوط رومانسية التي بدت أنها قد دمرت صداقاتي مع النساء اللاتي ينجذبن جنسيًا للرجال (ناهيك أننا يمكن التغزل في النساء معًا). لقد قابلتها منذ عامين في دار

تأهيل أخرى والتي كانت تعمل بها حينها. وقتها كنت لم أتعافَ بعد، ولكنني رأيت كم هي إنسانة رائعة بكل حالاتها، وبالفعل خطفتها من تلك الدار، وعييتها مساعدة لي وأصبحت صديقتي المقربة. كما أنها تعلم جيداً أيضاً طبيعة الإدمان وتفهم ما أمر به من صراع أكثر من أي طبيب آخر قابلته في حياتي.

ورغم الراحة التي جلبتها إيرين لحياتي، فإنني ظللت أفضي أياماً بلا نوم في جنوب كاليفورنيا. النوم هو مشكلة كبيرة بالنسبة لي، خاصة عند مكوثي في إحدى تلك الدور. لا أعتقد أنني نمت لأكثر من أربع ساعات متواصلة في حياتي كلها. لم يكن الأمر مجدياً أننا لم نفعل شيئاً سوى مشاهدة أفلام وثائقية عن السجن، وكنت أتعافى من دواء زاناكس الذي استهلكه مخي لدرجة أنني اقتنعت أنني سجين حقيقي، وأن مصحة التأهيل هي سجن فعلي. كان لديّ طبيب نفسي يحمل شعاراً كالمانترا وهو «أن الواقع هو ذوق مكتسب»، ولكنني آنذاك فقدت حاستي التذوق والشم للواقع؛ لقد أصبت بكوفيد الإحساس بالواقع، كنت شخصاً وهمياً.

إلا الألم لم يكن وهمًا، ففي الواقع كان مبرحاً لدرجة أنني توقفت عن التدخين، ولو تعلمون كم كنت أدخن، كنتم ستعلمون حتمًا أنها علامة لمشكلة خطيرة جدًا. أذكر أحد العاملين بالدار، كان اسمه على شارته «الممرض ذو الوجه اللعين»، اقترح عليّ أن آخذ حمامًا بالملح الإنجليزي ليخفف من حدة الألم و«عدم الارتياح». الحقيقة أنك لا تأخذ معك لاصقة جروح لحادثة على الطريق؛ شخص يشعر بهذا القدر من الألم لا يمكنه أن يسترخي في مياه يملأها «ألمه». ولكن الواقع هو ذوق مكتسب، تذكر هذا، لذا أخذت ذلك الحمام بالملح.

هناك جلست عاريًا في المي، أعوي مثل كلب ممزق إلى أشلاء بفعل القيوط. سمعنتي إيرين؛ اللعنة، لقد سمعني أيضًا سكان سان دييجو. جاءت عند باب الحمام، ونظرت إلى وجهي الحزين، وجسدي العاري وأنا أتلوى من الألم، وقالت ببساطة: «هل تريد الذهاب إلى المستشفى؟».

إذا ظنت إيرين أن المشكلة تقصير من المستشفى، فهي على حق. كما أنها تعلم أنني لم أعد أدخن. قلت وسط العواء: «اللعنة، إنها فكرة عظيمة للغاية».

بطريقة ما، استطاعت إيرين أن تخرجني من حوض الاستحمام وجففتني. بدأت ارتداء ملابس مجدداً، وإذا بأحد المرشدين النفسيين تظهر على الباب، قلقه من ذلك الكلب المذبوح، كما يبدو.

قالت إيرين: «سأخذه إلى المستشفى».

كاثرين المرشدة النفسية الشقراء الجميلة التي تقدمت لخطبتها بمجرد وصولي إلى هنا، لذلك لم تكن من كبار معجبيني (لا أمزح، كنت في حالة غير طبيعية عندما جئت لدرجة أنني تقدمت لخطبتها، ثم جريت مسرعاً).

قالت كاثرين لإيرين بينما أكمل أنا ارتداء ملابسني: «هذا مجرد سلوك السعي للحصول على مخدر، وسيطلب منهم الحصول على مخدر في المستشفى».

حسنًا، أظن أن مسألة زواجنا انتهت!

حاليًا، أثار العواء جلبة الآخرين، إذ إن أحشاء الكلب العاوي أصبحت في أرجاء أرضية الحمام، أو أن شخصًا ما يتألم بشدة. بينما جاء تشارلز، كبير المرشدين النفسيين - تخيل: الأب عارض الأزياء، والأم بلا مأوى - وانضم إلى كاثرين على عتبة الباب، لمنعنا من الخروج المتوقع.

منعنا من الخروج؟ هل نحن في الثانية عشرة من عمرنا؟

قالت كاثرين: «إنه مريضنا، ليس لك الحق في أخذه من هنا».

أصرت إيرين قائلة: «أنا أعرف ماتي جيدًا، وهو لا يسعى للحصول على المخدرات!».

ثم استدارت إليّ وسألتني: «هل تريد الذهاب إلى المستشفى يا ماتي؟»، أو مأت برأسي وصرخت أكثر.

قالت إيرين: «سأخذه».

بطريقة ما، اندفعنا عبر كاثرين وتشارلز خارج المبني إلى ساحة انتظار السيارات، أقول «بطريقة ما» ليس لأن كاثرين وتشارلز أحدثا جلبة حول منعنا ولكن لأن كل مرة لمست فيها قدمي الأرض كان الألم قاتلاً.

في السماء عاليًا، كانت هناك كرة صفراء ناصعة، تطل عليّ بالأسفل بازدرء وعطف ليس على ألمي.

«ما هذا؟» هكذا فكرت وسط نوبات العذاب، «يا إلهي إنها الشمس. نعم... لم أخرج منذ مدة».

«لدينا شخص معروف قادم ويعاني مغصًا قاسيًا» هكذا تحدثت إيرين في هاتفها بينما تفتح باب السيارة.

السيارات غبية، أمرها عادي حتى لا يُسمح لك أن تقودها، في بعض الأحيان تكون صندوق الحرية والنجاة

السحري وعلامة على حياة ناجحة سابقًا. أركبتي إيرين السيارة في مقعد المرافق، ونمت على ظهري. بطني

كانت تعتصر من العذاب.

ركبت إيرين في مقعد السائق، والتفتت إليّ وقالت: «هل تريد الذهاب سريعًا، أم تريدني أن أتفادى حفر

لوس أنجلوس؟». تمكنت من الإجابة بـ«فلتذهبي وحسب يا امرأة!».

الآن قرر كل من كاثرين وتشارلز إحباط عملية خروجنا ووقفنا أمام سيارتنا ليمنعونا. يدا تشارلز

مرفوعتان تواجهاننا كأنه يشير بـ«لا!»، وكأن قوة سيارة ثمنها ثلاثة آلاف جنيه إسترليني قد تقف بحركة

يديه.

ولتصبح الأمور أسوأ، لم تتمكن إيرين من تشغيل السيارة. المشغل يعمل عندما «تأمر» السيارة ببدء

التشغيل، لأنه كما تعلم، كنت في مسلسل «فريندز»⁽²⁾. لم تتزحزح كاثرين واليدان. بمجرد أن عرفت كيفية

تشغيل السيارة اللعينة، كان هناك أمر آخر لتفعله إيرين؛ أسرع من حركة المحرك، وأدارت السيارة،

وانطلقت على الرصيف، هزة المشغل وحدها ردت في جسدي بأكمله، كدت أموت في تلك اللحظة. مع

عجلتين على الرصيف، تحركت إيرين عبر كاثرين وتشارلز، وإلى الشارع. شاهدانا ونحن نبتعد، وفي تلك

اللحظة كنت أتمنى لو مررت بالسيارة فوقها ولكنني كنت في حالة تجعلني لا أستطيع التوقف عن الصراخ

وهي مرحلة مرعبة لتكون فيها.

إذا كنت أقوم بذلك من أجل الحصول على مخدرات، فأنا أستحق الأوسكار إدا.

سألتها متوسلاً: «هل تنوين عبور كل المطبات؟ لا أعرف إن كنت قد لاحظت، ولكنني أعاني الآن،

أبطئي قليلاً»، كنا نبكي معًا.

قالت وعيناها البنيتان العطوفتان تنظران إليّ بخوف وقلق: «يجب أن أسرع. يجب أن نصل هناك الآن». وفي تلك اللحظة، كنت قد خرجت عن الوعي من شدة الألم (بالمناسبة الوصول إلى 10 من أصل 10 على مقياس الألم يفقدك الوعي).

(أرجو العلم أن كل ما ستقرؤه في الفقرات القليلة القادمة سيكون سيرة ذاتية عني ولن أكون أنا من يروي السيرة، لأنني لم أكن واعياً).

كانت أقرب مستشفى إلى مصحة التأهيل هي سانت جون، ولأن إيرين بلغت المستشفى قبل وصولنا ونبهتهم بقدوم شخص مهم ومعروف، استقبلنا أحدهم في بوابة الطوارئ. ولا أعلم حتى الآن كم كنت أتألم عندما هاتفتهم إيرين، لكنها أرادت الحفاظ على خصوصيتي. ولكن العاملين بالمستشفى رأوا أن هناك أمراً جدياً لذا هرعوا بي إلى غرفة العلاج. وهناك قيل لي إنني قلت: «إيرين، لماذا هناك كرات البينج بونج على الأريكة؟».

لم تكن هناك أريكة ولا كرات بينج بونج ولكنني كنت واهماً للغاية (لم أكن أعلم أن الألم قد يدفعك للهلوس والوهم، لكن ها أنا هناك). وإذ فجأة بدواء ديلوديد يدخل إلى رأسي (أكثر دواء مفضل لي في العالم)، وبدأت أستعيد وعيي مرة أخرى.

قيل لي إنني أحتاج إلى جراحة فوراً، وفجأة هرعت كل ممرضات كاليفورنيا إلى غرفتي. واحدة منهم استدارت إلى إيرين وقالت لها: «استعدي للجري!»، وقد كانت إيرين مستعدة، ركضنا جميعاً، أقصد ركضوا جميعاً، فكنت فقط أدفع على عجلات بأقصى سرعة نحو غرفة الجراحة. طُلب من إيرين أن تخرج لبضع ثوانٍ بعدما قلت لها: «أرجوك لا ترحلي»، ثم أغلقت عيني ولم أفتحها إلا بعد أسبوعين.

نعم، سيداتي وسادتي؛ لقد دخلت في غيبوبة! (وهؤلاء الحقيران في المصححة كانا يقفان أمام السيارة!). أول ما حدث لي عندما دخلت في غيبوبة هو أنني كنت متصلاً بأنبوب للتنفس، وتقيأت كمًا من السموم لمدة عشرة أيام متواصلة مباشرة من رثائي. لم يُرق رثائي ذلك - يليه التهاب رئوي فوري - لذلك انفجر قولوني. دعوني أعيد ما قلت لهؤلاء في الخلف، لقد انفجر قولوني! اتهمت من قبل أنني مليء بالهراء ولكن تلك المرة كنت حرفياً كذلك.

أنا سعيد أنني لم أكن حاضراً في هذا.

كان شبه مرجح أنني في تلك المرحلة كنت سأموت. هل كنت غير محظوظ لأن قولوني انفجر؟ أم هل أنا محظوظ لكونه انفجر في الغرفة التي تقع بجنوب كاليفورنيا حيث كان يجب أن يفعلوا شيئاً حيال ذلك؟ في الحالتين، أنا الآن أخوض جراحة مدتها سبع ساعات، والتي أعطت كل أحبائي وقتاً مناسباً للهرع إلى المستشفى. وبمجرد وصولهم، قيل لهم: «ماثيو أمامه نسبة 2٪ لينجو بحلول الليل».

الكل كان في حالة من التوتر لدرجة أن بعضهم انهار على الأرض في ردهة المستشفى. ويكفي أنني سأعيش بقية عمري وأنا أعلم أن والدتي وآخرين سمعوا هذه الكلمات.

أما أنا في غرفة الجراحة لما لا يقل عن سبع ساعات وعلى يقين أن المستشفى ستقوم بقصاري جهدها. في الليل ذهبت عائلي وأصدقائي لمنازلهم لنيل قسط من الراحة، بينما يناضل وعيي من أجل البقاء حياً وسط

المشارط والأنايب والدماء.

حرق للأحداث: لقد نجوت تلك الليلة. ولكنني لم أفق بعد. وأبلغت عائلتي وأصدقائي أن الشيء الوحيد الذي سيجعلني حيًا لفترة قصيرة هو جهاز الأكسجة الغشائية ECMO. وهو الجهاز الذي يدعى غالبًا «المحاولة اليائسة»، فمبدئيًا، أربعة مرضى كانوا على الجهاز نفسه بمستشفى جامعة لوس أنجلوس، وتوفوا جميعًا بالأسبوع نفسه.

ولأجعل الأمور أكثر تعقيدًا، لم يكن بمستشفى سانت جون ذلك الجهاز. قررت مستشفى سيدارز سايناي بعد النظر في تقرير حالتي أن «ماثيو بيرى لن يموت في مستشفانا».

شكرًا يارفاق.

ولم تكن مستشفى جامعة لوس أنجلوس على استعداد لاستقبالي أيضًا، من أجل السبب نفسه؟ من قال ذلك؟ ولكن على الأقل قاموا بإرسال هذا الجهاز وفريق طبي. وتم إيصاله لي به لبضع ساعات، ويبدو أنه نجح! ثم تم نقلي إلى مستشفى جامعة لوس أنجلوس نفسه في سيارة إسعاف مليئة بالأطباء والمسعفين (لأنه لم تكن هناك أدنى فرصة أنني سأنجو في طريق مدته 15 دقيقة وخاصة بأسلوب قيادة إيرين!).

في مستشفى جامعة لوس أنجلوس، مكثت في غرفة العناية المركزة الخاصة بالقلب والرئتين، والتي تحولت إلى منزلي لمدة ستة أسابيع تالية. ما زلت في غيبوبة ولكنني ربما أحببتها بصراحة. كنت مستقلقيًا، ومرتاحًا وتضخ في دمائي مخدرات، ماذا أفضل من ذلك؟

قيل لي إنه في أثناء غيبوتي، لم أكن وحيدًا لوهلة، ولا مرة، كان هناك دائمًا فرد من عائلتي أو الأصدقاء في الغرفة معي، حاملين شموعًا وجالسين في دوائر من أجل الصلاة. الحب كان يحيطني.

في النهاية فتحت عيني وكأنه سحر.

(عودة إلى أن أكون الراوي).

أول ما رأيته كان والدتي.

بالكاد سألتُ بنعيق كالغراب: «ماذا حدث؟ أين أنا بحق الجحيم؟»

آخر ما أذكره هو أنني كنت في السيارة مع إيرين.

قالت أمي: «لقد انفجر قولونك».

مع تلك المعلومات، وكأي ممثل كوميدي، سأقوم بشيء واحد: سأغمض عيني وأنام مجددًا.

علمت أنه عندما يكون شخص مريضًا بشدة، يحدث شيء مثل الانقطاع، شيء مثل أن «الرب يمنحك ما بوسعك فعله فقط». بالنسبة إليّ، حسنًا، في الأسابيع التالية لشفائي من الغيبوبة، رفضت تمامًا أن يخبرني أي شخص بما حدث لي. كنت خائفًا جدًا من أن يكون ما حدث هو خطأ مني، وأني السبب في ذلك. لذا بدلًا من الحديث عن الأمر، قمت بالشيء الوحيد الذي كان بوسعي فعله، ألا وهو الارتقاء في أحضان عائلتي،

وقضاء الوقت مع أخواتي الجميلات؛ إميلي وماريا وماديلين، اللاتي كن موجودات من أجلي ويضحكنني ويهتممن بي في الأيام التي قضيتها في المستشفى. وفي الليل كانت إيرين حاضرة؛ فلا أعود وحيداً مجدداً. في النهاية، في أحد الأيام، قررت أختي ماريا - وهي محور عائلتنا، عائلة بيرري (في حين كانت أمي محور عائلة موريسون) - أنه قد حان الوقت لأعلم ما حدث لي. وهنا كنت متصلاً بخمسين سلماً مثل الإنسان الآلي، طريح الفراش، بينما ماريا تدلي بدلوها. ومثلما توجست خائفاً، كنت أنا السبب فيما حدث لي، لقد كان خطأً.

بكيت، لقد بكيت بحرقة، وبذلت ماريا جهداً كبيراً لمواساتي، ولكن لم يكن هناك ما يواسيني. فقد فعلت كل ما هو ممكن لأقتل نفسي. لم أكن يوماً شخصاً يجب الاحتفالات حتى أتعاطى كل هذه المخدرات (والتي كانت بكميات كبيرة!) وإن كان هدفها الوحيد هو أن أشعر بتحسن. لكن ثق في، لقد كان التعاطي من أجل الشعور بتحسن باباً للموت. وها أنا لا أزال حياً. لماذا؟ ترى لماذا نجوت؟ مع ذلك، ساءت الأمور بدلاً من أن تتحسن.

ففي كل صباح، كان يدخل طبيب إلى غرفتي ويلقي علينا أخباراً سيئة. إن كان هناك شيء سيء قد يحدث، فهو يحدث بالفعل. وحمداً للرب، صار لدي الآن كيس فغر القولون^(ف)، وقيل لي إنها قابلة للتفريغ، وصار هناك ناسور، أي ثقب في أحد أمعائي. وقد واجهوا مشكلة في إيجاد. ولمساعدتي، قاموا بتركيب كيس آخر ليخرج كل الأشياء الخضراء المقرزة من جسدي، ولكن ذلك الكيس الجديد يعني أنني لن أتمكن من الأكل أو الشرب على الإطلاق حتى يتمكنوا من إيجاد ذلك الثقب. كانوا يبحثون يوماً عن ذلك الثقب ومع هذا يزداد عطشي. كنت أتوسل إليهم حرفياً من أجل تناول «كولا دايت»، وراودتني أحلام بأن هناك علبة «سبرايت دايت» عملاقة تطاردني. وبعد شهر - شهر بالكامل! - وجدوا ذلك الثقب أخيراً في أحد الأمعاء خلف قولوني. فكرت حينها: «يا رفاق، إذا كنتم تحاولون البحث عن ثقب في أمعائي، لماذا لا تبدأون في البحث عنه خلف ذلك الشيء اللعين المنفجر». وبما أنهم وجدوا الثقب، يمكنهم الآن علاجه، وحينها سأتمكن من تعلم المشي مجدداً.

علمت أنني في مراحل الشفاء عندما وجدتني منجذباً للطبعية النفسية التي عيّنت من أجلي. في الحقيقة، كانت لدي ندبة ضخمة في بطني، ولكن على كل حال، لم أكن الشخص الذي يخلع قميصه كثيراً. فأنا لست ماثيو ماكونهي، وعندما أستحم، أغلق عيني تماماً.

كما قلت من قبل، في أثناء فترة مكوثي في كل هذه المستشفيات، لم أكن وحيداً ولو للحظة. إذا فقد كان هناك نور وسط عتمة الظلام. إنه هناك، فقط عليك أن تنظر جيداً كي تجده.

خرجت بعد خمسة أشهر طويلة. قيل لي إن كل شيء بداخلي سيبدأ في التعافي خلال عام، وبعدها بإمكانني أن أخوض جراحة أخرى لتفريغ كيس فغر القولون. ولكن حينها صار بإمكانني حزم حقائبي للوالمبيت - بعد خمسة أشهر من المبيت في المستشفى - وعدنا إلى المنزل.

وبالمناسبة، أنا باتمان.

يقصد تشاندلر بينج شخصيته الشهيرة بمسلسل «فريندز» (الترجمة).

يقصد أنه غني، وجمع أموالاً طائلة بفضل المسلسل (الترجمة).
هو كيس قابل للإزالة يعلق على الفتحة الخارجية الموجودة على البطن لنهاية طرف فغر القولون، وتستخدم للتخلص من فضلات الجسم
(المراجعة).

إطلالة المنزل

لا يعتقد أحد أن شيئاً مكروراً سيحدث له، إلى أن يحدث بالفعل. وكذلك لا ينجو بسهولة من الأمعاء المثقوبة، والالتهاب الرئوي التنفسي، وجهاز الأكسجة الغشائية خارج الجسم إلى أن يحدث ذلك بالفعل لأحدهم.

إنه أنا.

أكتب إليكم ذلك من منزل مستأجر يطل على المحيط الهادئ. (منزلي الأساسي يتم تجديده، يقولون إنه سيحتاج إلى ستة أشهر، أي في تقديري سنة). بالأسفل يحوم اثنين من طيور الباز ذوا ذيلين حمراوين حول جدول مائي في أسفل الأجراف شديدة الانحدار نحو المياه. إنه يوم ربيعي مثالي في لوس أنجلوس. في ذلك الصباح، كنت منشغلاً بتعليق لوحات فنية على الحوائط (أو بمعنى أصح، كنت أجعل أحدهم يعلقها، فأنا لست بارعاً في فعل الأشياء بنفسني). تعلقت أكثر بالفن في السنوات الأخيرة، وإذا نظرت بتمعن، ستجد عملاً فنياً أو اثنين لبانكسي⁽⁴⁾. كما أنني أعمل على المسودة الثانية لمسرحية. توجد «كولا دايت» في كوبي، وعلبة مارلبورو كاملة في جيبني. تكفيني تلك الأشياء أحياناً.

أحياناً.

تظل تراودني تلك الحقيقة المتفردة التي لا مفر منها: ما زلت حياً. بالنظر إلى الصعاب، كانت تلك الكلمات الثلاثة معجزة أكبر مما قد تتخيلون، وبالنسبة إليّ، كانت لها بريق مختلف وجودة أشبه بأحجار قيمة من كوكب آخر بعيد. لا أحد يمكنه تصديق ذلك. أمر غريب أن تعيش في عالم عندما تموت فيه، سيصدم الجميع ولكن لن يتفاجأ أحد.

ما زلت حياً، تلك الكلمات تملأني بشعور بالامتنان العميق بعيداً عن أي شيء آخر. عندما تكون قريباً جداً من الموت والصعود إلى السماء مثلما حدث لي، لا يكون أمامك خيار سوى الشعور بالامتنان. يبدو وكأنه موضوع أمامك على طاولة القهوة في غرفة المعيشة مثل الكتاب الذي يوضع عليه دائماً للتسلية؛ قد لا تلاحظه ولكنه هناك. كذلك الامتنان يترصد بي، مدفون مثل عرق السوس في مكونات «الكولا دايت»، ويملاً رئتي مثل كل نفس من السيجارة، إنه عذاب أليم.

لا يمكنني سوى أن أسأل نفسي هذا السؤال الذي يراودني بشدة: لماذا؟ لماذا ما زلت حياً؟ يمكنني أن ألمح إلى الإجابة ولكنها لم تكتمل بعد. أعتقد أنه بسبب اقترابي من فكرة مساعدة الآخرين، أعلم ذلك، ولكنني لا أعرف كيف. إن أفضل شيء فيّ، بلا استثناء، هو أنه إذا جاءني رفيق من شارب الكحول وسألني إذا كان بإمكانني أن أساعده في التوقف عن الشرب، سأقول نعم وأتابع معه وأساعده. يمكنني مساعدة شخص محبط في الامتناع عن الشرب. إذاً فالإجابة على السؤال «لماذا ما زلت حياً؟» يقبع هنا في ذلك الإطار. على كل حال، إنه الشيء الوحيد الذي اكتشفت أنه يجعلني سعيداً. لا شك أن في ذلك هبة إلهية.

ولكن، كما ترى، لا يمكنني أن أجيب بنعم على ذلك السؤال «لماذا؟» عند شعوري أنني لست كفؤًا. ففقد الشيء لا يعطيه. وفي الغالب، تراودني تلك الأفكار المزعجة بأنني لست كفؤًا، لست مهتمًا، أنا شخص مُتطلب. تلك الأفكار لا تشعرني بالارتياح. أحتاج للحب، لكنني لا أثق به. إذا تخلصت من عملي، من تشاندلر، وأظهرت لكم ما أنا عليه حقًا، سوف ترونني، ولكن بشكل أسوأ، سترونني ومن بعدها تتركونني، وأنا لا أقدر على ذلك. لن أنجو من ذلك مجددًا. سأتحول إلى ذرة غبار، وسأفنى.

لذا سأبادر بالرحيل، وأتصنع في داخلي أن هناك أمرًا خاطئًا بشأنك، وسأصدق نفسي، وأرحل. ولكن لا يمكن أن يكون هناك أمر خاطئ بشأنهم جميعًا يا ماتسو^(ق). ما هذا القاسم المشترك الذي يجمعهم كلهم؟ أما بالنسبة إلى تلك الندبات في بطني، والعلاقات العاطفية التي فشلت فيها، وانفصالي عن رايتشل (ليست رايتشل التي تعرفونها، بل رايتشل الحقيقية، حبيبتي السابقة وفتاة أحلامي)، كل هذا يهاجمني وأنا راقد بلا نوم في الرابعة فجرًا، في منزلي المطل على أجراف المحيط الهادئ. أنا حاليًا في الثانية والخمسين من عمري، لم يعد الأمر جيدًا على الإطلاق.

في كل منزل عشت به كان لديه إطلالة ساحرة، هذا أهم شيء بالنسبة إليّ.

عندما كنت في الخامسة من عمري، أرسلت في طائرة من مونتريال في كندا - حيث عشت مع أمي - إلى لوس أنجلوس في كاليفورنيا، كي أزور أبي. كنت كما يقولون «قاصرًا بلا مرافق» (وبالمناسبة كان هذا عنوان الكتاب المقترح أولًا). كان أمرًا عاديًا آنذاك، أن يسافر أطفال في تلك السن الصغيرة بالطائرة وحدهم وحسب، أمرًا اعتاد الناس القيام به. لم يكن هذا صحيحًا، ولكن هذا ما فعلوه آنذاك. لجزء من الثانية تقريبًا، ظننت أنها ستكون مغامرة ممتعة، لكنني أيقنت بعدها أنني كنت صغيرًا جدًا لأكون وحدي، وأن هذا الأمر مرعب تمامًا (وهراء). أريد من أحدكم أن يصطحبني! لقد كنت في الخامسة من عمري فقط. هل جننتم جميعًا؟

من فضلكم، هل يمكنني إرجاع مئات آلاف الدولارات التي أنفقتها على علاجي نفسيًا من هذا الأمر تحديدًا؟

عندما تكون قاصرًا بلا مرافق على طائرة، تنعم بكل المزايا، مثل وضع شارة صغيرة حول رقبتك مكتوب عليها قاصر بلا مرافق، والصعود على متن الطائرة أولًا، والجلوس في أماكن مخصصة للأطفال فقط، وتناول جميع أنواع المشهيات، وشخص يرافقك حتى باب الطائرة... من المفترض أن يكون هذا أمرًا رائعًا (لاحقًا، عندما أصبحت مشهورًا، حصلت على تلك المميزات في المطارات، ولكنها دائمًا ما كانت تذكرني بأول رحلة طيران لي، لذا كرهتها). كان من المفترض كذلك أن تعتنني بي مضيفات الطيران، ولكنهن كن منشغلات بتقديم الشامبانيا في الطائرة (هكذا كان الحال مع كل شيء مسموح به في فترة السبعينيات). بعد أن انتهيت من المشروبين المخصصين لي كحد أقصى، شعرت أن الرحلة مدتها ست ساعات طوال في سدوم وعمورة. كانت رائحة الكحول تفوح في كل مكان؛ لا بد أن الرجل الذي بجوارني احتسى وحده ما يقرب من عشر زجاجات خمر معتقة (كنت قد توقفت عن العد بعد مرور ساعتين). لم أستطع فهم لماذا يمكن لشخص بالغ أن يتناول الشراب نفسه مجددًا دون توقف... آه، إنها البراءة.

عندما أتجراً، كنت أضغط على زر الخدمة الصغير، وهو ما لا أفعله دائماً. فتأتي إليّ مضيفات الطيران - اللاتي كن يرتدين آنذاك في السبعينيات أحذية مثيرة طويلة الرقبة وسراويل قصيرة جداً - ويداعبن شعري ويرحلن.

كنت خائفاً بشدة. أحاول أن أقرأ مجلة هايلائتس، ولكن في كل مرة تصطدم فيها الطائرة بمطبخ هوائي، كنت أشعر أنني سأموت. لم يكن معي أي شخص ليقول لي إن الأمر على ما يرام، أو لأجأ إليه ليطمئنني. لم تصل قدمي إلى الأرض. كنت خائفاً جداً من أن أميل المقعد إلى الوراء وأنام قليلاً، لذا ظللت مستيقظاً، مترقباً للمطبخ القادم، متسائلاً مراراً وتكراراً كيف يكون السقوط من مسافة تصل إلى ما يزيد عن خمسة وثلاثين ألف قدم.

لم أنم، على الأقل لم أسقط. لكن في النهاية، بدأت الطائرة في الهبوط في مساء كاليفورنيا الجميلة، حيث يمكنني رؤية الأنوار المتلألئة، والشوارع الممهدة كبساط سحري لامع كبير، ومساحات واسعة من الظلام حيث أعرف الآن أن هناك تلالاً تقبع بها. تنبض المدينة نحوي بينما ألصق وجهي بنافذة الطائرة، وأتذكر بوضوح أن تلك الأنوار، وكل هذا الجمال، كانت تعني لي أنني أوشكت على أن أكون بجوار أبي أو أمي. أن تكون بلا أب أو أم في الرحلة الجوية هو واحد من أشياء كثيرة أدت إلى شعور بالهجر طوال حياتي... إذا كنت كافياً لهما ما كانا ليركاني وحدي بلا مرافق، أليس كذلك؟ أليس هكذا ما يفترض أن يكون الأمر؟ كان لدى الأطفال الآخرون آباء وأمهات يرافقونهم. في حين تركت أنا بشارة ومجلة.

لذلك عندما أشتري منزلاً جديداً - وأنا لدي الكثير (لا تستهينوا بالمواقع الجغرافية) - يجب أن يكون لديه إطلالة جميلة. أريد أن أنعم بإحساس النظر من شرفتي وأرى الأمان، لأرى مكاناً به شخص ما أعلم أنه يفكر فيّ، لأرى مكاناً حيث يوجد الحب. هناك بالأسفل، في مكان ما في ذلك الوادي، أو في المحيط الشاسع وراء الطريق الطويل لساحل المحيط الهادئ، حيث الأجنحة البراقة للطيور ذات الذيل الأحمر، في كل هذا تجد عطاء الوالدين. تجد الحب. تجد الوطن. أستطيع هناك الشعور بالأمان.

لماذا كان هذا الطفل الصغير على متن الطائرة وحده؟ ربما يمكنك السفر لكندا واصطحابه بحق اللعنة؟ هذا هو السؤال الذي طالما أردت سؤاله ولم يكن لديّ الجرأة.

لست من محبي المواجهات. أتساءل كثيراً، ولكن في داخلي. حاولت لفترة طويلة أن أجد عذراً كي ألوم أي شخص أو أي شيء على الفوضى التي أظل غارقاً فيها. قضيت فترة طويلة من حياتي في المستشفيات. عندما نمكت في المستشفى، يملكنا شعور الشفقة على النفس، وقد بذلت مجهوداً خارقاً في الشفقة على نفسي. في كل مرة أرقد هناك، أجد نفسي أفكر في كل ما مضى من حياتي التي عشتها، أستحضر كل لحظة بشكل أو بآخر، مثل اكتشاف لغز في موقع أثري، محاولاً أن أكتشف لماذا قضيت كل هذا الوقت من حياتي في شعور بعدم الراحة والألم العاطفي. دائماً ما كنت أنفهم من أين يأتي الألم العاطفي. (دائماً ما كنت أعرف سبب الألم الجسدي في تلك اللحظة كذلك، وكنت أجيّب نفسي: «حسناً، لأنك لا ينبغي أن تشرب الكحول بهذا القدر أيها الأحمق»).

في البداية أردت لوم والدي المحبين للذين كانت نيتها حسنة... والدي المحبين للذين كانت نيتها حسنة والجدابين بشكل ساحر.

لنعد بالزمن إلى يوم الجمعة 28 يناير 1966، المشهد في جامعة واترلو لوثران في أونتاريو. نحن الآن في مسابقة ملكة جمال الثلج في الجامعة الكندية الدورة الخامسة (والتي يتم اختيارها بناءً على معايير الذكاء، والمشاركة في الأنشطة الطلابية، والشخصية وأيضًا الجمال). وهؤلاء الكنديات لم يتوانين عن إنفاق المال من أجل الحصول على لقب ملكة جمال الثلج في الجامعة الكندية، كان هناك «موكب من الأضواء المبهرة مع زمامير، وفرق موسيقية، والمتسابقات» بالإضافة إلى «مأكولات، ومباراة هوكي». من بين قائمة المرشحات للقب كانت سوزان لانجفورد، صاحبة الرقم أحد عشر، والتي تمثل جامعة تورونتو. وأمامها في المسابقة سطعت أسماء لامعة وجميلة مثل روث شيفر من جامعة بيريتش كولومبيا، ومارثا كويل من جامعة أوتاوا، وحتى هيلين «تشيكي» فوهرر من ماكجيل وربما أضافت ذلك الاسم الأوسط «تشيكي» بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بعقدتين لتهون من حقيقة أن اسمها الأخير كان يشير لشخصية مؤسفة.

ولكن تلك الفتيات الشابات لم يكن في مثل جمال لانجفورد. في تلك الليلة ذات البرد القارس من يناير، قامت ملكة جمال العام السابق بتسليم التاج لملكة جمال الثلج للجامعة الكندية الجديدة للدورة الخامسة، لتتقلد وشاحًا ومسؤولية جديدة بذلك اللقب وهي تسليم التاج نفسه لملكة جمال العام القادم.

كانت مسابقة عام 1967 بالحماس نفسه. ففي هذه السنة كان سيحيي الحفل فريق سيرينديبتي وفريق الماماز والباباز، ومع هذا المزيج تصادف أن يوجد أيضًا المغني الرئيسي جون بينيت بيرى. كان المغنون في فريق ذا سيرينديبتي سينجرز متميزين في موسيقى الفولك الميتال في الستينيات، أشهر أغنياهم (والوحيدة التي كانت هكذا) كانت Don't Let the Rain Come Down والتي كانت نسخة جديدة من أغنية حضانة بريطانية للأطفال، ومع ذلك وصلت للمرتبة الثانية في سباق الأغاني المعاصرة للكبار، والمرتبة السادسة في أفضل مائة أغنية في بيلبوردي في مايو 1964. وهو ما يعد إنجازًا بشكل ما لأن المراكز الخمسة الأولى احتلها بالكامل فريق البيتلز الشهير بأغاني

Can't Buy Me Love و Twist and Shout و She Loves You و I Want to Hold Your Hand و Please, Please Me. وبالنسبة إلى جون بيرى، كان على الطريق الصحيح، موسيقي يعمل من أجل كسب عيشه، وهل يوجد ما هو أفضل من الحصول على عمل في حفل ملكة جمال الثلج للجامعة الكندية في أونتاريو؟ كان هناك يغني بسعادة المقطع «الآن يعيش الشاب الصغير الأحذب وقطه وفأره المحذب. يعيشون معًا في منزل مكسور»، مغازلاً بميكروفونه ملكة جمال الثلج للعام السابق، سوزان لانجفورد. آنذاك، كانا أجمل اثنين على وجه الأرض - لا بد أن تشاهدوا صور زفافهما - قد ترغب في لقمهما في وجههما المنحوت الرائع. لم يضعيا فرصة. عندما يكون شخصان بهذا الجمال، فهما يتحولان إلى شخص واحد.

تحولت المغازلة إلى رقصة بمجرد أن أنهى جون حفله الموسيقي، كانت تلك هي اللحظة الأهم، ولكن العاصفة الثلجية التي لا مثيل لها تربصت لتلك الليلة ومنعت فريق سيرينديبتي من الخروج من المدينة.

وبهذا، حدثت المقابلة اللطيفة؛ حيث وقع مغني فولك ميتال في حب ملكة جمال في مدينة كندية ذات ثلوج منيعة للسفر في عام 1967... الرجل الأجل في العالم يقابل الفتاة الأجل في العالم. بينما عاد باقي الحضور بالحفل لمنازلهم.

مكث جون بيرري تلك الليلة في المدينة وهو ما أسعد سوزان لانجفورد كثيرًا، وبعد عام أو عامين - لنتقل لمشهد آخر بعد المونتاج - تجد نفسها في مدينة ويليامز تاون، بولاية ماساتشوستس، مسقط رأس جون، بينما تنقسم الخلايا بداخل سوزان وتطغى عليها. ربما واحدة من تلك الانقسامات شذت. الإدمان مرض، هذا ما أعرفه، لكنني لم أضيع فرصتي معه مثلما لم يضيع والداي فرصة لقائهما.

ولدت في 19 أغسطس عام 1969، في يوم الثلاثاء، أنا ابن جون بينيت بيرري، المغني الرئيسي لفريق سيرينديبتي، وابن سوزان ماري لانجفورد، ملكة جمال الثلج في الجامعة الكندية سابقًا. كانت هناك عاصفة شديدة يوم وصولي للدنيا (بالطبع لا بد أن يحدث هذا)، والجميع كانوا يلعبون مونوبولي، منتظرين قدومي (بالطبع كانوا منتظرين). وصلت للأرض بعد مرور شهر من الهبوط على القمر، وبعد يوم من انتهاء مهرجان الودستوك لموسيقى الروك، لذا وسط كل هذه الأجرام السماوية، وكل هذا الهراء في مزرعة ياسجور، أصبحت جزءًا من الحياة، أعوق أحدهم وأمنع عنه فرصة بناء فنادق في برودووك.

خرجت للحياة صارخًا، ولم أتوقف عن الصراخ لأسابيع. كنت طفلًا بكاءً، بطني كان يمثل مشكلة بالنسبة إليّ منذ البداية. وكان أبواي على شفا الجنون بسبب كم البكاء الذي يصدر مني. على شفا الجنون؟ حسنًا، لنقل قلقين، لذا هرعا بي إلى الطبيب. هكذا كان عام 1969، كان يعتبر زمانًا قبل التاريخ مقارنة بالآن. لا أعلم إلى أي مدى وصلنا لمرحلة التحضر كي يدركوا أن إعطاء دواء «فينوباريتال» لرضيع أكمل بالكاد شهره الثاني من تنفس هواء الرب هو طريقة «مثالية» للعلاج بالنسبة لطب الأطفال. ولكن آنذاك لم يكن نادرًا أن يتم وصف مخدر منوم لطفل رضيع بكاءً في الستينيات. بعض الأطباء القدامى أقسموا بفاعليته، وأنا أعني بذلك «وصف مخدر منوم لطفل ولد منذ فترة بسيطة لا يتوقف عن البكاء».

أريد أن أكون واضحًا في تلك النقطة، لا ألوم إطلاقًا أيًا من والدي على ذلك. فإذا كان طفلك يبكي طوال الوقت، فبالطبع هناك شيء ما خطأ، ولذلك يصف الطبيب ذاك المخدر، وهو ليس الطبيب الوحيد الذي يظن أن هذا فكرة جيدة، أن تعطي مخدرًا للطفل فيتوقف عن البكاء. كان زمانًا مختلفًا.

كنت أجلس على ركبتَي أُمِّي المتوترة، أصرخ وأنا على كتفيها وهي لا تتعدى الواحدة والعشرين من العمر بينما هناك شخص أشبه بديناصور يرتدي معطفًا أبيض. بالكاد ينظر للأعلى من مكتبه الكبير من خشب البلوط، يتفوه بفضاظة عن «الآباء في هذه الأيام» وهو يكتب رويشتة واصفًا مخدرًا قويًا مسببًا للإدمان.

كنت مزعجًا ومُتطلبًا وقد أجيبته متطلباتي بقرص دواء. (هممم، يبدو هذا مثل عشريناتي اللعينة). قيل لي إنني أخذت ذلك «الفينوباريتال» المخدر وأنا في شهري الثاني من العمر، ما بين أيامي الثلاثين أو الستين فقط. هذه فترة مهمة في مرحلة نمو الطفل، خاصة في أثناء النوم. (بعد مرور خمسين عامًا، ما زلت لا أستطيع النوم جيدًا). بمجرد أن أخذ المخدر، كنت أنام قتيلاً. يبدو أنني كنت أبكي فأتناول المخدر فأنام على الفور وهو ما جعل أبي ينفجر في الضحك. لم يكن قاسيًا؛ فبالفعل الأطفال المخدرون هم مادة للضحك.

لديّ صور وأنا طفل يمكنك أن تقول إنني كنت فيها رضيعًا مخمورًا، أومى برأسي كمدمن يبلغ من العمر سبعة أسابيع. وأعتقد أنه أمر مقبول بشكل ما بالنسبة إلى طفل ولد بعد انتهاء مهرجان وودستوك. كنت متطلبًا؛ لم أكن الطفل اللطيف المبتسم الذي يتمناه الجميع. كنت كأنني أقول دعوني آخذ هذا الشيء وأسكت تمامًا بحق الجحيم.

وما يثير السخرية هو أنه صارت بيني أنا والأدوية المخدرة علاقة غريبة على مدى السنين. سيتفاجأ الجميع عندما يعرفون أنني كنت قد أقلعت تمامًا تقريبًا عن هذه الأدوية منذ عام 2001. باستثناء نحو ستين أو سبعين حادثًا مؤسفًا عبر كل تلك السنوات، وعندما تمر بمثل هذه الحوادث، إذا كنت تريد أن تظل مقلعًا، وهو ما فعلته دائمًا، سيتم وصف بعض الأدوية لمساعدتك. قد تسأل أي دواء هذا؟ نعم، تخمينك صحيح: إنه «الفينوباربيتال»! تعمل الأدوية المخدرة على تهدئتك بينما تحاول إخراج أي سموم من جسمك. وها أنا قد تعاطيت هذا الدواء في عمر الثلاثين يومًا لذا كان الأمر كأنني أكملت في البلوغ ما كنت بدأت به. عندما أتخلص من سمومي متبعمًا طريقة الديتوكس، أكون عنيدًا وغير مرتاح. آسف لقول ذلك ولكنني المريض الأسوأ على الإطلاق.

الديتوكس هو الجحيم. الديتوكس هو الاستلقاء على السرير ومشاهدة الثواني تمر واحدة تلو الأخرى، وأنت تعلم أنك لست بخير ولم تقرب حتى من تلك الحالة. عندما أتخلص من سمومي بالديتوكس، أشعر وكأنني أموت. أشعر أن ذلك العذاب لن ينتهي. وكأن أحشائي تحاول الزحف والخروج من جسدي. أرتعش وأعرق. لست كطفل لم يأخذ دواء كي يشعر بتحسن. أكون قد اتخذت قرارًا بأن أظل مخمورًا ومخدّرًا لمدة أربع ساعات وأنا أعلم أنني سأقضي بسبب ذلك سبعة أيام في هذا الجحيم. (ذكرت من قبل أنني متهور في ذلك الأمر، صحيح؟). أحيانًا، كنت أظل حبيسًا لأشهر من أجل كسر تلك الدائرة المفرغة.

عندما أتبع الديتوكس، تصبح كلمة «بخير» بعيدة المنال. ولن تراه حتى في كروت هولمارك للمعايدة. أتوسل إليهم كالطفل من أجل أي دواء يسهل عليّ الأعراض - شخص بالغ يبدو رائعًا على غلاف مجلة People وفي الوقت نفسه يتوسل من أجل الراحة. قد أتخلى عن أي شيء من أجل هذا الشعور؛ كل سيارة، وكل منزل، وكل الأموال، فقط من أجل إيقاف الألم -

وعندما تنتهي فترة الديتوكس، أتحمم في الراحة، وأقسم مرارًا وتكرارًا أنني لن أضع نفسي في هذا الوضع مرة أخرى. حتى أجد نفسي في الوضع نفسه بعدها بثلاثة أسابيع. إنه جنون. أنا مجنون.

وكالطفل الصغير، لم أرد أن أعالج داخليًا لمدة طويلة، فإذا كان الأمر سينتهي بقرص دواء صغير، فحسنًا، هذا أسهل، وهو ما ترعرعت عليه.

في شهري التاسع، قرر والداي أنها انتهت من علاقتها، فأجلساني في كرسي السيارة في ويليامز تاون، وذهب ثلاثتنا بالسيارة إلى الحدود الكندية، في رحلة مدتها خمس ساعات ونصف. أستطيع فقط أن أتخيل الصمت في تلك الرحلة بالسيارة. لم أكن قد بدأت التكلم بالتأكيد. ولكن الحبيين السابقين اللذين يجلسان في الكرسيين الأماميين قد اكتفيا من الحديث مع بعضهما بعضًا. صمت يصم الأذان. يبدو أن أمرًا جليلًا قد

حدث. في الخلفية، امتدت سلسلة شلالات نياجرا وصدر منها صوت من على بعد، انتظرنا جدي لأمي وارن لانجفورد، الذي يبدو كجندي، كان يسير إلى الأمام وإلى الخلف، ويدب بقدميه في الأرض محاولاً أن يظل دافئاً، أو محبطاً، أو كلاهما. كان يلوح لنا بمجرد أن وصلنا، وكأننا كنا بصدد بدء إجازة ممتعة. يثيرني الفضول للغاية لأرى تعبيره حينئذ، ولكن قيل لي إن أبي أخرجني من كرسي السيارة، وحملني لذراعي جدي، وبهذا تحلى عني أبي تقريباً، أنا وأمي. ثم خرجت أُمِّي من السيارة أيضاً، ووقفنا أنا وأمي وجدي نستمتع لصوت هدير المياه بشلالات نياجرا ورأينا أبي يسرع بسيارته مبتعداً، للأبد.

يبدو أننا لم نكن سنعيش معاً في المنزل المشروخ الصغير⁽⁶⁾ بعد كل هذا. أتخيل وقتها أنني قيل لي إن والدي سيعود قريباً.

وأظن أن أُمِّي قالت: «لا تقلق، إنه ذاهب للعمل يا ماتسو. حتماً سيعود».

بينما قال جدي: «هيا بنا أيها البطل الصغير، لنلحق بجذتك، لقد أعددت لك السباغيتي المفضل لديك على العشاء».

كل الآباء يذهبون إلى العمل، ودائماً ما يعودون. هكذا يكون الوضع الطبيعي. لا شيء يدعو للقلق. لا شيء يدعو إلى مغص حاد، أو إدمان، أو شعور لمدى الحياة بالتخلي أو أنني لست كافياً أو أنني أعاني قلة الراحة أو أنني في أمس الحاجة للحب أو أنني لا أهم.

أسرع والدي بالسيارة ذاهباً إلى مكان لا يعلمه إلا الرب. لم يعد من العمل في ذلك اليوم الأول، ولا اليوم التالي. تمتيت أن يعود بعد ثلاثة أيام، أو ربما بعد أسبوع لاحق، أو شهر، ولكن بعد ستة أسابيع توقفت عن انتظاره. كنت صغيراً جداً كي أفهم أين تقع كاليفورنيا، ومعنى أنه «ذهب لتحقيق حلمه بأن يكون ممثلاً»؛ ماذا يعني «أن يكون ممثلاً» بحق الجحيم؟ وأين أبي بحق الجحيم؟

أبي، الذي أصبح لاحقاً أباً رائعاً في حياتي، ترك ابنه الرضيع مع امرأة في الواحد والعشرين من عمرها، والتي كان يعرف أنها صغيرة جداً كي ترعى طفلاً بمفردها. أُمِّي شخصية رائعة، وعاطفية، ولكنها كانت صغيرة جداً آنذاك. كانت مثلي تماماً، لقد هُجرت أيضاً عند ساحة الانتظار عند الحدود الأمريكية الكندية. حملت في أُمِّي وهي في العشرين من عمرها وعندما بلغت الواحدة والعشرين من العمر، أصبحت أمّاً وعزباء. إذا كنت مكانها وصار لديّ طفل في سن الواحدة والعشرين، لحاولت أن أبتلعه. لقد فعلت كل ما بوسعها، وهو ما يقول الكثير عن شخصيتها، ولكن مع ذلك، لم تكن مؤهلة لتلك المسؤولية، كذلك أنا لم أكن مؤهلاً أن أتعامل مع أي شيء، أن أولد في الحياة وهكذا.

في الواقع، لقد هُجرت أنا وأُمِّي قبل حتى أن نعرف بعضنا بعضاً جيداً.

مع رحيل أبي، تفهمت سريعاً أنني يجب أن أَلعب دوراً في المنزل. كان دوري أن أسلي، أتملق، أسعد، أن أجعل الآخرين يضحكون، أن أريح، أن أرضي، أن أكون المهرج لكل الجمهور بالمنزل. حتى عندما فقدت جزءاً كاملاً من جسمي، تحديداً في تلك الفترة.

لقد كان «الفينو باربيتال» في ظهري، تلاشت آثاره تماماً كالصورة التي أتذكرها لوجه أبي، وقد تم الزج بي بأسرع ما يمكن في مرحلة الطفولة، وتعلمت في تلك الفترة أن أكون الشخص الراعي في البيت.

عندما كنت بالحضانة، أغلق طفل غبي الباب على يدي، وبعد أن توقفت نافورة دم هائلة عن النزيف مثل الألعاب النارية، فكر أحدهم في أن يضع ضمادة لي ويأخذني للمستشفى. وهناك كان واضحًا أنني فقدت العقلة الأولى من إصبعي الوسطى. استدعيت أمي إلى المستشفى بسرعة. جاءت منهارًا في البكاء (مفهوم طبعًا)، وجدنتي جالسًا على نقالة وضمادة ضخمة على يدي. قبل أن تتفوه بأي كلمة، قلت لها: «لا تبكي يا أمي، فأنا لم أبك».

ها قد صرت بالفعل المؤدي ومبهج البشر ومن يحاول إرضاءهم (من يدري؟ ربما قمت بأداء دور تشاندلر بينج المدهش من أجل تلك الجملة؟). حتى في الثالثة من عمري تعلمت أن أكون رجل المنزل. كان عليّ الاعتناء بأمي، حتى بعد أن فقدت عقلة من إصبعي. أعتقد أنني تعلمت في أول ثلاثين يومًا في حياتي أنني إذا بكيت، سيتم تحذيري، لذا قررت ألا أبكي؛ أو ربما أدركت أنني يجب أن أتأكد من أن أمي والجميع آمنون وبخير. وربما ببساطة كانت تلك مجرد جملة لعينة ورائعة بالنسبة إلى طفل صغير يجلس على نقالة المرضى كالبلبل.

لم يتغير الكثير. إذا أعطيتموني الأوكسيكوتين سأتمكن من الصمود، سأشعر أنني تم الاعتناء بي، وعندما يتم الاعتناء بي، أستطيع الاعتناء بالآخرين، وأكون حاضرًا وفي خدمة أي شخص. ولكن من دون العقاقير، أشعر أنني أخفني في بحر من اللاشيء، وهو ما يعني أنه مستحيل أن أكون مفيدًا أو في خدمة أي شخص في أي علاقة، لأن كل ما أفكر به هو أن أخطو الدقيقة القادمة، الساعة القادمة، اليوم القادم. هناك مرض الخوف غير المريح، شيء من عدم الكفاية. لسة من ذلك العقار مع قطرة من ذلك وسأصبح بخير، لا تستطيع أن تتذوق أي شيء وأنت مخدر.

(بالعودة إلى ما قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، كان مسموحًا للأطفال وللآباء الفضوليين أن يزوروا قمرة القيادة في الطائرة. فعندما كنت في التاسعة من عمري، قادوني إلى قمرة القيادة بالطائرة وكنت مندهشًا بالأزرار، وبالطيار، وبكم المعلومات لدرجة أنني نسيت أن أضع يدي في جيبي للمرة الأولى منذ ست سنوات. لم أظهرها من قبل؛ فكنت أخجل منها بشدة، ولكن الطيار لاحظها وقال: «أرني يدك»، مددتها له محرّجًا، فقال: «انظر هنا». واتضح أنه فقد الجزء نفسه في الإصبع الوسطى نفسها في يده اليمنى.

وها هو، الرجل الذي يقود تلك الطائرة بكل ما فيها، ويعرف كل ما تقوم به تلك الأزرار، ويعني كل المعلومات في قمرة القيادة، كانت عقلة إصبعه مفقودة أيضًا. ومنذ ذلك اليوم فصاعدًا - وأنا في الاثني والخمسين من عمري الآن - لم أخبئ يدي أبدًا. وفي الواقع، لأنني دخنت لسنوات عدة، لاحظ ذلك الكثيرون وتساءلوا عما حدث.

على الأقل صار لدي مجموعة من الأصدقاء الذين تقبلوا حادثة الباب؛ تلك الحادثة التي فقدت فيها عقلة إصبعي الوسطى جعلتني أشكو لسنوات بأنني لن أتمكن من أن أسب بالكامل وأنا أشهر إصبعي بل سأكتفي بقول «تبال...» فقط).

ربما فقدت والدي، ولم تعد لدي عشر أصابع كاملة، ولكن ما كنت أملكه حينذاك هو سرعة البديهة وفهم يتحدث بسرعة. بالإضافة إلى أم مشغولة للغاية، وشخصية مهمة، والتي بدورها لديها سرعة بديهة، وفهم...

حسنًا، أحيانًا كنت أعطي أمي محاضرات بكل سرور في أنها لا تعيرني اهتمامًا كافيًا، ودعونا فقط نقول إن الأمر لم يسر كما أريد. ومهم أن نذكر هنا أنني لا أستطيع الاكتفاء ببعض من الاهتمام وحسب، فمهما فعلت أمي، كان الأمر غير كافٍ بالنسبة إليّ. ودعونا لا ننسى أنها كانت تقوم بدور اثنين، بينما كان أبي العزيز منشغلًا بأحلامه ورغباته في لوس أنجلوس.

كانت سوزان بيرى (وقد أبقيت على اسم أبي في مسيرتها الاحترافية) مثل أليسون جيني في مسلسل The West Wing؛ متحدثة رسمية. كانت السكرتيرة الصحافية لبيير ترودو، رئيس الوزراء الكندي، ورحالة. (التقطت «ذا تورونتو ستار» صورة لهما وعلقت عليها كالآتي: «المساعدة الصحافية سوزان بيرى تعمل لصالح واحد من أشهر رجال كندا - رئيس الوزراء بيير ترودو - ولكنها سرعان ما أصبحت من المشاهير بظهورها بجانبه»). تخيل أنك أصبحت مشهورًا لمجرد أنك وقفت بجانب بيير ترودو. كان رئيس الوزراء اللطيف والاجتماعي الذي واعد باربارا سترايساند، وكيم كاترال، ومارجوت كيدر... وزعم سفيره في العاصمة من قبل أنه ذات مرة دعا ليس فتاة واحدة بل ثلاثًا على العشاء، ومن ثم كان هناك الكثير من الغزل لرجل واحد محاط بالكثير من النساء. لذلك شغلت وظيفة أمي أغلب وقتها، وتُركت وحدي لأتصارع مع مخاوفي الدائمة من الديمقراطية الغربية وفارسها صاحب الكاريزما العالية عندما أريد أن أحظى ببعض الاهتمام. (أعتقد أن العبارة الصحيحة هنا أنني كنت «طفلاً بلا رقابة»، وهو مصطلح جاف يعني أن تترك وحدك بحق الجحيم). ومن هنا، تعلمت أن أكون ساخرًا (السقوط على مؤخرتي، قول الجمل السريعة، تعرفون أسلوبى) لأنني اضطررت لأن أكون كذلك. كانت أمي مضغوطة دائمًا بسبب وظيفتها المؤرقة، وتهاجمها العواطف الجياشة بشدة (ناهيك عن هجرها)، بينما كنت أنا أهدئها كثيرًا بمزاحي وهو ما يجعلها قادرة على طهي بعض الطعام، والجلوس إلى مائدة العشاء معي، والاستماع إليّ، بعد استماعي إليها بالتأكيد. ولكنني لا ألومها على العمل، فقد كان لا بد من العمل لجلب الطعام إلى المنزل. ولكن هذا كان يعني أيضًا أنني قضيت وقتًا طويلاً وحدي. (كنت أحيانًا أتعمد أن أقول إنني «طفل وحيد» فيسمعي الناس بشكل خاطئ كأنني قلت «طفلاً متوحداً»).

إذًا، فقد كنت طفلاً سريع البديهة، ولديّ فم يتحدث بسرعة، ولكن كما ذكرت، كانت أمي تتسم أيضًا بسرعة البديهة والتحدث بسرعة (أتساءل من أين ورثت ذلك). كنا نجادل بعضنا كثيرًا، وكان يجب دائمًا أن تكون الكلمة الأخيرة لي. في إحدى المرات، تجادلنا وأنا واقف على السلم، ويومها أغضبتني أمي بشدة أكثر من أي مرة أخرى غضبت فيها بحياتي. (كنت في الثانية عشرة من عمري، ولا يمكنك أن تدفع أمك على السلم، لذا ارتد الغضب بداخلي، تمامًا كما حدث وأنا بالغ، حيث تحولت إلى إدمان الكحوليات والمخدرات حتى لا ألوم الآخرين).

لطالما كنت منبؤًا بشدة، لدرجة أنني كنت أسأل جدتي في كل مرة تحلق فيها طائرة من فوق منزلنا في أوتاوا: «هل أمي على متن هذه الطائرة؟»، لأنني كنت دائمًا قلقًا أن تختفي هي أيضًا، كما فعل والدي (ولكنها لم تفعل هذا قط). أمي جميلة حقًا، كانت تتألق كنجمة شهيرة في أي مكان تدخله. وهي حقًا السبب وراء أنني مضحك.

مع غياب والدي في كاليفورنيا، كانت أمي لا تزال جميلة، وذكية، وتتمتع بكاريزما وتتألق كنجمة في كل مكان تدخله، لذا كانت تواعد رجالاً وبالتالى هم يواعدونها، وبالتأكيد أجعل أنا من كل واحد من أولئك الرجال أباً. ومجدداً، عندما تظهر طائرة فوق بيتنا، أسأل جدتي: «هل (مايكل)، (بيل)، (جون) (ضع أي اسم لواحد ممن رافقتهم أمي) بهذه الطائرة؟» كنت أخسر أباً بشكل متواصل، ودائماً ما كنت أترك عند الحدود. صوت شلالات نياجرا الصاخب يصاحب أذني دائماً، ولا تقدر أي جرعة من الفينوباربيتال على إسكاته. كانت جدتي تنادينني دائماً كطائر الحمام، وتفتح لي علبة «كولا دايت» فأتذوق العرقسوس ويسد شعوري بالفقد.

أما أبي الحقيقي، فكان يتصل كل أحد، وهو ما كان شيئاً لطيفاً. بعد عمله مع فريق سيرينديبتي الموسيقي، بدأ يطور مهاراته الاستعراضية بالتمثيل، أولاً في نيويورك ثم في هوليوود. ومع أنه كان يمثل ما يطلق عليه «الرجل الرحالة»، فإنه عمل بخطوات ثابتة، حتى أصبح مشهوراً بـ«رجل الأولد سبايس». كنت أرى وجهه على التلفزيون أو في المجلات أكثر مما رأيته في الواقع. (ربما لهذا السبب أصبحت ممثلاً)، «أي رجل هذا الذي يصفر لحن إعلان أولد سبايس؟ إنه أبي!» كان يأتي هذا الصوت المذبلج من نسخة إعلان أولد سبايس لعام 1986 حيث يلف طفل أشقر صغير، بقصة شعر على شكل سلطانية، ذراعيه حول رقبة أبي الحقيقي. وتردد امرأة شقراء مبتسمة: «زوجي المثالي العملي»، ومع أن هذا من المفترض أن يكون مزحة، فإنها لم تكن مضحكة بالنسبة إليّ على الإطلاق. «يمكنك الاعتماد عليه كصديق...».

ثم لم يمر الكثير حتى وضعت شارة (قاصر بلا مرافق) حول رقبتني، وتم إرسالني إلى المطار لأسافر إلى لوس أنجلوس. كلما زرت أبي هناك، أجدّه في كل مرة شخصاً مرحاً، ذا كاريزما، جذاباً، ووسياً للغاية. كان مثالياً، حتى في هذه السن، أحببت فيه أشياء لا أتمتع بها. خلاصة القول، رغم كل شيء، كان أبي بطلي المفضل. في الواقع، كان بطلي الخارق، كلما خرجنا لتمشى، كنت أقول له: «أنت سوبرمان وأنا باتمان». (قد يحلل إحدى المعالجين النفسيين أننا لعبنا دور البطلين الخارقين بدلاً من دور الأب وماثيو، لأن أدوارنا الحقيقية تلك كانت محيرة جداً بالنسبة إليّ. لكنني لن أعلق على ذلك التحليل).

مرة أخرى، عودة إلى كندا، تتلاشى صورته ورائحة شقته مع مرور عدة أشهر. ثم يأتي عيد ميلادي مجدداً، وتفعل أمي كل ما في وسعها حتى تعوض عني غياب أبي. وفي كل عام عندما أقف أمام كعكة عيد ميلادي الكبيرة جداً المغطاة بعدة شموع تقطر على جانبيها، كنت أتمنى أمنية واحدة، أهمس بها في داخلي: أن يعود أبواي لبعضهما. ربما لو كانت حياتي المنزلية أكثر استقراراً، أو كان أبي موجوداً بجوارني، أو إذا لم يكن سوبرمان، ولم أكن أنا سريع البديهة وأتحدث بسرعة، أو إذا كان بيير ترودو... اللعنة، كنت سأصبح مرتاحاً طوال الوقت.

كنت سأصبح سعيداً، ولن تكون «الكولا دايت» ضرورية بل ستكون مشروباً لذيذاً يمكنني تذوقه. فمن دون العقار المناسب، كنت لا أشعر بالراحة طوال الوقت، وأفضل تماماً في علاقاتي العاطفية. وكما قال راندي نيومان: «الأمر يتطلب الكثير من العقاقير حتى أنظاها بأنني شخص آخر»، أعتقد أنني لست وحدي.

- مرحبًا، هل سوزان هنا؟

- نعم، من المتصل؟

- أنا بيير...

عندما رن الهاتف، كنت أنا وأمي في منتصف أفضل يوم قضيناه معًا. لعبنا طوال اليوم، لدرجة أننا حاولنا لعب «مونوبولي»، ولكنها من الصعب لعبها إذا كان هناك شخصان فقط، وبينما يحل الليل، وجدنا فيلم Annie Hall على تليفزيوننا الصغير، وضحكنا من قلوبنا على بيت وودي آلن في الفيلم الذي كان مبنياً تحت لعبة القطار السريع. (بالطبع لم أفهم المشاهد الجنسية والنكات عن العلاقات، ولكن في عمر الثامنة أستطيع أن أفهم العطسة التي تتكلف 2000 دولار من نوع من البودرة البيضاء).

تلك حقًا هي أفضل ذكريات الطفولة بالنسبة إليّ؛ الجلوس مع أمي ومشاهدة فيلم معًا. ولكن رئيس الوزراء يتصل الآن، لذا كنت على وشك أن أفقد أمي مجددًا. وبينما أخذت الهاتف لترد، سمعت صوتها يتحول بمهنية، صوت المتحدث الرسمي، صوت شخصية أخرى، صوت سوزان بييري، الذي هو في الواقع ليس صوت أمي.

أطفأت التليفزيون، وذهبت إلى سريري. أجبرت نفسي على النوم، دون الحاجة إلى الدواء المخدر، ومع ذلك، نمت بصعوبة حتى أضاءت الشمس نافذة غرفتي في أوتوا.

أذكر في تلك المرة أنني رأيت أمي في المطبخ تبكي وفكرت وقتها: لماذا لا تشرب وحسب؟ ولا أعلم كيف أتتني تلك الفكرة أن المشروب الكحولي سيوقف البكاء. بالتأكيد لم أشرب شيئًا كحوليًا في عمر الثامنة (ولكنني انتظرت مرور ست سنوات وحسب!)، ولكن الثقافة المحيطة بي علمتني أن الشرب يصحبه ضحك، ومتعة، وهروب من الألم. كانت أمي تبكي، لماذا لا تشرب وحسب؟ ستشعر بالثمالة ولن تشعر بشيء، أليس كذلك؟

ربما كانت تبكي لأننا تنقلنا كثيرًا، مونتريال، أوتوا، تورونتو. مع ذلك، قضيت معظم طفولتي في أوتوا. قضيت وقتًا طويلًا وحدي، أحيانًا بصحبة المربيات، ولكنهن لم يمكنن طويلًا أبدًا، لذا أضفتهن إلى قائمة من نبدوني... فأصبحت شخصًا مرحًا، وسريع الكلام، ولبقًا، حتى أنجو بنفسني.

نظرًا لعمل أمي مع بيير ترودو ووقوفها بجانبه، بالإضافة لجمالها، سرعان ما أصبحت مشهورة وعُرض عليها وظيفة تقديم الأخبار المحلية على قناة «جلوبال تي في» بتورونتو.

يا لها من فرصة! كانت تلك وظيفة لا يمكنها أن ترفضها. وكانت تؤديها جيدًا كذلك، إلى أن حدث ذات يوم قاموا بالترويج لمسابقة ملكة جمال. قالت أمي: «أنا واثقة أنني سألتصق دومًا بذلك الحدث»، قالتها على سبيل المزاح، وكانت جملة سيريالية قليلًا بما أنها كانت ملكة جمال سابقًا، لكنها طردت من وظيفتها في تلك الليلة.

لم أكن سعيدًا بانتقالي إلى تورونتو، فأولًا لم يتم أخذ اعتباري في القرار. بالإضافة أنني لن أتمكن من رؤية أصدقائي مجددًا. كانت أمي حاملًا في شهرها التاسع، وقتها كانت متزوجة من المذيع الكندي الشهير كيث

موريسون الذي يقدم برنامج Canada AM ، نعم، إنه هو، صاحب الشعر المميز ببرنامج Dateline في قناة إن بي سي. وقد تم اختياري لأسلم أمي لعريستها في حفل الزفاف. كان ذلك خيارًا غريبًا، مجازيًا وحرفيًا. فيما بعد، حظيت بأخت جميلة! كانت كايتلين ألطف ما يكون، أحببتها على الفور. أصبحت لدي عائلة تكبر من حولي، ولكنني لم أشعر أنني جزء منها. في تلك المرحلة تحديدًا، أصبحت على دراية تامة بأن أقول اللعنة... كل شخص مسؤول عن نفسه! هنا بدأت أتخذ سلوكًا سيئًا؛ حصلت على درجات سيئة، بدأت أدخن، ضربت ابن بيير، جاستن ترودو (وهو رئيس الوزراء الكندي الحالي). (قررت أن أنهي جدالي معه عندما علمت أن لديه جيش تحت إمرته الآن). قررت أن أعيش بعقلي، وليس بقلبي. أن أعيش بعقلي أفضل، على الأقل لن ينكسر مثل قلبي، لا مزيد من الانكسار. تغيرت كثيرًا، صار كلامي أسرع، ولم يستطع أحد الاقتراب من قلبي. لا أحد على الإطلاق. كنت أبلغ من العمر عشر سنوات.

في الصف السابع، عدنا مجددًا لأوتاوا، إلى حيث ننتمي. بدأت أرى قوة إضحاك الناس. في مدرسة أشبوري، من بين كل رفاقي في الصف الثانوي في أوتاوا، تمكنت من تأدية دور راخام كفاصل بين الحصص، الذي قام بدور «أسرع مصوب مسدس في الغرب» في مسرحية بعنوان حياة وموت سنيكي فيتش⁽²⁾، والمنظمة على يد معلم الدراما، جريج سيمبسون. كان دورًا كبيرًا، وأحببته بشدة؛ إضحاك الناس كان بمثابة كل شيء بالنسبة إليّ. كان ذلك خريز المياه الذي تحول إلى موجة كبيرة. كان كل هؤلاء الآباء والأمهات يدعون أنهم مهتمون بأداء أطفالهم، إلى أن - بوم! - يأتي ذلك الفتى ييري ويجعل الناس يضحكون بحق. (من بين كل المخدرات، ما زالت تلك القدرة هي الأعظم تأثيرًا، إنها قادرة على الأقل على إسعادي). أن أكون نجم مسرحية حياة وموت سنيكي فيتش كان أمرًا هامًا جدًا بالنسبة إليّ لأنه منحني شيئًا جديدًا لأبرع فيه.

اهتممت بشدة بما يقوله عني الغرباء - وما زلت - في الحقيقة إنها واحدة من أهم سمات حياتي. أتذكر أنني توسلت إلى أمي كثيرًا لتقوم بدهان سطح بيتنا باللون الأزرق حتى يظن الناس المحلقون في طائرات فوقنا أننا نمتلك حمام سباحة عندما ينظرون إلى السطح. ربما يكون بالطائرة طفل قاصر بلا مرافق في الطائرة قد ينظر إلى الأسفل ويطمئن برؤية المشهد.

ومع أنني الآن صرت أختًا كبيرًا، إلا أنني كنت طفلًا سيئًا. ذات عام، ذهبت لخزانة الملابس قبل عيد الميلاد المجيد لأكتشف هداياي، سرقت أيضًا المال، ودخنت المزيد من السجائر، وازدادت درجاتي سوءًا. وفي مرحلة ما، قام المدرسون بجعل التختة الخاصة بي مواجهة للجدار عند نهاية الفصل لأنني كنت أتحدث كثيرًا وأحاول طوال الوقت إضحاك الناس. قال لي أحد المدرسين دكتور ويب: «إذا لم تغير من أسلوبك، لن تصل إلى أي شيء في الحياة»، (هل يجب عليّ أن أعترف أنني عندما ظهرت على غلاف مجلة People، أرسلت نسخة إلى دكتور ويب، وكتبت عليها ملحوظة: «أعتقد أنك كنت مخطئًا»؟ لا، ستكون فظاظه مني). بصراحة، لقد فعلت ذلك.

كما عوضت عن درجاتي السيئة بحصولي على أذوار البطولة في كل المسابقات وتصنيفي على المستوى المحلي في لعب التنس.

علمني جدي لعب التنس وأنا في الرابعة من عمري، ومع الوقت عندما أصبحت في الثامنة من عمري علمت كيف يمكنني هزيمته، ولكنني انتظرت حتى سن العاشرة. كنت ألعب يوميًا من ثماني إلى عشر ساعات، وأقضي ساعات طويلة أضرب الكرة على اللوحة الخلفية أيضًا، متظاهرًا أنني جيمي كونورز⁽⁸⁾. لعبت مباريات وأشواط كثيرة، كل طلقة إرسال مني كانت مثل كونورز، وكل ارتداد من اللوحة الخلفية كانت كجون ماكنرو⁽⁹⁾. أضرب الكرة التي أتت فوقتي، أرميها بمضربي، بعدها أضع المضرب وراء ظهري في حقيبة الظهر. عرفت أن احترافي في ويمبلدون هو مسألة وقت، فكنت أتخيل أنني أومئ برأسي بلطافة وتواضع للمعجبين، وأتأرجح قبل الذهاب للعب خمسة أشواط أمام ماكنرو، ومنتظرًا بصبر بينما يقوم هو بتوبيخ الحكم البريطاني، قبل أن أقضي عليه بتمريرة ضربة خلفية وأفوز بالبطولة. ثم أتخيل أنني أقبل الكأس الذهبية وأشرب كوبًا من ماء روبنسون بارلي، وهو ما أفضله أكثر بكثير عن مياه دكتور بيبر. حينئذ سأحظى باهتمام أمني بالتأكيد.

(كانت مباراة النهائي بويمبلدون، عام 1982، عندما اقترب جيمي كونورز من الفوز على جون ماكنرو المفضل لديّ، أكثر مباراة مفضلة لديّ على الإطلاق. احتل جيمي غلاف مجلة سبورتس إلاستريتيد بعد الانتصار، وضعت صورته في إطار وعلقتها على الحائط حتى يومنا هذا، كنت أعتبره أنا في ذلك اليوم، كلانا فائزان).

أما في المباريات الحقيقية على أرض الواقع، لعبت في نادي روكليف لون للتنس في أوتاوا. يجب أن ترتدي ملابس بيضاء بالكامل في النادي. في مرحلة ما، كانت هناك لافتة مكتوب عليها (بيضاء فقط) معلقة على مدخل النادي لدرجة أن أحدهم اعتقد أنها قد تحمل معنى سيئًا. (تم تغيير اللافتة بعدها سريعًا حتى أصبحت «ملابس بيضاء فقط» وسارت الأمور على ما يرام مع الجميع). كانت هناك ثنائية ملاعب، أغلب من يملأونها من طلاب السنة الأخيرة، فكنت أقضي طوال اليوم هناك، منتظرًا في حالة عدم ظهور أحد اللاعبين فأحل محله. أحبني اللاعبون الكبار، لأنني كنت بارعًا في إرسال كل الكرات ولكنني كنت عصبيًا بحدّة لدرجة أنني كنت أرمي مضربي وأسب وأنهار سريعًا، وإذا كانت الخسارة كبيرة، كنت أبكي. كان هذا عادة يسبق عودتي للفوز؛ حيث تبقى لي دورة في المباراة والنتيجة 1-5 - أربعون نقطة مقابل لا شيء - أبكي ثم أعود للفوز مرة أخرى بفارق ثلاث نقاط. كنت أبكي كثيرًا ولكن في قرارة نفسي كنت أقول: «سأفوز، أعرف أنني سأفوز». الفوز لم يكن ضروريًا للآخرين.

في سن الرابعة عشرة، كنت مصنّفًا على المستوى المحلي في كندا... ولكنه كان العام نفسه الذي بدأ فيه شيء آخر.

احتسيت أول مشروب كحولي في سن الرابعة عشرة. قاومت قدر المستطاع.

في تلك الفترة، كنت أتسكع كثيرًا مع صديقين وهما أخان، كريس وبرايان موراي. وبطريقة ما، منذ الصف الثالث، طورنا طريقة للمزاح في أثناء الحديث، فنقول: «هل يمكن أن يكون الجو أكثر سخونة؟»، أو

«هل يمكن أن يكون المعلم أكثر سخافة؟»، أو «هل يمكن أن نعاقب أكثر من ذلك؟»⁽¹⁰⁾، ذلك أسلوب في الحديث قد تدركه جيداً إذا كنت من معجبي مسلسل «فريندز»، أو إذا كنت قد لاحظت أسلوب الحديث الساخر في أمريكا في آخر عشرين عاماً تقريباً. (لا أرى ذلك مبالغة إذا قلت إن شخصية تشاندلر بينج ربما غيرت من أسلوب الحديث في أمريكا). وللتوثيق: هذا التحول جاء مباشرة من ماثيو بيري، وكريس موراي، وبرايان موراي وهم يتسكعون في كندا في الثمانينات. لقد أصبحت غنياً بسبب هذا الأسلوب وحسب. ومن حسن حظي أن كلاً من كريس وبرايان لم يحاسباني على ذلك، ولا يزالان من أصدقائي المقربين والمرحين.

ذات ليلة، كنا نحن الثلاثة نتسكع في حديقة منزلنا الخلفية. ولم يكن أحد بالمنزل، وبالأعلى أشرفت الشمس من بين السحب، لم يعلم أي منا أن هناك شيئاً مهماً للغاية على وشك الحدوث. كنت أستلقي على عشب وطن كندا، ولا أعلم أيّاً مما سيحدث.

هل يمكن أن أكون أكثر جهلاً؟

قررنا أن نحتمي مشروباً كحولياً. لا أتذكر من هو صاحب الفكرة، لكننا جميعاً لم نكن على دراية بها ورتنا أنفسنا فيه. أحضرنا ست علب من بيرة «بدويزر»، وزجاجة نبيذ أبيض يدعى «أندريس بيبي داك». تناولت النبيذ بينما تناول الأخوان موراي البيرة. حدث كل هذا في مكان مفتوح. بالمناسبة، كنا نجلس في حديقة منزلنا الخلفية. ولم يكن أهلي بالمنزل - مفاجأة - فبقينا هناك.

خلال خمس عشرة دقيقة، شربنا كل المشروبات الكحولية. كان الأخوان موراي يتقيان من حولي، بينما ظللت أنا مستلقياً على العشب، ثم حدث شيء غريب معي. جعلني ذلك الشيء جسائياً وعقلياً أشعر أنني مختلف عن باقي رفاقي. كنت أستلقي على العشب والطين، وأنظر للقمر، محاطاً بما تقيأه الأخوان موراي للتو، وأدركت للمرة الأولى في حياتي أنه لم يزعجني شيء. لقد أصبح العالم ذا معنى؛ لم يعد عالماً مجنوناً ومؤملاً. لم أشعر أنني ينقصني شيء، وفي حالة سلام نفسي. لم أكن سعيداً في حياتي بقدر تلك اللحظة. فكرت: وجدتها، هذا هو ما كنت أفتقده. لا بد أن هذا هو ما يشعر به الناس العاديون دائماً. لا أعاني أي مشكلات حالياً، لقد تبخرت كلها، لا أحتاج للاهتمام، فقد تم الاعتناء بي، أنا بخير».

كنت في نعيم، لم أعانِ أي مشكلات لمدة ثلاث ساعات. لم أكن منبوذاً، لم أتشاجر مع أمي، لم أقم بمشاغبات في المدرسة، لم أفكر في الحياة، وفي دوري فيها. لقد أزال النبيذ كل الهموم.

وبما أنني أعرف الآن التطور الطبيعي لمرض الإدمان، من المدهش أنني لم أشرب في اليوم التالي، واليوم الذي تلاه أيضاً، لم أشرب، وانتظرت، لم تلاحقني كارثة الكحول بعد. لذا لم تدفعني الليلة الأولى للشرب بشكل منتظم، ولكنها بالتأكيد زرعت البذرة بداخلي.

يمكنني أن أفهم أن المشكلة الأساسية كانت تكمن في الآتي: لقد افتقرت لوجود كل من التوجيه النفسي والقدرة على الاستمتاع بأي شيء. ولكن في الوقت نفسه، كنت مدمناً للإثارة، وهو مزيج سام لم أتمكن من التعامل معه بتوازن.

لم أعرف ذلك وقتها بالطبع، ولكن إذا لم يكن من عادتي أن أبحث عن الإثارة، أو أن أشعر بالإثارة، أو بالثمالة، لما استمتعت بأي شيء على الإطلاق. إن أفضل كلمة تصف ذلك هي «انعدام التلذذ» Anhedonia، وهي كلمة وشعور بسببهما قد أنفق ملايين الدولارات في دور التأهيل ومراكز العلاج لأكتشفها وأستوعبها. ربما لهذا السبب كنت أفوز في مباريات التنس وأنا على وشك الخسارة بفارق نقاط بسيط. ربما لذلك فعلت كل ما فعلته. بالمناسبة، كلمة Anhedonia كانت العنوان الأول لفيلمي المفضل، الفيلم الذي استمتعت أنا وأمي بمشاهدته معاً؛ «آني هال». أعتقد أن وودي آلن يفهم المصطلح، ويفهمني.

ساعات الأمور بالمنزل كثيراً. حظيت أُمي بعائلة جديدة ورائعة مع كيث. وولدت أختي إيميلي، كانت شقراء ورقيقة مثل زر قميص صغير. وتاماً مثل أختي كايتلين، أحببتها على الفور. مع ذلك، ظللت كمن ينظر للمشهد من الخارج، ظللت ذلك الطفل الذي يخلق بين السحب إلى مكان آخر بلا مرافق. كنا نتشاجر أنا وأمي طوال الوقت، ولعب التنس أصبح الشيء الوحيد الذي أسعد به، ومع ذلك، كنت أغضب، أو أبكي، حتى لو فزت بالمباراة. ما الذي قد يفعله شخص مثلي آنذاك؟

هنا يأتي أبي. أردت التعرف عليه. حان وقت الانتقال الجغرافي الكبير.

نعم، لوس أنجلوس، وأبي، وحياة جديدة كانوا ينادوني. ولكنني كنت في الخامسة عشرة من عمري، ورحيلي سيضعف بحياتي في المنزل، وسيكسر بخاطر أُمي. ولكنها لم تأخذ برأيي عندما أرادت أن تتزوج كيث وتنتقل إلى تورونتو وتنجب طفلين... وفي كندا، كنت أشعر بالغضب، وأبكي، وأحتسي المشروبات الكحولية، وأتشاجر مع أُمي، ولم أكن جزءاً حقيقياً من العائلة، وأخفقت في المدرسة، ومن يهتم على أي حال إذا كنت سأرحل قريباً؟ وهكذا. اللعنة، لقد كنت أيضاً فتى يريد أن يتعرف أكثر على أبيه.

قررت الرحيل. تناقش والداي في ذلك الأمر، وتساءلا إن كانت لوس أنجلوس أفضل لي من حيث مسيرتي في احتراف التنس. (لم أكن أعرف أنه في جنوب كاليفورنيا، سأصبح لاعباً متمكناً، وأن المعايير عالية جداً في ذلك المكان حيث يمكنك اللعب هناك لمدة 365 يوماً في السنة، على عكس كندا، فإذا لعبت هناك لبضعة أشهر قبل أن تأتي التربة الصقيعية، ستكون محظوظاً). لكن تلك الفكرة؛ قراري بالرحيل، ترك أثراً سلبياً كبيراً في عائلتي.

في الليلة السابقة لسفري، كنت جالساً في قبو منزلنا، حيث نمت هناك تلك الليلة فقط، والتي اتضح أنها واحدة من أسوأ الليالي في حياتي. فبالأعلى في المنزل نفسه، كان الجحيم يتخمر بالأعلى؛ كانت هناك أبواب تغلق بعنف، وهسهسة أحاديث، وصراخ من حين لآخر، وخطى متسارعة، وطفلة تبكي، ولم يوقف أحد كل هذا. نزل جدي وجدتي بدورهما إليّ وصرخا في، وبالأعلى، كانت أُمي تصرخ وتبكي، ثم بكت الطفلتان، وأخذ جدي وجدتي يصرخان، وبدورهما صرخت الطفلتان، بينما قبعت أنا بالأسفل، صامتاً، ومنعزلاً، ومصمماً، وخائفاً، وبلا مرافق، ومرتبعباً. كان أولئك الكبار الثلاثة أصحاب الكلمة العليا ينزلون إليّ ويقولون لي مراراً وتكراراً إنني كسرت قلوبهم وخاطرهم بالرحيل. ولكنني لم أملك خياراً آخر؛ لقد ساءت الأمور للغاية. كنت إنساناً محطماً.

محطماً؟ بل مكسوراً أيضاً.

في الصباح التالي في وقت مبكر، كانت أمي لطيفة جدًا معي لدرجة أنها أفلتني إلى المطار - لا بد أن تلك التوصيلة كانت صعبة جدًا عليها - ورأيتني وأنا أحلق عاليًا وبعيدًا عنها لبقية حياتها. كيف تملكنتني الجراءة لأفعل ذلك؟ كان أمرًا يفوق إدراكي. ما زلت أتساءل إذا كان ذلك قرارًا سليماً أم لا.

ما زلت قاصراً بلا مرافق - ولكنني صرت محترفاً وقتها - وسافرت إلى لوس أنجلوس للتعرف على والدي. كنت خائفاً بشدة لدرجة أن أجواء هوليوود لم تتمكن من تهدئتي، ولكنني بعد قليل سأرى أضواء المدينة وسيكون لي أب مجدداً.

فنان مشهور بأعماله الفنية في الشوارع (الترجمة).

يقصد بذلك الاسم تديلاً لنفسه (الترجمة).

إشارة إلى رواية الأطفال The little Crooked House (الترجمة).

نشرت هذه المسرحية لأول مرة عام 1995 بعنوان The Death and Life of Sneaky Fitch وهي من تأليف James L. Rosenberg (المراجعة).

أسطورة التنس الأمريكي. كان المصنف الأول عالمياً لمدة 160 أسبوعاً بين الفترة الممتدة من يوليو 1974 حتى أغسطس 1977 (المراجعة).

لاعب تنس أمريكي يلعب باليد اليسرى. كان من أفضل لاعبي التنس خلال الثمانينيات (المراجعة).

اقتبس ماثيو بيري أسلوب المزاح ذاك في شخصية تشاندلر بينج في مسلسل «فريندز» وأصبح من أشهر «الإيفيات» التي يرددها معجبو المسلسل، مثال على ذلك: Could you want her more؟ (هل تريدها بشدة؟) في الموسم الأول من المسلسل الحلقة 18، و Could I be more، و sorry؟ (هل يمكنني أن أشعر بالأسف أكثر من ذلك؟) في الموسم الخامس الحلقة 10 (المراجعة).

فاصل نيويورك

أول شيء فعلته عندما عدت إلى منزلي بعد الخمسة أشهر التي قضيتها في المستشفى هو أنني أشعلت سيجارة. بعد كل هذا الوقت، شعرت أن شهيق دخان السيجارة وهو يتغلغل في صدري كان كأول مرة شربت فيها سيجارة في حياتي. شعرت أنني عدت إلى أرض الوطن.

لم أعد أشعر بالألم، كانت العملية الجراحية الكبيرة قد تركت أثرًا عميقًا ببطني، ما جعلني أشعر سابقًا بالألم في بطني لأنني كنت مستقلقيًا على ظهري 24 ساعة يوميًا طوال أيام الأسبوع، ولكنه لم يكن ألمًا بقدر ما كان شعورًا بالضيق.

لكن لا داعي لقول الحقيقة لأحد، لذا أخبرت الجميع أنني أتألم لأحصل على مسكن الأوكسيكوتين. وبعد فترة وجيزة، لم تعد الثمانين ملليجرامًا يوميًا من الأوكسيكوتين، الذي خدعتهم من أجل الحصول عليه، تجدي نفعًا، واحتجت إلى المزيد. وعندما طلبت المزيد من الأطباء، رفضوا، لذا عندما طلبته من مروج مخدرات، وافق. كل ما فكرت فيه حينها هو إيجاد طريقة للنزول أربعين طابقًا من شقتي «البنتهاوس» الفاخرة العلوية التي تقدر بعشرين مليون دولار دون أن تلاحظني إيرين. (أقسم أنني اشترت هذه الشقة لمجرد أن بروس واين كان يعيش في شقة مثلها في فيلم The Dark Knight).

في الشهر التالي، حاولت أن أفعل ذلك أربع مرات. وتم الإمساك بي - نعم، تخمينكم صحيح - أربع مرات. كنت فاشلاً للغاية في ذلك. عادة، تأتي المكاملة من الأعلى أن ذلك الرجل يحتاج للذهاب لدار إعادة التأهيل مرة أخرى. لذا...

بعد أن انفجر قولوني، أجريت العملية الجراحية الأولى، وكان عليّ أن أرتدي كيس فغر قولون جذاب للغاية، كان شيئًا ارتديته ولم أستطع خلعه تمامًا. ثم كانت هناك جراحة أخرى مطلوبة، وهي إفراغ الكيس، ولكن ما بين العمليتين الجراحتين، مُنعت من التدخين (ينتهي الأمر عادة بالمدخنين بندبات قبيحة للغاية، ومن هنا يأتي النقد اللاذع). هذا ناهيك عن أنني فقدت الستين الأماميتين، فمجرد قضمة لقطعة من خبز التوست بزبدة الفول السوداني كانت كفيلة لأن أكسرها، ولم يكن لديّ الوقت بعد لإصلاحهما.

دعوني أفهم بوضوح، هل تطلبون مني أن أمتنع عن المخدرات وأقلع عن التدخين في آن واحد؟ اللعنة، أنا لا أهتم بتلك الندبات، أنا مدخن شره، لذلك أنتم تطلبون الكثير، وهو ما يعني أنني يجب أن أعود لدار إعادة التأهيل مرة أخرى في نيويورك، وأمتنع عن تناول الأوكسيكوتين، وأقلع عن التدخين، كل هذا معًا، ما أثار خوفي.

عندما ذهبت لدار إعادة التأهيل، أعطوني دواء سايبوتكس كمخدر مزيل للسموم، لذا لم يكن ذلك سيئًا. سجلت الدخول لغرفتي، وبدأت المسيرة. ومع اليوم الرابع، كنت على وشك أن أفقد عقلي، كان ذاك اليوم

الأصعب على الإطلاق. أيقنت كم كان الأمر جادًا في مسألة التدخين أيضًا. لذا قررت أن أدخن في أثناء فترة التخلص من السموم، ولكن بمجرد انتقالني بالأعلى للطابق الثالث، وجب الامتناع تمامًا عن التدخين. أصروا على أن أبقى محجورًا في الغرفة فلا أتمكن من الخروج على الإطلاق. كنت في الطابق الثالث، يحيطني منظر نيويورك بضجيجها البعيد، تملؤها الحياة والعمل بينما نجمها المفضل يعيش في الجحيم مجددًا. إذا أرهفت السمع، يمكنني سماع صوت مترو الأنفاق، قطار F، قطار R، ويمكنني الشعور بمحطات 4، و5، و6 في الأعماق بالأسفل، أو ربما كان ذلك ضجيجًا من شيء آخر، شيء قد يكون مرعبًا، وخفيًا، ولا يمكن وقفه.

كانت دار إعادة التأهيل بمثابة سجن، كنت مقتنعًا بذلك. سجن حقيقي، ليس مثل ذلك الذي صنعتها بنفسني من قبل. طوب أحمر، وقضبان حديد سوداء. بطريقة ما، شققت طريقي إلى السجن. لم أخالف القانون يومًا - حسنًا، في الواقع لم يتم القبض عليّ أبدًا - ومع ذلك، ها أنا هنا، في هذا الحجز، السجن، في ذلك المكان الأشبه بمنزل د. (11) فاقدًا لسنتي الأماميتين، حتى بدوت مثل المتهم، وبدا جميع الاستشاريين من حولي كحراس أمن. حتى أنهم كانوا يطعمونني من خلال فتحة في باب مغلق.

كرهت المكان بأكمله، لم يعلموني أي شيء. كنت أخضع للعلاج التأهيلي منذ سن الثامنة عشرة، وبصراحة، في ذلك الوقت، لم أشعر بالحاجة للمزيد من العلاج التأهيلي، وكل ما احتجته هو سنتاي الأماميتان، وكيس فغر للقولون لا يتمزق. فإذا قلت إنني صحوت من نومي مغطى بغائطي، فهذا يعني أن الأمر تكرر من خمسين إلى ستين مرة. وفي الصباح، عندما لا يتمزق ذلك الكيس، ألاحظ شيئًا آخر؛ فبمجرد استيقاظي، أنعم بثلاثين ثانية من الحرية، تلك التي أزيل فيها ببطء آثار النوم من عيني وأدرك الواقع الذي أصطدم به وأجهش في البكاء لدرجة تجعل ميريل ستريب تغار مني.

أوه، أنا بحاجة إلى سيجارة، هل ذكرت ذلك؟

كنت أجلس في غرفتي أمر بشيء الرب وحده يعلمه، في يومي الرابع، أشعر بشيء يضربني، ولا أعلم ماذا. كان يضربني من الداخل. ظللت أخضع للعلاج التأهيلي لأكثر من ثلاثين عامًا، ومع ذلك لم أتعلم منه شيئًا جديدًا، كان عليّ أن أخرج النيكوتين من عقلي، لذا خرجت من زنزانتني، ونزلت، بلا هدف، دون أن أعلم ما الذي أفعله أو إلى أين سأذهب.

أعتقد أنني كنت أحاول الخروج من جسدي.

أعلم أن جميع المعالجين كانوا موجودين أسفل الطابق الذي قبعت فيه، ولكنني قررت ألا آخذ المصعد وأن أنزل على السلم. لم أدري ماذا يحدث، حتى يومنا هذا لا أستطيع أن أصف ما حدث، غير أنني كنت في حالة ذعر، ارتباك، وقليلًا من الشرود، وهنا يظهر ألم عميق جديد، ليس ألمًا بحق، ولكنه أشبه به. ارتباك تام. رغبت في التدخين بشدة. لذا توقفت، على ذلك السلم، وفكرت في كل سنوات العذاب، وحقيقة أن سطح حديقتنا لم يدهن إطلاقًا بالأزرق، وبير ترودو اللعين، وحقيقة أنني في تلك اللحظة ما زلت كما أنا؛ قاصرًا بلا مرافق.

بدا أن كل الأحداث السيئة بحياتي ظهرت أمامي فجأة.

لن أقدر أبدًا على وصف ما حدث لاحقًا بالضبط، ولكن فجأة، بدأت أضرب رأسي بالجدار، بأقصى قوتي. خمس عشرة نقطة مقابل لا شيء، ضربة! ثلاثون نقطة مقابل لا شيء. ضربة! أربعون نقطة مقابل لا شيء، ضربة! وكأنني في مباراة. مع ضربة تلو الأخرى، ورأسي الذي كان يمثل الكرة في ضربة تلو الأخرى، والجدار الأسمتي هو الملعب، يرتد الألم ويعود مرة أخرى، أرفع رأسي، وأضربه مرة أخرى في الحائط، يغطي الدم الجدار الأسمتي ووجهي، منهيًا الضربة القاضية صارخًا: «مباراة، شوط، لعبة، قاصر بلا مرافق، ستة مقابل لا شيء، أحتاج للحب، ستة مقابل لا شيء، أنا خائف من الحب». كان الدم في كل مكان.

بعد حوالي ثماني ضربات من تلك الضربات القاسية المخدرة للعقل، لا بد أن أحدهم سمعني، أوقفتني، وسألني السؤال المنطقي الوحيد:
«لماذا فعلت ذلك؟».

حدقت فيها، وأنا أبدو مثل بطل الملاكمة روكي بالبوا في مشاهدته الأخيرة، وقلت: «لأنني لم أجد شيئًا أفضل لأفعله».

كنا عند السلم.

فيلم شهير لروبن ويليامز (الترجمة).

جيل جديد ينطلق إلى السماء

بدا وكأن العالم بأكمله يمشي في صالات الوصول بمطار لوس أنجلوس الدولي ذلك الصيف. عالم كامل من مدربي صالات الألعاب الرياضية، والعدائين، ورماة القرص، وقافزي الزانة، ولاعبي كرة السلة، ورافعي الأوزان، وقافزي الحواجز، وأحصنتهم، وسباحين، ومبارزين، ولاعبي كرة قدم، وسباحين متزامنين هواة، وتغطية إعلامية من كل دول العالم، ومسؤولين ورعاة، ووكلاء... أوه، ولاعب هاوٍ للتنس في الخامسة عشرة من عمره من كندا، هجموا جميعًا على لوس أنجلوس في صيف عام 1984، شخص واحد منهم فقط كان يقوم بنقلة جغرافية كبيرة.

أقيمت في ذلك العام دورة الألعاب الأولمبية بلوس أنجلوس، في ذروة الجو المشمس، والتميز العضلي، ومئات الآلاف من الجماهير يحتشدون بإستاد الكوليسيوم، وروز باول، حيث احتاجت اللاعبة ماري لو ريتون عشر نقاط كي تفوز وتصبح لاعبة الجمباز الأعظم، وقد حققت ذلك، وحيث نال كارل لويس أربع ميداليات ذهبية في العدو السريع والقفز العالي.

كان العام نفسه أيضًا الذي هاجرت فيه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فتى كندي تائه، بعضو ذكري ميؤوس منه، متجه إلى تينسلتاون ليعيش مع والده.

في أوتوا، قبل أن أرحل، حاولت فتاة ممارسة الجنس معي، ولكنني كنت متوترًا جدًا لدرجة أنني شربت ست علب من البيرة قبلها ولم أمارس جيدًا. وقتها كنت قد بدأت الشرب منذ سنوات قليلة؛ لقد بدأ الأمر مبكرًا بعد أن تركت أمي لرجلها اللطيف كيث.

وأنا هنا أعني أنه لطيف حقًا، فقد عاش كيث من أجل أمي. الشيء المزعج الوحيد به أنه دائمًا ما يأخذ صفها. كان حاميتها. لا أستطيع أن أقول لكم عدد المرات التي فعلت فيها أمي شيئًا قد يجعلني آخذ موقفًا معها وزعم كيث قائلاً إنها لم تفعل ذلك. البعض قد يسمي هذا تلاعبًا بالعقول، والبعض الآخر قد يراه أيضًا تلاعبًا بالعقول! إنه بالفعل كذلك، ولكن عائلتي ظلت متهاسكة بفضل رجل واحد، إنه كيث موريسون.

ما علينا، لنعد إلى قضيتي.

فشلت في أن أجمع بين البيرة وأشياء الخاصة الميؤوس منها. والحقيقة أن لا أحد يجب أن يعلم ذلك، لا أحد! لذا أكملت المسير وأنا أعتقد أن الجنس هو شيء خلق لأناس آخرين. ولفترة طويلة امتدت لسنوات، ظننت أن ممارسة الجنس شيء ممتع للغاية، ولكنه ليس لعبتي. ظلت تلك الفكرة قابضة بعقلي وبنطالي على أقل تقدير؛ أنني لدي عيب خلقي وهو العجز الجنسي.

«إذا ذهبت إلى لوس أنجلوس، سأصبح سعيدًا...» هذا ما اعتقدته. هذا ما اعتقدته بشكل جاد من النقلة الجغرافية الكبرى، حتى من قبل أن أعرف ما هي النقلة الجغرافية، وما ستفعله بي. وقفت بين الرياضيين

ذوي العضلات المفتولة ومفرطي التمرين الذين ينتظرون أيضًا عند سير الحقائق، ألسنا جميعًا نحمل لدينا أحلامًا مجنونة لتلك المدينة المجنونة؟ إن كان هناك مائة عداء، وثلاث ميداليات فقط وفقًا للقوانين، فتخيل إلى أي مدى من الممكن أن يكونوا أعقل مني؟ في الحقيقة، سنحت لي فرصة أفضل في التقدم في مسيرتي الاحترافية أكثر منهم، فعلى كل حال، أي كان ممثلًا، وهو ما أردت أن أكونه. كل ما عليه هو أن يفتح لي الأبواب المفتوحة جزئيًا، أليس كذلك؟ ولا يهم إذا سافرت كل تلك المسافة دون الحصول على ميدالية، الأهم هو أنني هربت من أوتاوا، ومن القضيب الذي يبدو أنه لا يرغب في العمل، ومن العائلة التي لم أكن جزءًا منها حقًا وهكذا.

كانت خطتي الأساسية هي الرياضة أيضًا. تقدم مستواي في التنس لدرجة أننا فكرنا في تسجيلي في أكاديمية نك بوليتيري للتنس في فلوريدا. كان بوليتيري مدربًا رائدًا في لعبة التنس؛ لقد درب كل من مونيكا سيليس، وأندريه أجاسي، وماريا شارابوفا، وفينوس وسيرينا ويليامز وآخرين كثير. بمجرد وصولي إلى لوس أنجلوس، بدأ يتضح أنني سأصبح لاعبًا قويًا متميزًا، ليس أكثر. أذكر يومًا سجلت فيه في بطولة التنس المحلية، وجاء أبي وعائلتي الجديدة ليشاهدوني (فقد تزوج مجددًا في عام 1980، اسمها ديببي، سيدة ودودة، كانت «صيدة القرن»، ووقتها رزقوا بالطفلة ماريا)، وفي مباراتي الأولى، لم أحرز أي نقطة.

كان المستوى العادي في جنوب كاليفورنيا خارج المألوف؛ فعندما تكون درجة الحرارة 22 درجة مئوية كل يوم، تستمر إقامة مباريات التنس في كل حديقة خلفية، وفي كل زاوية شارع، وبالتالي تعين على ذاك الفتى القادم من منطقة كندا الثلجية - حيث درجة حرارة تحت الصفر من ديسمبر إلى مارس إن كنت محظوظًا - أن يعاني من أجل أن يتقدم في التنس. الأمر كان بمثابة كوني لاعب هوكي محترفًا في بوربانك بكاليفورنيا. لكن اتضح أن حلمي كي أصبح جيمس كونورز القادم تلاشى سريعًا عندما تقابلت مع الفتى الكاليفورني صاحب الميدالية البرونزية، والذي يضرب بسرعة 100 ميل\ساعة، والبالغ من العمر 11 عامًا ويدعى تشاد، مع التشديد على حرف الدال.

حان موعد البحث عن مسيرة جديدة.

على الرغم من تلك المواجهة السريعة للواقع، فإنني أحببت لوس أنجلوس على الفور. أحببت اتساعها، إمكانياتها، فرصها في البدء من جديد، ناهيك أن درجة الحرارة كل يوم 22 درجة مئوية والتي تحدث فرقًا جسيمًا عن أوتاوا. بالإضافة إلى أنني عندما أدركت أن التنس لن يكون مصدر دخل لي، أخبرني أحدهم أن الناس يمكن أن يجنوا أموالًا من التمثيل، فغيرت أهدافي المهنية على الفور. ولم يكن الأمر بعيد المنال كما بدا؛ فأبي كان يعمل في البداية في مجال العروض، وكان لديّ حدس أن جذب الأنظار إليّ سيضيئني مثل شجرة عيد الميلاد. تدربت جيدًا بالمنزل، كلما كان هناك توتر، أو احتجت للفت الأنظار، كنت ألقى بإحدى نكاتي. إذا أديت جيدًا، كل شيء سيصبح آمنًا، وسأشعر بأنه تم الاعتناء بي. ربما كنت قاصرًا بلا مرافق، ولكنني عندما أضحك من حولي وأتلقى ضحكهم، يصبح هناك جمهور لديّ؛ سواء كان أمي، أخواتي، الأخوان موراي، زملائي في المدرسة، والذين قد يقفون ويصفقون لي. وما كان جيدًا أيضًا أنني في الصف العاشر في مدرستي الجديدة وباهظة الثمن والمرموقة (شكرًا يا أبي)، تم اختياري للعب دور رئيسي في مسرحية

بالمدرسة الثانوية لمدة ثلاثة أسابيع. نعم سيداتي وسادتي، هذا صحيح، أنتم تنظرون إلى شخصية جورج جيبس في مسرحية ثورونتو وايلدر Our Town «مدينتنا». أصبح التمثيل أمرًا طبيعيًا بالنسبة إليّ، لماذا لا أرغب في التظاهر بأنني شخص آخر؟
يا للمسيح...

أعتقد أن أبي بدأ يشعر بأن مسألة التمثيل على وشك الحدوث. بعد أن تم اختياري في مسرحية «مدينتنا»، هرعت للمنزل لمشاركتهم الخبر، وجدت كتابًا على سريري عنوانه التمثيل بأناقة، وبدخله إهداء يقول:
جيل جديد ينطلق للسماء، مع حبي، بابا.

أصبح التمثيل جزءًا من مخدراتي. مع أنه لم يؤذني كما بدأ الكحول أن يفعل ذلك. في الحقيقة، صار الاستيقاظ بعد شرب الكحول ليلاً أكثر صعوبة. لكن هذا لم يحدث في الأيام الدراسية، لم يصل الأمر لهذا الحد. ولكن ذلك كان يحدث بالفعل في كل نهاية أسبوع.
ولكن مبدئيًا، كان عليّ أن أنهي تعليمي بشكل طبيعي.

كنت الفتى الكندي الشاحب الذي يتحدث بسرعة، ودائمًا ما يثير الطالب القادم من الخارج فضول المراهقين؛ فيبدو الأمر غريبًا، خاصة إذا كانت بيننا لكنة كندية ويمكنه ذكر أسماء جميع لاعبي فريق تورونتو ميبيل ليفس لهوكي الجليد الكندي. كما أن أبي كان «رجل الأولد سبايس» لسنوات عدة على الشاشة بالنسبة إليهم، فقد شاهد زملائي أبي وهو يرتدي زي البحارة على الشاطئ - المزين بطاووس مع قبعة البحار السوداء - ويحمل تلك الزجاجة البيضاء الأيقونية أمام مجموعة من ممثلي الإعلانات حليقي الذقن يحثونه قائلين: «نظف حياتك مع أولد سبايس!». ربما لم تصبح هذه الجملة مقولة شكسبيرية، ولكن أبي كان مشهورًا جدًا، ووسيمًا، وطويل القامة، ومضحكًا للغاية، بالإضافة إلى أنه كان أبي.

كان أبي يجتسي المشروبات الكحولية كثيرًا هو أيضًا. إذ كل ليلة عندما يعود إلى المنزل من أيًا كان موقع التصوير الذي يسجل به، أو ربما كان في مكان آخر، كان يصب لنفسه كميًا معتبرًا من فودكا تونيك ويقول: «هذا أفضل ما حدث لي طوال اليوم».

كان يقول هذا على المشروب الكحولي، جالسًا بالقرب من ابنه على أريكة في لوس أنجلوس. ثم يشرب أربع كؤوس أخرى ويأخذ الكأس الخامسة معه للسريع.

علمني أبي الكثير من الأشياء الجيدة أيضًا. ولكنه بالتأكيد علمني كيفية شرب الخمر. ولم تكن صدفة أن مشروبي الكحولي المفضل هو كأس فودكا تونيك، ودائمًا ما أفكر في كل مرة أشرب فيها بأن هذا هو أفضل ما حدث لي طوال اليوم.

ولكن هناك فرقًا، فرقًا كبيرًا. فأبي كان يستيقظ في الصباح التالي في الساعة السابعة دون أي تأثر، مشرقًا، ومبتهجًا. يأخذ حمامًا ويضع عطر ما بعد الحلاقة (لم يستخدم أولد سبايس أبدًا)، ويتجه إلى البنك أو إلى وكيل أعماله أو إلى موقع التصوير، لم يفتئه أي شيء. كان أبي مثالًا للشخص العملي المعاصر للخمر. بينما كنت أجاهد أنا، من ناحية أخرى، كي أستيقظ وأتبادل الهمس مع كل من كان يشرب حولي.

شاهدت أبي يشرب ست كؤوس من فودكا تونيك، وبعدها يعيش حياة طبيعية وعملية، فظننت أن هذا ممكن، يمكنني أن أفعل مثله. ولكن كان هناك ما يترصد بي ويجلس خفيًا في الظلام، وفي جيناتي، مثل الوحش المخيف في الظلام المروع، شيء تربص بي ولم يفعل هذا مع أبي، واحتجنا عقدًا من الزمن حتى نعلم ما هو. يمكنكم تسميته إدمان الكحول، أو إدمان المخدرات، سموه ما شئتم. بالنسبة إليّ، لقد اخترت أن أسميه «ذلك الشيء الرهيب».

لكنني كنت أؤدي شخصية جورج جيس أيضًا.

لا أتذكر انطباع زملائي عن ذلك الطالب المستجد، بشرته الشاحبة ولكنته الكندية، ولكنني لم أهتم. يصف موقع سبارك نوتس شخصية جيس بأنه «نموذج الفتى الأمريكي بحذافيه. إنه نجم كرة البيسبول المحلي، ورئيس قسم التخرج في المدرسة الثانوية، كما أنه يمتلك براءة وحساسية. كان فتى جيدًا... ولكن أن يكتفم جورج مشاعره كان أمرًا صعبًا، إن لم يكن مستحيلًا».

إذًا، كان ذلك يشبهني تمامًا.

في المنزل، كان أبي يشرب الفودكا في كل أرجاء المنزل. وفي أحد الأيام بعد الظهر، عندما خرج هو وديبي، قررت أن أشرب جرعة كبيرة من الفودكا. بينما يتغلغل مذاقها الحار بداخلي وفي حلقي، شعرت بتلك السعادة، والراحة، والشعور بأن كل شيء سيكون على ما يرام. تذكرت السحب من حديقتنا الخلفية في أوتاوا، وذلك اليقين بأنني سأذهب إلى لوس أنجلوس، وأسير في ذلك النعيم، 22 درجة حرارة مئوية، نجم مسرح المدرسة يتجول ثملًا في المنزل مثل أوديسيوس في شوارع مرصعة بالنجوم. كتب كلانسي سيغال في صحيفة ذا أوبزيرفر بلندن عن أولمبياد 1984 بلوس أنجلوس، منوهاً أنه كلما زار هذه المدينة، شعر أنه «يمشي على غشاء رقيق يفصل لوس أنجلوس عن العالم الواقعي المؤلم». ها أنا أيضًا، أنزلت على ذلك الغشاء الناعم الرقيق بفعل الفودكا، في مكان حيث لا يوجد ألم، في عالم يبدو حقيقيًا وغير حقيقي في آن واحد... وبينما أتجول في زوايا المكان، وردت إليّ فكرة لم ترد من قبل؛ الموت، الخوف من الموت، وأسئلة من قبيل «لماذا نحن هنا؟»، «ما معنى كل هذا؟»، «ما المغزى من الحياة؟»، «كيف وصلنا لتلك المرحلة؟»، «من هم البشر؟»، «ما الهواء؟»، تدفقت كل هذه الأسئلة إلى عقلي مثل الموج العاتي.

كل هذا وأنا فقط أقوم بجولة لعينة!

الشرب حتى الثمالة والتمشية، كلاهما فتح بداخلي فجوة ظلت حتى الآن. كنت مضطربًا؛ كنت فتى مخفّفًا للغاية. توالى الأسئلة مثل الكحول في الكأس، وكل ما فعلته هو ما قام به سيغال؛ قدمت إلى لوس أنجلوس، مع لاعبي الجمباز، والعدائين، والأحصنة، والكتاب، والممثلين، وكل الطامحين، ومن خفت نجمهم، ومثلي أولد سبايس، والآن انفتحت فجوة كبيرة تحتي. كنت أقف على شفا حفرة من النار، مثل «حفرة الجحيم» تلك الموجودة في صحراء كاراكوم في وسط تركمانستان. عندما احتسيت ذلك المشروب الكحولي وقمت بتلك التمشية، جعلتُ مني مفكرًا وساعيًا، ولكن ليس بأسلوب التأمل الهادئ البوذي الأحق؛ لقد كنت شخصًا على شفا حفرة عميقة من النار، تحاوطني حاجتي إلى التساؤل، بلا مرافق، بحاجة إلى الحب لكن الخوف من أن يتم هجري يمنعي، بحاجة إلى الإثارة، لكنني غير قادر على تقديرها، مع ذلك

القضيب الميؤوس منه. تواجهت وجهًا لوجه مع أربعة أشياء: الموت، الحكم، الجنة، الجحيم، ولد عمره خمسة عشر عامًا تمت تربيته على علم الآخرة (الإسختولوجيا)، ورائحة الفودكا قريبة من أنفاسه.

في سنوات لاحقة، قام أبي أيضًا بالتمشية نفسها ليصل إلى المعنى، لكنه مر بليلة سيئة وهو ثمل حيث سقط بين بعض الشجيرات أو ما شابه، وحكى لزوجته ديبى عن ذلك في الصباح التالي، فسألته: «هل تريد عيش حياتك بهذه الطريقة؟»، فأجاب: «لا»، ثم خرج ليتنزه وانقطع عن احتساء المشروبات الكحولية ولم يشرب قطرة منذ تلك اللحظة.

عذرًا؟ هل خرجت للتنزه فتوقفت عن احتساء المشروبات الكحولية؟ لقد أنفقت ما يقرب من 7 مليون دولار لأحاول التوقف عن الشرب. ذهبت إلى حوالي 6 آلاف اجتماع للتعافي من الكحول (ليس مبالغة، بل تخمين مبني على علم)، ذهبت إلى دار إعادة التأهيل خمس عشرة مرة. ذهبت إلى مصحة عقلية، وخضعت للعلاج النفسي مرتين في الأسبوع لمدة ثلاثين عامًا، وكنت على وشك الموت. وأنت تخرج في نزهة لعينة فتوقف؟

سأقول لك أين يمكنك التنزه.

ولكن أبي لا يستطيع أن يكتب مسرحية، ولا أن يلعب دورًا رئيسيًا في مسلسل «فريندز»، ولا أن يساعد هؤلاء المحتاجين لمساعدة، ولا يملك 7 مليون دولار لينفقها على أي شيء. الحياة لها مقايضاتها. أعتقد ذلك.

وهو ما يطرح السؤال: هل يمكنني أن أبدل حياتي بحياته؟
لماذا لا نجيب عن هذا السؤال لاحقًا؟

في صندوق الموسيقى، أضع بضعة بنسات به، وأشغل أغنية Don't Give Up لبيتر جابرييل وكيت بوش مرارًا وتكرارًا، وأحيانًا قد أتعثر في أغنية Mainstreet لبوب سيجير، أو Here Comes the Sun لفريق البيتلز. من بين الأسباب التي تجعلنا نحب مقهى 101 هوليوود Coffee Shop 101 هو أنه أبقى على صندوق الموسيقى الكلاسيكي مع تحديثه، بالإضافة إلى أنك تشعر هناك كأنك في هوليوود القديمة، بمقاعد الجلدية ذات لون الكراميل، ومن الممكن أن يدخل أي من المشاهير في أي لحظة؛ تعلمون أن ذلك بغرض التظاهر بأن لا شيء تغير بعد الشهرة.

في عام 1986، كنت متأكدًا أن الشهرة ستغير كل شيء، وقد كنت أكثر شخص تواق للشهرة على وجه الأرض. كنت أحتاج إليها. كانت الشيء الوحيد الذي سيعالجني، كنت واثقًا من هذا. والعيش في لوس أنجلوس سيجعلني أصطدم بشخص مشهور، قد تصطدم ببيلي كريستال في نادي «ذا إمبراف» الكوميدي، أو تقدم ملحوظة لنيكولاس كيدج في كابينة الطعام المجاورة لك، وقد علمت أنه لا توجد لديها أي مشكلات، في الحقيقة، كل مشكلاتها اختفت، لأنها مشاهير.

كنت أتقدم لتجارب الأداء بشكل دوري، وقد قُبلت مرة أو اثنتين، أبرز دور كان في الموسم الأول من مسلسل Charles in Charge. لعبت دور إد، مراهق، شخص تقليدي وقديم المظهر يرتدي سترة منقوشة وربطة عنق، والذي ردد بثقة جملته الشهيرة: «أبي خريج جامعة برينستون، وطبيب جراح، وسأتبع خطاه!»،

ولكن ذلك الدور كان مجرد وظيفة، للظهور على التلفزيون. كما أنني اكتشفت أنني كنت أترك المدرسة دون تفكير لأتسكع مع فتيات معجبات بلكنتي وثرثرتي السريعة وحياتي المهنية بالتلفزيون، وقدرتي على الاستماع هن. بفضل فترة تدريبي في كندا، علمت أنني قادر على الاستماع ومساعدة النساء في الأزمات. (إذا كنت امرأة وكنت تحت ضغط وأنشدت أغنية حول هذا، سأستمع إليها مرارًا وتكرارًا). كنت في مقهى 101، أجتمع مع بعض الفتيات الشابات، ألقى بجُملي السريعة، بابتسامة متكلفة، وأذن صاغية، وقد تخلت عن مظهر الفتى المراهق في Charles in Charge بمجرد خروجي من إستوديو يونيفرسال لوت في منطقة إستوديو سيتي وارتديت مثل أي مراهق جذاب في منتصف الثمانينيات: سترة جينز على قميص سادة، أو تيشيرت لفريق كينكس لموسيقى الروك قبل العودة إلى المنزل والاستماع لأغاني فريق إير سابلابي.

عندما تكون في السادسة عشرة من عمرك، تشعر أن الأيام لا تنتهي، وخصوصًا حينها تكون جذابًا لمجموعة من الفتيات في مطعم رخيص للأكلات السريعة بهوليوود. ويبدو أنني كنت متألّفًا في ذلك اليوم، فبينما كنت ألقى بمزاحي، سار رجل في منتصف عمره ووقف أمام طاولتي وترك لي رسالة خطية على مندبل على طاولتي، ثم ابتعد وخرج من الباب. وقفت الفتيات يثرثرن حول هذا، ونظرت أنا للرجل من خلفه وهو يغادر، ثم قمت بإحدى حركات تشاندلر المعهودة، فاستقبلت مزيدًا من الضحكات، قالت إحدى الفتيات: «حسنًا، اقرأها».

أخذت المندبل بحذر وكأنه مغطى بالسم، وفتحته ببطء. وجدت خطأ عنكبوتيًا عشوائيًا يقول: «أريدك أن تكون في فيلمي القادم. رجاء الاتصال بي على هذا الرقم.... ويليام ريتشيرت».

سألت فتاة أخرى: «ماذا تقول الرسالة؟».

قلت بوجه جامد: «إنها تقول «هل يمكن أن تكون أكثر وسامة وموهبة؟»».

فقلت الفتاة الأولى: «لا، إنها لا تقول ذلك».

أثار عدم تصديقها لمحتوى الرسالة حالة ضحك أخرى بينما قلت: «أوه، شكرًا جزيلاً» وبمجرد أن هدأ الضحك، قلت: «الرسالة تقول: «أريدك أن تكون في فيلمي القادم. رجاء الاتصال بي على هذا الرقم.... ويليام ريتشيرت»».

فقلت إحدى الفتيات: «حسنًا، يبدو هذا منطقي...».

فقلت: «أليس كذلك؟ أعتقد أن هذا الفيلم سيكون ضربة حظ».

في تلك الليلة في المنزل، سألت والدي ماذا أفعل. كان في موعده مع كأس فودكا تونيك الثالثة، كان هناك قدر معقول من رجاحة الفكر متبق في داخله حتى أحصل عل إجابة مفيدة. حينها، بدا مستاء قليلًا لإدراكه أن حياتي المهنية على وشك البدء، لم يشعر بالغيرة، بل بدأ يدرك أنني أصغر منه، وأن الطريق بدأ يُمهّد لي، وأنني إذا لعبت بأوراقتي بشكل صحيح، قد أحظى بحياة مهنية في التمثيل أفضل من تلك التي حظي بها هو. ومع ذلك، لم يظهر أبي لي سوى الدعم، لم يحدث مثلما حدث في فيلم Great Santini على الإطلاق، لكن أبي كان مثلي الأعلى، وكان هو فخورًا بي.

قال: «حسنًا يا ماتي، اتصالك به لن يضر».

أيًا كان ما سيقوله والدي على أي حال، كنت سأتصل بالرقم. علمت ذلك منذ الوهلة الأولى التي قرأت فيها الرسالة. تلك هي هوليوود على كل حال، هكذا تجري الأمور، أليس كذلك؟

اتضح أن ويليام ريتشيرت لم يكن يريد فيلمًا عاديًا.

لقد كان يشاهدني وأنا أؤدي بعضًا من حركاتي أمام الفتيات في ذلك اليوم في مقهى 101، وأعتقد أنه شاهد ما يكفي من عرض ماثيو بيري هناك حتى يرغب في أن يمنحني دورًا في فيلمه المبني على رواية A Night in the Life of Jimmy Reardon. تدور أحداث الرواية والفيلم في شيكاغو في بداية الستينيات، ويردون هو فتى مراهق، تم إجباره على الذهاب إلى مدرسة تجارية بينما كل ما يرغب فيه هو الحصول على ما يكفي من المال لشراء تذكرة طيران إلى هاواي حيث تعيش حبيبته. كنت سألعب دور صديق ريردون المقرب، فريد روبرتس، الذي يشبه شخصية إد في Charles in Charge، فتى ثري، ومتعالٍ قليلًا، ويعاني من أنه لم يفقد عذريته (أشعر به). تخلّيت عن مظهر إد مرة أخرى، لأرتدي ملابس شخصية فريد؛ قبعة رمادية مسطحة وسترة جلدية فوق قميص رسمي وربطة عنق، أوه، وقفازات جلدية سوداء. في الفيلم، كان من المفترض لشخصية ريردون أن يقيم علاقة حميمة مع حبيبتي، لكن لا بأس في هذا، لأنه من المميز لك أن تتعرض للخيانة من الشخصية التي ستلعب دور ريردون.

تعددت الأسماء في قائمة عباقره زمانهم آنذاك لدرجة أنه من الصعب أن أذكرهم جميعًا هنا، ولكن يكفي أن أذكر اسم ريفر فينيكس، وأنه كان يتصدر أي قائمة لشاركني بطولة فيلم A Night in the Life of Jimmy Reardon. كان ذلك الفيلم بمثابة أول وظيفة لي، وأنا على دراية بأنه كان من الممكن أن يكون ذلك أفضل لي إذا كان قد حقق الفيلم نجاحًا كبيرًا، ولكن كل ما يهم هو أنني تعلمت كيفية صناعة الفيلم السينمائي، وحظيت بفرصة التعرف على ريفر، والذي يتجسد الجمال فيه على أي حال. لقد كانت هناك هالة حول هذا الشاب. ولكنه كان يجعلك تشعر براحة شديدة بدلًا من الغيرة منه. كان فيلم Stand by Me قد خرج لتوه للنور - والذي برع فيه - وإذا دخلت معه أي مكان، قد تتسبب كاريزمته في أن تصبح مثلك مثل الأثاث الموجود بالمكان.

ها أنا قد أتممت السابعة عشرة من عمري، وصورت فيلمًا في شيكاغو، واتجهت إلى مدينة ويندي، بلا أبوين، بلا أي شيء، قاصر بلا مرافق مرة أخرى، ولكن شعرت في تلك المرة بالحرية، وكأن ذلك ما ولدت من أجله. لم أحمس قط في حياتي مثل ذلك اليوم. كنت في شيكاغو، أصور ذلك الفيلم مع ريفر فينيكس، وقد وقعت في غرام التمثيل، كما أن أفضل شيء على الإطلاق في تلك الفترة الذهبية هو أنه صرت أنا وريفر صديقين مقربين. لقد شربنا البيرة معًا ولعبنا البلياردو في شارع نورث راش (كان فيلم The Color of Money قد صدر للتو ولعب البلياردو كان الموضة وقتها) قضينا كل يوم معًا؛ نغازل الفتيات، مع أن ذلك الأمر بعيد عن ميولي كل البعد لأنه... حسنًا، أنتم تعرفون الوضع.

كان ريفر رجلًا وسيماً، قلبًا وقالبًا، ومن الجميل جدًا وجوده في هذا العالم. كان أفضل مني في التمثيل، بينما كنت أنا مضحكًا أكثر منه. ولكنني تمالكت نفسي جيدًا في أثناء تصوير المشاهد؛ عندما أتذكر ذلك منذ عقود مضت، أجد أنه لم يكن أمرًا بسيطًا. ولكن الأهم من ذلك هو أن ريفر نظر للعالم بنظرة مختلفة تمامًا عن

نظرتنا، وهو ما جعله ذا كاريزما ورائعًا، ونعم، وسيما، بدرجة ليست كتلك التي تظهر في إعلانات «جاب» التجارية للملابس (مع أنه كان كذلك أيضًا)، بل كان وسيما بشكل فريد فلا أحد في العالم يبدو مثله. ناهيك عن أنه صعد إلى النجومية بسرعة صاروخية، ومع ذلك لم تعلموا الكثير عنه.

وبطريقة ما وسط كل هذا السحر الذي يشوبه، تمكنت من أن أصور فيلمًا مع ريفر فينيكس. ولاحقًا، أعرب فينيكس أنه غير سعيد بأدائه لدور جيمي ريردون، زاعمًا أنه ليس الشخص المناسب لذلك الدور. ولكن في رأيي، كان الشخص الأنسب لأي دور. فهو يمكنه لعب أي دور. أتذكر عندما شاهدته في فيلم Sneakers، كان يجد الخيار الأنسب غير المسبوق ولا يستطيع أي شخص أن يفعل مثله، ناهيك عن أنه تمكن من دوره أمام كل من روبرت ريدفورد والرائع سيدني بواتييه، (إذا لم تشاهدوه بعد، فعليكم بمشاهدته، إنه ممتع للغاية).

أما بالنسبة إلى الفيلم الذي صورناه معًا، فلم يحقق إيرادات في شباك التذاكر، ولكن لا يهيم. فقد اجتمعنا في مكان جميل وساحر، حتى وإن كان في شارع نورث راش في شيكاغو ذات البرد القارس. وكانت التجربة الأفضل في حياتي، علمت ذلك أيضًا. انتهيت من عملي خلال ثلاثة أسابيع، لكنهم (ربما ريفر فقط) أحبوني بشدة لذا أبقوني في موقع التصوير حتى النهاية. ولم تكن الأمور أفضل من ذلك.

ذات ليلة، وأنا وحدي في غرفتي الصغيرة في فندق تريمونت، بينما كانت الأمور تقترب من النهاية، ركعت على ركبتي وخاطبت الكون قائلاً: «لا تنس تلك الفترة أبدًا».

وقد كان.

ولكن السحر لا يدوم؛ فأياً كانت الفجوات التي تحاول ملأها ستعاود وتفتح مرة أخرى. (وكانه مسعى لا جدوى منه كلعبة «اضرب الخلد»). ربما حدث ذلك لأنني دائماً ما حاولت ملء فراغ روحي بشيء مادي... لا أعلم. أيًا ما كان، عندما جاء آخر يوم في التصوير، جلست على سريري في غرفة الفندق بشيكاغو وبكيت. بكيت بحرقه لأنني علمت أنني لن أحظى مجدداً بتجربة رائعة كتلك - فيلمي الأول - بعيداً عن منزلي، حيث يمكنني الشرب والمغازلة بحرية والتسكع مع شاب رائع مثل ريفر فينيكس.

بكيت لاحقاً بعدها بسبع سنوات في عيد الهالوين عام 1993 أمام ملهى «ذا فاير رووم» الليلي بغرب هوليوود، عندما علمت بوفاة ريفر. (لقد سمعت الصراخ من شقتي، فخلدت للنوم، ثم استيقظت على الخبر). كتبت والدته بعد وفاته مشيرة لتناول المخدرات: «إن أرواح جيل ريفر أصبحت مستنزفة». وفي ذلك الوقت، كنت أشرب كل ليلة. ولكنني لم أدرك بالضبط ما تعنيه أمه إلا بعد سنوات عدة.

عندما صار فيلم جيمي ريردون جاهزاً للعرض، سافرت عائداً إلى لوس أنجلوس من شيكاغو، وعدت إلى أرض الواقع إلى المدرسة الثانوية. ظللت أتقدم للعديد من تجارب الأداء ولكنني لم ألقَ قبولاً. كنت غالباً ما أتقدم لأدوار كوميدية، حتى انتهى بي المطاف بالظهور كضيف شرف في كل الأعمال الدرامية وغيرها. ومع ذلك ظلت درجاتي المدرسية متدنية. تخرجت بمعدل 2.0 بالضبط⁽¹²⁾. كل ما احتجته في تخرجي هو أن يحضر والداي معاً، وهو ما فعلاه بكل لطف. لكن العشاء المريب بشدة الذي تلا الحفل أكد على حقيقة أن الطفل اللذين حظيا به معاً جاءا للعالم ليكون غير مرتاح بطبيعته، حتى لو كان عادة الأكثر مرحاً في المكان.

ولكن في تلك الليلة في العشاء، كنت ثالث شخص من حيث أكثرهم مرحًا، وثالث شخص من حيث أكثرهم جمالًا. على الأقل تحقق حلم الطفولة بأن يجتمعا معًا، ولو لليلة واحدة فقط، حتى مع وجود ذلك الصمت المرح، وبعض الانتقادات اللاذعة المتبادلة الذي ولد بعض الغضب.

أنا شاكر لوالديّ لحضورهما ذلك العشاء؛ كان شيئًا لطيفًا بشدة مع أنه غير ضروري على الإطلاق بالنسبة إليهما أن يحضرا. ولكنه بلور لي شيئًا لم أراه من قبل، لقد كان من الأفضل لهما ألا يكونا معًا. فلم يقدر لهما هذا. كان أمرًا صائبًا أن ينفصلا. فكلاهما وجد الشخص المقدر له أن يكون معه، وأنا سعيد بشدة لكليهما. لم يعد ماتي بحاجة لأن يتمنى مرة أخرى أن يجتمع أبواه معًا.

مرت عقود حتى اجتمعا في المكان نفسه مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان لسبب مختلف تمامًا.

أدوار التمثيل، والتحدث بسرعة، وسرعة البديهة، والصدقة مع ريفر، والسترة الجينز على القميص السادة، كل هذا ساهم في أن أحظى بحبيبة جميلة اسمها تريشيا فيشر. (ابنة إيدي فيشر وكوني ستيفينز، نعم، هذا صحيح، أخت الفنانة الشهيرة كاري فيشر غير الشقيقة. لذا لا يمكنني أن أتعجب من جمالها).

كذلك اسمها الموسيقي جعلها لا تقاوم بالنسبة إليّ، بالإضافة إلى أنني كنت في الثامنة عشرة من عمري، وكنت متأكدًا من أن كل شيء على ما يرام ما عدا عندما أكون برفقة شخص. ظللت أحمل معي عجزي الجنسي باعتباره سرًا قبيحًا كبيرًا، مثله مثل الكثير من الأسرار الأخرى. وتباعًا، بينما توطدت علاقتي بتريشيا فيشر، راودتني الأفكار الجسدية الحميمة، ولكنني صارحتها بثقة ككاتوليكي روماني أنني أريد الانتظار، وهو أمر لا يقوله أغلب الفتية في الثامنة عشرة من عمرهم، ولا يجب أن يقولوا ذلك بالمناسبة. بالطبع لفت ذلك انتباهها. وعندما ضغطت عليّ بالسؤال «لماذا؟»، قلت شيئًا متعلقًا بـ«الالتزام»، أو «المستقبل»، أو «حال الكوكب»، أو «حياتي المهنية»، أو أي شيء لأتجنب الحديث في أنني رحو أكثر من المقعد ذي لون الكراميل في مقهى 101 عندما تحين تلك اللحظة. وأنا لم أستطع السماح بذلك وإلا سري سيكون مذاغًا.

ظللت حازمًا لمدة شهرين، على الأقل من ناحية قناعاتي بمسألة الانتظار. ولكن الحواجز تفجرت، ولم تعد لحظات التقييل تؤدي إلى أي شيء، مما أدى إلى تسارع أنفاسنا، فاتخذت تريشيا فيشر القرار. قالت: «ماتي، لقد اكتفيت من هذا. هيا بنا لنفعلها».

أخذتني من يدي وقادتني إلى السرير في شقتي الإستوديو الصغيرة في ويستوود. كنت مرتعبًا ومتحمسًا أيضًا، ولكنني ما زلت مسكونًا بحوار داخلي نابع من الخوف: «ربما تلك المرة ستفجح مع شخص يعني لك الكثير، سينصهر كل العجز...» ينصهر، يا لها من كلمة سخيفة!

«هل يجب أن أحسي مشروبًا كحوليًا قبلها؟» حسناً، لقد كان الكحول هو السبب يا رجل!

«ربما لن يكون الأمر صعبًا مثلما خشيت منه». لن يكون صعبًا؟ ماتي، توقف عن التفكير...

وقبل أن يتحول هذا الحوار القصير إلى أوبرا رخيصة، قامت تريشيا بتجريدنا من ملابسنا ودفعتنا على السرير. أتذكر بوضوح ذروة العلاقة الحميمة التي هي أشبه بقمة الجبل وكم كانت لذة خالصة، ولكن

باعتباري متسلق جبال مبتدئاً، خشيت من أنه بعد معسكر الصعود هذا، قد لا يوجد كم كافٍ من الأكسجين ليساعدني على الصعود والوصول للنشوة، وهذا ما تبين. كيف يمكنني الولوج؟ لم أكن أعرف كيف يمكنني القيام بذلك بشكل صحيح. فكرت في كل ما هو مثير، وتلك الصور الشهوانية التي تداخلت بعقلي الحائر، أملاً في أن أتمكن من الولوج - فقط شيء واحد هو ما أحتاج إلى القيام به! - وهو ما سيساعدني على التزامي نحو تقديم المتعة في المستقبل. لكنني لم أتمكن من القيام بأي شيء. كنت مرعوباً تماماً مرة أخرى، أفلت ذراعي تريشيا فيشر اللتين كانت تلفهما بحب، وغطيت جسدي العاري الرشيق جالساً على كرسي في الشقة. (كأنه بإمكانك في تلك اللحظة أن تشيني إلى نصفين إذا أردت). جلست هناك بعضو رخو، حزينا، ويدي الاثنان مضمومتان على حجري مثل راهبة في صلاة الغروب، فاعلاً كل ما في وسعي حتى أخبئ حرجي، وربما أخبئ كذلك دمعة أو اثنتين.

لم تحصل تريشيا فيشر على أي شيء هي الأخرى. قالت:
«ماتي! ماذا بك بحق الجحيم؟ ألا تراني جذابة؟».

«يا إلهي، لا، بالطبع أراك جذابة للغاية!».

لقد ساءت مشكلاتي الجسدية، بل تفاقمت، صار بإمكانني الشعور بالهجر المتزايد يتسلل من نوافذ تلك الغرفة. ماذا لو تركتني تريشيا؟ ماذا لو لم أكن كافياً مثلما كنت دائماً؟ ماذا لو كان مقدرًا لي أن أظل بلا مرافق مجددًا؟

كنت يائساً، لقد أعجبت بها فعلاً، وأردت حقاً الإيمان بأن الحب هو منقذي.
كان هناك أمر واحد يجب أن أقوم به. يجب أن أصارحها بكل شيء. قلت:

«تريشيا، عندما كنت في أوتاوا، كنت متوتراً للغاية بشأن إقامة علاقة حميمية مع فتاة شربت معها ست علب من البيرة...» لم أخف شيئاً؛ صارحتها بتلك القصة المخزية بالكامل وانتهيت بالاعتراف بأنني عاجز جنسياً، وأنني دائماً ما سأظل ذلك، وأنه لا جدوى مني، وأنه ما من شيء يمكن فعله، وأن رغبتني نحوها لا يضاهيها أي شيء، أي شيء يستحق أن يذكر. ولكنني كنت يائساً لدرجة أنني لم أرد أن تتركني أيضاً، لذا كنت أتمنى إذا كان هناك أي شيء يمكنني فعله من أجلها كي تبقى. كل ما فعلته هو طرح الأسئلة واستمرت في ذلك بينما ظللت أنا أتكلم مثل نهر صغير جارٍ.

عزيتي تريشيا فيشر، لقد تركتني أثر بلا توقف، بينما حاولت جاهداً أن أقنعها أنه مهما كانت جميلة، وقد كانت جميلة حقاً، فالأمر لن يجدي نفعاً؛ فقد كان مقدرًا لي أن تتكرر معي تلك الليلة في أوتاوا لبقية حياتي. في النهاية، سكت قليلاً، وأخذت نفساً عميقاً. قالت تريشيا بهدوء وببساطة شديدة: «تعال معي، لن يحدث هذا مجددًا».

وبتلك الجملة، سارت نحوي، وأخذت يدي وقادتني إلى السرير مجددًا وألقتني عليه، وبعده، بالتأكيد... انتصرنا، ولمدة دقيقتين كاملتين! فأخيراً في تلك الليلة، بفضل معجزة كونية، وبمساعدة ورعاية فتاة جميلة بالتأكيد تستحق الأفضل من ذلك، فقدت عذريتي تماماً، ولم يعد مصطلح العجز الجنسي موجوداً في

قاموسي منذ ذلك الحين كما وعدتني هي. وسار كل شيء يتعلق بشأني على ما يرام، على الأقل من الناحية الجسدية.

وكيف تمكنت يا سيد بيرى يا من تتلو الصلوات من تسديد دينك، ذلك الدين المؤرق نحو المرأة التي أنقذت حياتك بأفضل طريقة ممكنة ومجدية؟

تريد أن تعرف يا قارئ العزيز؟ لقد سددت الدين لتريشيا بمضاجعة كل فتيات جنوب كاليفورنيا تقريباً. (أذكر أحد المواعيد الغرامية مع فتاة أخرى في الثامنة عشرة من عمرها، في لحظة ما توقفت عن تناول العشاء فجأة وقالت: «لنعد إلى شقتك، ونمارس الجنس».)

كان الجنس أمراً جديداً بالنسبة إليّ، لذا وافقت على الفور. ذهبنا إلى شقتي، وبمجرد أن عبرنا عتبة الباب، أوقفني وقالت: «مهلاً مهلاً مهلاً! لا أستطيع القيام بذلك! خذني إلى المنزل». وهو ما فعلته بالطبع.

في اليوم التالي، شعرت بالضيق بسبب ما حدث، وكنت بالفعل أخضع لعلاج نفسي، فحكيت لطبيبي النفسي القصة.

قال: «سأحكى لك قصة ستساعدك، عندما تأتي امرأة إلى منزلك، وتراها تخلع حذاءها، اعلم أنك ستحصل على العلاقة الحميمة. ولكن إذا لم تخلعه، فاعلم أنها لا تنوي على فعل ذلك».

كنت وقتها في الثامنة عشرة من عمري، والآن أبلغ اثنين وخمسين عاماً وأقول لكم إنه محق بنسبة 100٪. كنت في بعض الأحيان أقوم بالخداع قليلاً وأترك أحد أزواج الحذاء على عتبة بابي لأعطي الانطباع بأن هنا ستركين حذاءك. ولكن رؤية ذلك الطبيب كانت صحيحة في كل مرة؛ «إذا ظلت المرأة ترتدي حذاءها، فسينتهي الأمر ببعض القبلات على أفضل حال».

بعد عدة سنوات، تواعدنا مجدداً أنا وتريشيا، بينما كان مسلسل «فريندز» في قمة مجده. لم تهجرني، ولكن المخاوف القديمة تسللت إليّ، فأنهيت علاقتنا. أتمنى لو كنت شعرت بأنها لم تتركني بالفعل، أردت ذلك بشدة. ربما لسارت الأمور أفضل. ربما لن تظل حينها فودكا تونيك ملاذي ومشروبي المفضل.

ربما لتغير كل شيء. أو ربما لا.

ولكن أقول لتريشيا، ولكل من كان بعدها، شكراً لكن. وكذلك لكل النساء اللاتي هجرتهن، ببساطة لأنني خفت من أنهن سيتركنني، أعتذر بشدة من أعماق قلبي. لو كنت فقط أعلم وقتها ما أعلمه الآن... أي ما يوازي نسبة نجاح 75٪ (المراجعة).

فاصل ماتمان

قلت: «حسنًا، تلك هي الفكرة، هل أنت مستعد؟». قال آدم: «بالتأكيد! أرسلها إلي!».

استنشقت نفسًا كبيرًا من السيجارة المارلبورو، وقربت الهاتف من خدي، وأخرجت نفسًا طويلاً من التبغ والنيكوتين والألم، وبدأت في التسويق لفكرتي.

قلت: «حسنًا، الفكرة تدور حول ذلك الشخص الذي تعرفه. يدعى مات، وهو في حوالي الخمسين من عمره، شخص مشهور جدًا بسبب مسلسل تليفزيوني شهير ومحبوب عرض منذ عدة أعوام مضت. ولكن الآن، عندما يبدأ الفيلم، نراه وقد صار لديه كرش ممتلئ، وحوله أكوام من علب البييتزا الفارغة في شقته، متكومة جميعها مثل طوطم فيلم الخيال العلمي Close Encounters of the Third Kind، أنت تعرف، ذاك الشيء الذي صنعوه من البطاطس المهروسة... ما علينا، حياته عبارة عن شيء من الفوضى. إنه شخص تائه. ثم من دون سابق إنذار، يموت أحد أقاربه غير المقربين ويورثه 2 مليار دولار. فيستخدم الأموال ليصبح بطلًا خارقًا».

قال آدم: «أحببت هذه الفكرة!».

ثم قال: «هل ورثت حقًا 2 مليار دولار؟».

آدم شخص مرح.

قلت: «لا، لا، إنها الشخصية فقط التي ورثت هذا المال، هل أي من ذلك يلهمك للقيام بشيء؟ لأنه إذا أهملك، ماذا ستكون خطوتنا التالية؟ أنت المسؤول الكبير هنا».

قال آدم: «لست مسؤولًا كبيرًا حقًا» بالرغم من أن كلانا يعلم أنه كذلك. أقدر تواضعه للغاية، ولكن ذلك التواضع لن يجلب لك أي شيء في هوليوود ولو حتى كلمة «تبا لك».

قلت: «ماذا تعني بذلك؟ بالتأكيد أنت مسؤول كبير...».

على كل حال، كان هذا آدم مكاي، الشخص الذي أخرج أفلام Anchorman ، و Step Brothers ، وعدة أعمال أخرى كبيرة. وبينما كنا نتحدث، كان يعمل على فيلم Don't Look Up، الفيلم الذي يدور حول كويكب عملاق سيصطدم بالأرض، تعلمون، ذاك الفيلم الذي قام ببطولته كل من ليوناردو ديكابريو، جينيفر لورانس، تيموثيه تشالميت، مارك رايلانس، كيت بلانشيت، تايلر بيرري، جونا هيل، حتى أريانا جراندي وميريل ستريب، فريق عمل عظيم.

كنت من ضمن هذا الفريق في وقت ما أيضًا، حتى أنني صورت مشهدًا في بوسطن بينما كنت متجهًا لدار إعادة التأهيل في سويسرا. وعندما كنت هناك، ألقيت بجملة أعجب بها آدم بشدة، وأراد أن تقال في المشهد،

وهو أمر دائماً ما ترجوه (لكن انتهى الأمر بأنه استغنى عن ذلك المشهد؛ القرف يحدث أحياناً، ليس حدثاً جلاً). الأمر هنا أننا، أنا وآدم مكاي، انسجمنا بشكل جيد، وها هو معجبٌ بفكرتي.

في تلك الفترة، عانيت الألم بسبب جرح العمليات الجراحية، لذا احتجت إلى مسكنات للألم، والتي أدمنتها لاحقاً بالطبع، والتي ألحقت مزيداً من الضرر الداخلي لي... ولكنني شعرت بتحسّن بسيط وكنت سعيداً عندما تلقيت اتصالاً من آدم. دردشنا قليلاً، ولكن في هوليوود لا يوجد ما يدعى بالدردشة وحسب، لذا أخذت أفكر: لماذا يتصل بي بحق الجحيم؟ وعندما لم يبدُ على الإطلاق أنه سيوضح مغزاه من الاتصال، استغليت تلك اللحظة وأقحمت فكرتي.

تجاهلت تواضعه تماماً الذي في غير محله وقلت: «على أي حال، أيها المسؤول الكبير، ما رأيك؟». تعلمون أن هناك صمتاً يأتي في بعض المحادثات وبعد فوات الأوان تشعر أنك ترغب في أن يستمر للأبد ولا ترغب في سماع الباقي، أليس كذلك؟

قال آدم: «لا أعتقد أنك تتحدث للشخص المراد الذي تقصده».

قلت: «ماذا؟ حسناً، من أنت؟».

«أنا آدم ماكلين. تقابلنا منذ ست سنوات، أنا تاجر أجهزة كمبيوتر».

إذا شاهدت Don't Look Up، ستعلم النهاية... حسناً، دعونا نقول إنني عندما علمت أنه آدم ماكلين وليس آدم مكاي، شعرت أن كويكباً كبيراً لعيناً اصطدم بعقلي.

لديّ تاريخ مع هذا الموقف اللعين. منذ سنوات، عندما فاز بروس ويليس بجائزة أفضل ممثل من مجلة People لفيلم The Sixth Sense، وطلب مني أن أقدمه. في تلك الليلة، في الكواليس، تقابلت مع هايلى جويل أوزمينت وإم. نايت شيامالان، وتحدثت لكل منهما لحوالي عشر دقائق.

بعدها بستة أشهر، كنت برفقة بعض الأصدقاء في فندق صانسييت ماركيز، وقد دخل إم. نايت شيامالان. قال:

«أهلاً، ماثيو، لم أرك منذ مدة! هل يمكنني الجلوس؟».

هل يمكنه الجلوس؟! إنه الرجل الذي كتب وأخرج فيلم The Sixth Sense. إنه ستيفن سيلبرج القادم، بالطبع يمكنه الجلوس! كنت قد احتسيت بضع كؤوس وأقضي وقتاً لطيفاً (حدث ذلك فقط عندما كان مفعول الكحول لا يزال سارياً).

في النهاية رحل كل أصدقائي، وتبقيت أنا وإم. نايت، كنا منسجمين للغاية. أتذكر على سبيل التنويه أننا لم نتحدث عن العمل على الإطلاق، بل تحدثنا فقط عن الحب، والفقد، والفتيات، ولوس أنجلوس، وكل الأشياء الأخرى التي يتحدث عنها الناس بشكل عام في البارات. بدا أنه يقضي وقتاً جيداً هو أيضاً؛ يضحك على كل نكاتي السخيفة. بدأت أفكر: مهلاً، هذا الرجل معجب بشخصيتي! لا بد أنه من كبار المعجبين بمسلسل «فريندز» أو ما شابه، لأنه كان منتبهاً جداً لكل ما أقوله.

في الغالب، لا أفعل ذلك، لأنني غالباً ما أستنزف كثيراً بسبب التفكير الزائد، ولكنني بدأت أشعر بتخيلات كبيرة حول ذلك الأمر وكيف سيؤثر على حياتي المهنية. قال لي هناك بار آخر في المدينة افتتح

مؤخرًا، وسألني إذا كنت أرغب في الذهاب معه إلى هناك. هل أرغب في الذهاب معه؟ إنه إم. نايت شيامالان بحق الجحيم! بالطبع أردت الذهاب معه.

ذهبنا لموقف السيارات، وأخذنا سيارتنا، ولحقت به إلى ذلك المكان الجديد، كنت متأكدًا أنني سأكون نجم فيلمه القادم الكبير، نعم، سيكون فيلمًا جديدًا رائعًا بأحداث غير متوقعة على الإطلاق، وسأكون بطل نهاية الحكمة!

قام ذهني بالعديد من التخيلات. لا أدري لماذا، ولكن بدا أنه أحبني بشدة، وأحب عملي، وكنت مخمورًا لدرجة أنني ظننت أن تلك الليلة ستغير من مسار حياتي. جلسنا على كراسينا في المكان الجديد، فشعرت براحة (كنت مخمورًا) لدرجة أنني قلت إنه يجب أن نعمل معًا. وفجأة، اعتلت نظرة غريبة وجهه، وأتذكر أنني ندمت على الفور لقولي ذلك. استأذن في الذهاب إلى المرحاض، وبينما كان غائبًا، جاء أحدهم أعرفه تقريبًا وسألني كيف كانت ليلتي. قلت:

«حسنًا، أنا أقضي وقتًا ممتعًا مع إم. نايت شيامالان طوال الليل، وأقول لك، هذا الرجل معجب بي». اندهش هذا الشخص بشدة... حتى عاد إم. نايت من المرحاض.

نظر صديقي هذا إلى إم. نايت وقال: «ماتي، هل تسمح لي بكلمة على انفراد؟». كانت لقطة غريبة للغاية، لكن الشراب الكحولي سيجعل أي شيء معقولًا، خرجت من ليلتي الساحرة مع إم. نايت للحظات.

همس إليّ صديقي: «ماتي، هذا الرجل ليس إم. نايت شيامالان». تلك الحقيقة جعلتني أحاول أفتح عيني اللتين امتلأتا بشراب الفودكا لوهلة لأنتبه، وحدثت في إم. نايت شيامالان وسط ظلام البار.

ليس هو..

بأي..

حال.

في الواقع، اتضح أن ذلك المدعو «إم نايت» كان مجرد رجل نبيل هندي يشبه إم. نايت شيامالان الحقيقي قليلًا (تُرى هل كان هو بالفعل؟)، والذي كان مدير النوادل والنادلات في مطعم مستر تشاو بيفرلي هيلز العصري في لوس أنجلوس والذي كنت أرتاده بشكل دائم... ولكنني توقفت، فقد قلت لمدير النوادل الخاص به إنه يجب أن نعمل معًا في وقت ما. فكرت: ما هذه الليلة التي قضاها؟

حامل الحقائق

عشت دائماً مثل بطل فيلم Groundhog Day. أعتقد أنه فيلمي المفضل لهذا السبب. في كل ليلة، كنت أتوجه إلى مقهى فورموسا في سانتا مونيكا بوليفارد بغرب هوليوود مع أصدقائي. كانت هناك لافتتان فوق البار: إحداهما موضوعة أسفل صور وجوه أشخاص، مكتوب عليها حيث يتناول النجوم العشاء، والأخرى مكتوب عليها النيبيذ يباع بالكأس ولكننا لم نشرب كأساً فقط، بل شربنا بالنصف لتر، وأرباع اللترات، وجالونات... وأيضاً فودكا وليس نبيذاً. كان معي هانك أزاريا، وديفيد بريسمان، وكريج بيركو. كنا نشكل نسخة مصغرة من فرقة رات باك لموسيقى الجاز خاصة بنا.

قابلت هانك لأول مرة عندما كنت في السادسة عشرة من عمري. كنت في محطة سي بي إس منتظراً في طابور تجارب الأداء التجريبي الأولي لفيلم Little Shop of Horrors بطولة إلين جرين. كلانا حصل على دور، وقام هو بدور عمي في الأداء التجريبي. انسجمنا كثيراً لدرجة أنني عندما انتقلت من منزل والدي لأعيش في شقتي، انتقلت إلى شقة إستوديو في بنايته نفسها. كان شخصاً مرحاً بحق، وعندما قابلته، كان يقوم بالعديد من أعمال الأداء الصوتي. تلك الوظيفة جعلت منه لاحقاً رجلاً غنياً جداً، ولكن وقتها كل ما رغبتنا فيه هو الشهرة. الشهرة، ثم الشهرة، ثم الشهرة، هذا كل ما رغبتنا فيه. والفتيات، و... إمم، الشهرة. كان هذا كل ما يهمنى آنذاك، أو على الأقل ما يهمني، فقد اعتقدت أن الشهرة ستملأ تلك الفجوة الكبرى بداخلي والتي كانت في حالة ازدياد لا متناهٍ.

ولكن قبل الشهرة، ملأت تلك الفجوة بالمشروبات الكحولية.

كنت أشرب طوال الوقت؛ قضيت سنوات الجامعة وأنا أشرب في فورموسا. في الواقع، لقد حصلت على معدل تراكمي درجته 4.0⁽¹³⁾ في الشرب، كنت عضواً في «أخوية حب الكحول». حب الكحول أصبح قائد سفينة حياتي، ولكنني لم أدرك مدى سيطرته عليّ حتى قابلت حبيبتي جابي في ليلة ما. جابي التي أصبحت مؤلفة مسلسل Veep والعديد من الأعمال الأخرى، وصديقة العمر، ولكن في تلك الليلة، ذهبنا أنا وهي ومجموعة من الأصدقاء إلى عرض ألعاب سحرية في مدينة يونيفيرسال. وأتذكر أنني طلبت شراباً مخصوصاً، وتجربته مع الكحول بينما كان الساحر يخرج الأرانب من القبعة، أو أيّاً ما كان، والخط اللانهائي الممل من القماش الناعم المعقود من كم بدلته. ثم توجهنا جميعاً إلى شقة جابي لنمرح قليلاً. ولم يكن لدى جابي أي مشروبات كحولية في المنزل، وهو ما كان بالطبع أمراً طبيعياً، ولكن بالنسبة إليّ في عمر الواحدة والعشرين، اعتراني شعور غريب فجأة ولأول مرة. شعرت أن دمائي تغلي من أجل الشرب مجدداً؛ كل ما كنت أفكر به ولا شيء آخر هو أن أشرب كأساً أخرى.

في تلك الليلة، علمت لأول مرة أنني مولع بالمشروبات الكحولية. ولاحظت أن لا أحد معي شعر بأقل قدر من نقص الكحول في شقة جابي، ولكنني شعرت بتلك القوة تسحبي وكأنها مغناطيس قوي وكأني مثل شظايا حديد تنجذب إليه. ارتعبت من تلك الحقيقة، وخاصة أنني وجدت أنني الوحيد بينهم الذي أعاني ذلك. لذا قررت ألا أخرج تلك الليلة لأبحث عن شراب... ولكن انتهى بي الأمر بأن صرت غير قادر على النوم، وغير مرتاح، وتقلبت في سريري. ظللت في ذلك الوضع غير المريح، وسريع الانفعال، وساخطاً، حتى أشرقت الشمس أخيراً.

ماذا كان يحدث لي؟ ما الخطب؟ لماذا كنت الشخص الوحيد المتلهف للحصول على شراب آخر؟ لم أستطع أن أبوح بذلك لأي شخص، لأنني لم أفهم ماذا يحدث لي. وأعتقد أن حقيقة إدماني للمشروبات الكحولية ظلت سرّاً أخفيته عن الناس لسنوات عدة، حسناً، إلى حد ما. بالتأكيد وقتها كنت مجرد شاب جامعي يضيع وقته في شرب الخمر والتعرف على النساء، وإضحاك كل من أصدقائي وصديقاتي. لماذا عليّ إذاً أن أعترف بحقيقتي؟

لكن الأمر الذي لم يعرفه أحد هو أنني كنت أشرب وحدي؛ هذا ما أبقيته سرّاً. كما اعتمدت كمية الشراب وحدي كلياً على العام. في النهاية، كنت أجدي مع زجاجة كبيرة من تلك المخصصة للحفلات ومع مقبض الفتح، وأتخلص منها تماماً في غضون يومين، وحدي. ولكن في تلك الليلة التي حضرنا فيها عرض الألعاب السحرية، شعرت بالهلع، ماذا يجري؟ لم أختبر هذا الشعور في حياتي من قبل. ولماذا لا أفكر في أمر آخر لعين غير الشراب؟ إذا كنت في بار، يمكنك ببساطة طلب كأس أخرى... أما إذا كنت في منتصف الليل، لن تود أن تظل مستلقياً ويقظاً متمنياً أن تجد كأساً في يدك. هذا أمر جديد، هذا أمر مختلف، ومرعب، وسري.

بعد عشر سنوات، قرأت تلك الكلمات في كتاب The Big Book of Alcoholics Anonymous: «يظن مدمنو الشرب أنهم يرغبون في الهروب، ولكن في الحقيقة هم يحاولون التغلب على مرض عقلي لا يعلمون بوجوده».

وجدتها! هناك من يفهمني. ولكن قراءتي لذلك كان أمراً رائعاً وبشعاً في آن واحد. لقد عنت هذه الكلمات أنني لست وحدي - هناك آخرون في المعاناة نفسها وظنوا مثلي - ولكن هذا أيضاً كان يعني أنني مدمن للمشروبات الكحولية وأني عليّ أن أقلع عن الشرب في يوم ما لبقية حياتي.

كيف يمكنني أن أرح مرة أخرى في حياتي؟

لا أستطيع أن أجزم حقاً إن كنت أحب الناس أم لا.

الناس لديهم احتياجات، إنهم يكذبون، أو يخونون، أو يسرقون، أو يفعلون ما هو أسوأ: إنهم يريدون الحديث عن أنفسهم. كان الكحول أعز أصدقائي لأنه لم يطلب أبداً الحديث عن نفسه. لقد كان دائماً حاضراً من أجلي، مثل الكلب الصامت بجانب قدمي، ينظر إليّ، مستعد للخروج في نزهة في أي وقت. لقد أراحتني كثيراً من الألم، وخاصة حقيقة أنني شخص وحيد، كنت وحدي حتى عندما أكون محاطاً بالناس. لقد جعل الكحول الأفلام أفضل، والأغاني أفضل، جعلني أفضل. أراحتني بوضعي الحالي في الحياة بدلاً من تمنّي أن أكون في مكان آخر، أي مكان. لقد جعلني سعيداً بمرافقة المرأة التي أمامي بدلاً من أن أستمّر في التساؤل

حول ماذا لو كنت أواعد غيرها، هل ستكون الحياة أفضل؟ لقد سلب مني شعور عدم الانتهاء لعائلتي وشعوري بأنني دخيل عليهم. إنه ما أزاح كل الجدران من حولي، ما عدا جدار واحد، حتى ولو بعد حين. لقد سمح لي بالتحكم في مشاعري، وبالتالي التحكم في عالمي. كان بمثابة صديق، حاضرًا من أجلي. وكنت على يقين من أنني سأجن من دونه.

وأنا محق في ذلك بالمناسبة؛ من دون الكحول، سأجن.

لقد جعلني أشعر بالرغبة في أن أكون شخصًا آخر. وأن أتخلى عنه بدا مستحيلًا. أن أتعلم المضي قدمًا في حياتي من دونه بدا أشبه بأن تطلب من شخص أن يقضي يومه لها من دون التنفس. ولهذا، سأظل دائمًا ممتنًا لوجود المشروبات الكحولية، لأنها أخيرًا جعلتني في حالة من المنطقية.

حسبما يقول مالكوم جلا دويل، إذا قمت بشيء لمدة عشرة آلاف ساعة، فأنت خبير به. إذا أنا خبير بمجالين: تنس الثمانينيات، وشرب الكحوليات. وأحدهما فقط مهم بالنسبة إليّ لإنقاذ حياتي.

سأدعك تخمن بنفسك أي هذين المجالين مهم لي.

ولكن عندما أردت أن أقلل من شعوري بالوحدة بين الناس، كنت أجتمع مع هانك أزاريا، وديفيد بريسمان، وكريج بيركو. وللغرابة، لعبت دورًا لشخصية اسمها الأخير أزاريان في مسلسل Beverly Hills, 90210. أن تظهر كضيف شرف في الحلقة التاسعة عشر من الموسم الأول ذي الاثنين وعشرين حلقة هو أمر جلل وقتها. عندما أديت دور روجر أزاريان، لم يكن مسلسل Beverly Hills, 90210 قد تحول لظاهرة ثقافية بعد، ذلك الفتى نجم التنس في بيفيرلي هيلز هاي وابن رجل أعمال متشدد، ولكن مواضيع تلك الحلقة كانت تدور حول (اكتئاب المراهقين، والانتحار، وصعوبات التعلم) مما جعله مسلسلًا لا يخشى ولا يهاب الهراء الواقعي رغم مستواهم الاجتماعي الرفيع به.

اقتبست تلك الحلقة عنوانها من قصيدة ت. س. إليوت الشهيرة «أبريل الشهر الأكثر قسوة»، وبدأت بمشهدتي وأنا أضرب كرة التنس بكل قوتي، متباهيًا بمهاراتي الكندية المصنفة محليًا، وبارسالي واستقبالي العنيف للكرات الرابحة، وهو ما يظهر أنني حقًا ألعب جيدًا. كنت أستخدم مضربًا خشبيًا على طراز بيورن بورج برأس صغير، والذي تمكنت به من أن أضرب بقوة شديدة في هذا المشهد. يلاحظ جيسون بريستلي، الذي يقوم بدور براندون وولش، غضبي الخفي، ويسألني كم مضرب أغیره في الأسبوع، وفي لحظة فنية تحاكي الحياة، أرد قائلاً: «على حسب من أرى وجهه على الكرة».

ظل السلم يرافقني، حتى عندما مثلت شخصية خيالية في مسلسل تليفزيوني. بنهاية الحلقة، شاركت براندون حوارًا، وثلت، ووجهت مسدسًا نحو وجهي، وانتهى بي الحال محجورًا في جناح علاج نفسي، وحدها لقطه المسدس التي كانت مجرد تمثيل والباقي كان مجرد أسلوب حياة.

لم أكن قد أكملت عامي الثاني والعشرين بعد، ظلت لسنوات أظهر كضيف شرف في حلقات مسلسل هنا وآخر هناك، في أدوار كلها شرفية.

الحقيقة هي أنني كنت أعمل جيدًا. ولكن فرصتي الكبرى جاءت عندما ترشحت لدور في مسلسل Second Chance، بالرغم من أن تجربة أدائي طغى عليها شخص لم يرشح لدور.

ما زلت أعتقد أن مسلسل Second Chance يرتكز على قصة عظيمة: رجل أربعيني يدعى تشارلز راسل يموت في حادثة مركبة حوامة (لأن هذا ما يحدث دائماً)، ويذهب إلى رؤية القديس بطرس في مكتبه. وإذا أشع الضوء الذهبي على تشارلز بينما يقف في يوم حسابه، سيذهب إلى الجنة، وإذا أشع باللون الأحمر، سيذهب إلى الجحيم، ولكن إذا أشع باللون الأزرق، وهو ما حدث مع السيد راسل، فإنه يسمى بصاحب الضوء الأزرق، أي أنهم لا يعلمون ماذا يفعلون بشأنه. لذا يقرر القديس بطرس أن يرسله مجدداً إلى كوكب الأرض ليقابل نفسه في عمر الخامسة عشرة والذي يرشده نحو حياة أفضل بقرارات أفضل. ومن ثم، عندما يركب مجدداً مركبة حوامة في سن الأربعين، يموت مرة أخرى، ولأنه صار شخصاً أفضل، سيتغير الضوء من الأزرق الذي يشير إلى «نحن لا نعرف ماذا نفعل بشأنك» إلى ما يشير إلى «لقد اقتنعنا الآن، مرحباً بك في الضوء الذهبي الخالد». هل يمكنكم التفكير في قصة أفضل من هذه يلعب فيها دور الأب وابنه؟ تقدمنا أنا وأبي لتجربة أداء الدورين، ولكن حدثت الكارثة؛ حصلت أنا على الضوء الأخضر لأؤدي دور ابن صاحب الضوء الأزرق بينما لم يحصل أبي على أي ضوء على الإطلاق.

«إنهم يريدونك، ولا يريدونني»، هذا ما قاله أبي عندما علم الخبر. يبدو أنني حدجته بنظرة جامدة دون أن أظهر أي تعبير؛ فعلى كل حال، لقد حصلت على دور كبير، وهو لم يحصل بدوره، لذا يمكنني أن أتخيل وجهي حينها الذي بدا عليه مزيج من الحزن لأجله والفرح لأجلي، بدرجة كبيرة لدرجة أنه قال: «هل تريدني أن أكرر الخبر؟ إنهم يريدونك، ولا يريدونني».

مع وضع مشاعر أبي المجروحة جانباً، حصلت لتوي على أول دور كبير في مسلسل تليفزيوني. كنت أجني خمسة آلاف دولار في الأسبوع، كنت في السابعة عشرة من عمري. الأنا الخاصة بي كانت في أقصى درجاتها، ظننت أنني شيء مهم، تماماً مثلما ظن الجميع حول مسلسل Second Chance. لكنه حاز على المركز الثالث والتسعين من أصل ثلاثة وتسعين مسلسلاً ذلك الموسم. وعرضت آخر تسع حلقات بعد عرض أول ثلاث عشرة حلقة، ومن بعدها ذهبت قصة كل من القديس بطرس وصاحب الضوء الأزرق هباءً، ولحقني المسلسل أنا وأصدقائي باعتباره إحدى مغامراتي. لذا لم يعد يهمني الأمر أن المسلسل صار في المركز الثالث والتسعين من أصل ثلاثة وتسعين مسلسلاً؛ فهناك شخص مهم أعجب بي لدرجة أنه بنى أحداث مسلسل كامل عليّ وهو ما عزز من كبريائي بنسبة كبيرة، وهو ما يؤهلني لنجاحات لاحقة.

كان رد فعل أبي على الخبر أنه لم يحضر أي تصوير لحلقة، عدا الحلقة الأخيرة، وأعتقد أنه كان لديه أسبابه. تباعاً، تمكنت من الحصول على عدة أدوار كضيف شرف، وبعد عامين، حصلت على دور في مسلسل آخر، هذه المرة كنت في مسلسل من بطولة فاليري بيرتيني. كان المسلسل يدعى Sydney، وهو استكمال للأعمال التي نالت فيها فاليري البطولة في دور محققة خاصة (!!)، بينما قمت أنا بدور أخيها الذي يتحدث بسرعة، وهذا كل ما أنتم بحاجة إلى معرفته عن ذلك المسلسل المكون من ثلاث عشرة حلقة (فقد تم إيقاف مسلسل Sydney بعد نصف موسم). وبالرغم من فشل Sydney في جذب الجمهور، لن أنسى شيئاً حوله.

أولاً، قام كريج بييركو بأداء دور محامي فاليري وحبیبها في المسلسل، وبعد أن قابلته بالكاد في موقع التصوير، اتصلت بهانك أزاريا على الفور وقلت له: «يبدو مثلنا!»، وهو أعلى مدح يمكن أن أمنحه

لشخص. ولكن قبل أن أعلم كم كان كريج مرحًا، كان هناك الشيء الآخر في ذلك العمل الذي يتعين عليّ أن أخبركم به؛ في أثناء التصوير، وقعت في حب فاليري بيرتينيلى بجنون، والتي كانت في علاقة زواج مضطربة، وكانت تهرب من ذلك بتعاملها مع اثنين من أطرف الرجال في العالم، رجلين يعشقانها ويوجهان لها اهتمامهما.

فاليري بيرتينيلى، تلك السبعة مقاطع كانت تهز روعي بالكامل.

في بدايات التسعينيات، لم يكن هناك من هو جذاب أكثر من فاليري. فهي لم تكن فقط مذهلة ومفعمة بالحوية، بل كانت لديها تلك الضحكة الرائعة الجذابة المشعة، والتي كنا نتوق أنا وكريج لسماعها طوال اليوم. وبعد أن حصلنا أنا وكريج على دورينا، أصبحت فاليري تمثل مع اثنين مهرجين، وانهمكنا في تلك الأدوار بلامبالاة. كنا نمرح نحن الثلاثة كثيرًا.

ولكن بالنسبة إليّ، كان دوري في مسلسل Sydney والتسكع مع فاليري أمرًا مرحًا للغاية، لقد كان رائعًا بحق. اضطررت إلى أن أخفي مشاعري تجاهها في أثناء عملنا معًا (ولن تكون تلك المرة الأخيرة)، وهو ما كان أمرًا صعبًا للغاية. لقد كانت محبوبتي مرتبطة؛ ليست بعيدة المنال وحسب، بل كانت متزوجة من واحد من أشهر نجوم الروك في العالم آنذاك، إنه إيدي فان هالين. عندما كنا نصور مسلسل Sydney، ظلت ألبومات فرقة إيدي، فان هالين، تحتل المرتبة الأولى من بين الفرق الرباعية؛ كانت فرقته الموسيقية تحتل مكانة كبيرة على مستوى العالم في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات. ولا شك أن إيدي كان أعظم عازف جيتار روك على هذا الكوكب في ذلك الوقت أيضًا.

أما أنا، فكنت قادرًا على إقامة علاقات مع النساء لقدرتي على إضحاكهن فقط، ولكنني علمت أن تلك القدرة دائمًا ما تأتي في المرتبة الثانية بعد الموسيقيين. (حتى في عالم الموسيقى، هناك تسلسل طبقي أيضًا؛ أعاني دائمًا من أن عازفي الجيتار الكهربائي يقيمون علاقات أولاً لأنهم متبلدو الحس وباردون وأصابهم تتحرك بانسيابية وبقوة في الوقت نفسه (ما عدا باول مكارتنى، الذي لم يقم بأي علاقة أولاً) يأتي بعدهم عازفو الطبول لقوتهم ومثابرتهم، ثم يأتي عازفو الجيتار العادي وذلك لعزفهم المنفرد، وما يثير العجب أن المغني الرئيسي يأتي في المرتبة الأخيرة، لأنه على الرغم من أنه يتقدم الفرقة، فإنه دائمًا ما يكون الأقل جاذبية حيث يرفع رأسه ويهزه بعنف وينفتح فمه بشدة لدرجة أن ضروسه تظهر حتى يحصل على النوتات العالية في أثناء الغناء). أيا كان التسلسل الصحيح، أعلم أنني في مرتبة بعيدة تمامًا عن إيدي فان هالين؛ ليس لأنه موسيقي فقط، ما يعني أنه يمكنه أن يحصل بسهولة على علاقات أكثر من مجرد شخص مضحك، بل إنه أيضًا كان زوجًا لمن أردت.

من المهم أن أشير هنا إلى أن مشاعري نحو فاليري كانت حقيقية. كنت مفتونًا تمامًا؛ أعني أنني كنت مولعًا بها، وأخذت أغوص في تخيلات إبداعية حول هجرها لزوجها إيدي فان هالين وأن تعيش بقية حياتها معي. كنت في التاسعة عشرة وأعيش في شقة ذات غرفة واحدة في تقاطع شارعى لوريل كانيون وبوربانك (سميته نادي كاليفورنيا الليلي، هل تمانعون؟). لكن الخيالات والحب الأول لا يعرف عقارًا، ولا يعرف أي شيء.

لم أحظ بفرصة لعينة بالطبع.

ذات ليلة... مكثت قليلاً في منزل إيدي وفاليري، أخذت أتجول في المكان وأحدق بها، محاولاً أن أضحكها. عندما أضحكها، أشعر أنني ازدددت عشرة أقدام طولاً. وبينما يتقدم الليل، بدا أن إيدي يستمتع ببنيد الفاكهة بشكل قوي، إنه هو مجددًا، وفي النهاية، سقط مغشياً عليه، ليس بطول عشرة أقدام هبوطاً منا، لكنه ظل بيننا. كانت تلك فرصتي! إذا اعتقدت أنني لم أحظَ معها بأي فرصة ولو في الجحيم فأنت مخطئ عزيزي القارئ، لقد اجتمعنا أنا وفاليري وتبادلنا القبلات والمغازلة لفترة طويلة وبشكل عميق. كان الأمر يحدث، ربما كانت تشعر بشعوري نفسه. صارحتها بأنني تخيلتني أقوم بكل هذا منذ فترة طويلة، فردت عليّ بالمثل. انتهى اليوم بأغنية Heaven، وركبت سيارتي الهوندا سي آر إكس وتوجهت إلى نادي كاليفورنيا مع انتصاب كلي قد يوازي برج بيزا المائل طولاً، وامتلأ رأس فتى في التاسعة عشرة من العمر بالأحلام، حول حياة يقضيها مع هوسه وغرامه.

في اليوم التالي، حكيت لكريج ببيركو ما حدث، وقام بإعطائي بعض النصائح وصورًا من الواقع كنت أحتاجها بشدة، رغم عدم استعدادي لتقبلها.

قال: «كن حذرًا» فقلت لنفسي إنه يشعر بالغيرة وحسب وحضرت نفسي لليوم التالي في العمل، ولكن تلك المرة مع حبيبتني الجديدة فاليري.

ولكن اليوم التالي لم يمر بالشكل الذي توقعته. لم تذكر فاليري ما حدث بيننا وتعاملت - وهو ما كان يجب أن تفعله - وكأنه كان يومًا عاديًا تمامًا. سرعان ما أدركت ذلك التلميح، وأديت الدور المطلوب، ولكنني كنت محطًا من الداخل. قضيت ليلة مليئة بالدموع، وقضيت وقتًا كبيرًا من النهار في النوم جراء آثار الثمالة في شقتي الصغيرة الأشبه بمقطورة - ناهيك أنني شاهدت ساعات وساعات من دور كريج وهو يزداد باعتباره كان حبيب فاليري في المسلسل - كل ذلك جعل مني مراهقًا حزينًا وخائب الأمل. فشل المسلسل فشلًا ذريعًا، وكنت ممتنًا للغاية أن Sydney لم يكتمل وتم إيقافه بعد ليلتي المنذرة بالسوء مع فاليري بأربعة أسابيع، ولم أحتج لرؤيتها مرة أخرى.

بالطبع لم تخطئ هي، ولكن الاضطرار إلى رؤيتها يوميًا والتظاهر بأن كل شيء على ما يرام بالنسبة إليّ ذكرني كثيرًا بما كنت يجب أن أفعله مع أمي كل يوم هناك في أوتاوا بكندا.

قضيت عمري أنجذب لنساء مرتبطات. ولا أعتقد أن الأمر يحتاج إلى درجة علمية في علم النفس لمعرفة أن هذا يرجع إلى علاقتي بأمي. أمي التي كانت تسرق أنظار أي مكان تظهر به. أتذكر بوضوح أننا كنا مدعويين لحفلة راقية وأنا في السادسة من عمري، وعندما دخلت أمي، توجهت نحوها كل الأنظار في الحفل. أردت منها يومها أن تلتفت وتنظر إليّ في تلك اللحظة، ولكنها كانت تعمل ولم تستطع القيام بذلك، اتخذ مني الأمر سبعة وثلاثين عامًا لاحقًا كي أعالجه.

منذ ذلك الحين، أصبحت مدمنًا لـ«الالتفات». بمجرد أن ألتفت بنظري، أشرع في إضحاك المرأة التي معي وأجعلها تنجذب إليّ جنسيًا. وبمجرد أن أنتهي من ممارسة الجنس معها، يتدخل الواقع، وأجد نفسي لا أعلم أي شيء عن هؤلاء النسوة على الإطلاق. إذا كن متواجداً من أجلي فلا رغبة لي فيهن. فأجد أن عليّ

أن أجعلهن يلتفتن من أجلي، وهنا أرغب فيهن. لهذا نمت مع العديد من النساء لمجرد أنني كنت أحاول أن أستعيد مجددًا ما فعلته أُمي بي في طفولتي وأنتصر عليه.

بالطبع وقتها لم أعلم ذلك على الإطلاق، وظننت فقط أن الأمور لم تسر على ما يرام معهن، إليكم المفاجأة، ذلك الفتى الممثل الكندي يعاني بعض العقد النفسية بسبب الأم.

ولكنني كنت في التاسعة عشرة من عمري وتقدمت الحياة بشكل سريع بالنسبة إلى كل من حولي. فبعد مرور عام، أطلق فان هالين ألبومه بعنوان For Unlawful Carnal Knowledge، وعُدت مجددًا لمغازلة النساء في بار فورموسا، في محاولة لاستدعاء فكرة «الالتفات» وجعلها تستمر بأكبر قدر ممكن من المنطقية.

كان الأمر يفلح أحيانًا، ولكن في كل مرة، كنت أغادر الساعة 1:40 صباحًا وأتوجه مسرعًا إلى أقرب متجر للمشروبات الكحولية حتى أتمكن من الحصول على كم أكبر من الفودكا وأشرب حتى الثمالة في عمق الليل. كنت أجلس في زاوية، وأفرغ الزجاجات (أختم اليوم بالزجاجة ذات المقبض) وأشاهد فيلم The Goodbye Girl، أو حتى فيلم مايكل كيتوني Clean and Sober أي «نظيف وغير ثمل» (هل لاحظتم ذلك؟)، وتماّمًا مثل إيدي فان هالين، أسقط مغشيًا عليّ، ثم تبدأ فكرة في وخز رأسي أيضًا، ليست فكرة كبيرة ولكنها تشغلني على أي حال: أنت تشرب كل ليلة ولكنها سرعان ما تذهب بمجرد أن أحسني الشراب التالي.

وفي اليوم التالي، أجر نفسي حتى أتناول الغداء، وأقابل كريج بيركو، والذي في اعتقادي حتى يومنا هذا أنه أسرع عقل كوميدي رأيتَه على الإطلاق. كنت أظن أنني سريع أيضًا، لكن لا، بل هو كريج بيركو. أصبح هانك أزاريا أكثرنا ثراءً في السِّلَّة لأنه قام بأداء صوت في مسلسل The Simpsons منذ عام 1955⁽¹⁴⁾. لكنني أصبحت أنا الأكثر شهرة، وأصبح ديفيد بريسبان ممثلًا ذا رحلة طويلة مثل أبيه لورانس بريسبان، وأكثرنا جنونًا. فقد اعتاد مثلًا أن يجري عاريًا في السوبرماركت ويصرخ قائلاً: «لديّ مشكلة كبيرة، هل يمكن لأحدهم أن يخلِّق لي؟!» ثم يهرع خارجًا. (قام بذلك حتى في أربعينياته، وأحيانًا كنت أشارك معه في التعري في الأماكن العامة، ولكنني توقفت عن ذلك في منتصف ثلاثينياتي لأنني الأكثر نضجًا).

وحتى يومنا هذا لم يضحكني أحد بقدر ما أضحكني كريج بيركو. أن تكون مضحكًا أكثر من الثلاثي المحترف هانك وديفيد وأنا هو أمر مستحيل، ولكن كريج نجح في ذلك. وأن تكون مضحكًا أكثر مني أنا وهانك من دون ديفيد أمر غير معقول، لكن كريج نجح في ذلك أيضًا. كنا نخرج لتناول الغداء، يلقي كريج بجملة مضحكة للغاية لدرجة أنه بعد الانتهاء من الغداء بخمس عشرة دقيقة، في أثناء قيادتي للسيارة إلى المنزل، كنت أضطر إلى الانحراف عن الطريق لأنني كنت لا أزال أضحك على جملته، فيشير إليّ كريج ويتظاهر كأنه يطلق النار عندما يراني أضحك وهو يعلم لماذا. لم يكن هناك شخص مضحك بقدر كريج. لا أحد.

وما ساهم في صداقتنا أيضًا هو الشهرة، بجانب محاولة كلينا أن نلقي بالمزاح سريعًا، كلانا كان متعطشًا للغاية ليصبح مشهورًا. وجاءت الشهرة بثارها مع هانك عندما قام بأداء صوت في مسلسل The Simpsons، ولكنه لم يكن الطريق المهني الذي كان يريه، طريق آل باتشينو. أما أنا، حسناً، فقد قمت بأداء العديد من

الأدوار في المسلسلات التلفزيونية، ولكن لم يحقق لي أي منهم الشهرة ولو حتى القليل... الشهرة، الشهرة، الشهرة، تلك ما كنا نرجوها جميعاً. وما بين الضحكات - بعد أن تشاركنا بعض القصص حول تجارب الأداء التي أخفقنا فيها، وحول السيناريوهات التي كرهناها ونحن نقرأها - كانت هناك لحظات هادئة يملأها قلق عميق، وخوف من أننا لن ننجح أبداً، وأن تلك الشهرة ستفوتنا بشكل أو بآخر. كنا أربعة أصدقاء لدى كل منا «أنا» قوية، أربعة رجال مرحين، تتطاير منا النكات والمزاح مثل الشظايا، ولكن المعركة بيننا كانت مُحْتَدَّة؛ معركة الشهرة.

تمسكت بشدة باعتقادي أن الشهرة ستملاً فجوة الوحدة التي بداخلي، الفجوة التي رفضت فاليري ملاءها. والآن لم يبقَ سواي أنا والفودكا نحاول ونفشل مع تلك المهمة المستحيلة بشكل واضح. لكن عندما جاءت الشهرة أخيراً، حسناً... سنتحدث عن هذا لاحقاً.

قَبَلْتُ يوماً ما ديفيد بريسمان، أو كدت أن أفعلها، مع أنني لم أقصد ذلك بأي حال.

عندما كنا في بدايات عشرينياتنا، ذهبت أنا وهو واثنين من الرفاق شرقاً إلى لاس فيجاس، لنعيش أجوائها. لم يكن بحوزتنا مال، ولكن ذلك الأمر لم يكن يمنع أبداً أربعة مغفلين من الذهاب إلى مدينة الخطيئة. أتذكر أنه كان معي يومها 200 دولار في محفظتي، استأجرنا غرفة بسريرين في فندق صغير بشارع ذا ستريب الشهير. تشاركت سريرًا مع ديفيد، وفي منتصف الليل، أظن أنني كنت أحلم بجابي، حبيبتي السابقة، وظللت أقرب في الواقع من ديفيد، أتممت بكلمات مثل «أوه يا حبيبتى»، و«رائحتك عطرة»، «وأعدك أنني سأكون سريعاً». في حين كان هو نائماً في سلام ولكن عقله الباطن كان حاضراً كي يستمر في الرد بـ«لا!» و«ابتعد عني!» و«دعني وشأني بحق الجحيم!»، ثم بدأت أقبل مؤخرة رقبتة، وهو ما أيقظ كلانا من روع المفاجأة، رأيت وجهه وقد اعتلته تلك النظرة المرتعبة، فقلت: «أوه، فقط انس الأمر وحسب» واستدرت لأنام على جانبي على السرير.

يبدو أن كلانا كان بحاجة لبعض التحرر.

في أول ليلة، ذهبنا للعب القمار، وبطريقة ما، كان حظي جيداً، فربحت 2600 دولار في لعبة بلاك جاك، وهو أعلى مبلغ حصل عليه أي منا.

إذاً حان وقت صرف تلك النقود بتهور.

رفعت ذراعي عالياً كالملك وقلت: «سأسمح لكل منا لأن يارس علاقة حميمة!».

أخذنا سائق سيارة أجرة بعيداً عن المدينة إلى مكان يدعى دومينيونز، وهو مكان وعدنا سائق سيارة الأجرة أنه سيشتع رغباتنا (ربما كان يتقاضى مالاً مقابل كل مجموعة من الشباب الأغبياء يلقي بهم إلى دومينيونز في الصحراء). ولكي نتمكن من الدخول إلى ذلك المبنى المحترم، قال لنا أحدهم والذي كان بلا رقبة تقريباً إنه يجب أن يدفع أحدنا ألف دولار على الأقل، وبما أنني حالفني الحظ في القمار، وقع الأمر على عاتقي. في الواقع، انتهى بي الأمر بأن أنفقت 1600 دولار على زجاجة شامبانيا، وبعدها أدخلوا كل منا إلى غرفة منفصلة له تبدو مثل الصندوق، وبداخل كل منها فتاة في انتظارنا.

ظننت أن الـ 1600 دولار التي أنفقتها ستكون لصالح ما سيحدث بعد ذلك، ولكن اتضح للأسف أنني مخطئ. ففي الواقع، اكتشفت أنه لن يعرض عليّ شيء قبل أن أدفع 300 دولار مقدّمًا، وهو ما فعلته بالشكل المطلوب، وقبل أن أنتهي من ليلتي تلك، ظهر كل من ديفيد بريسمان والشابين الآخرين على باب غرفتي، كانوا بحاجة إلى منحة قدرها 300 دولار لكل منهم. أوفيت بمطالباتهم المالية، وعدت لما كنت أقوم به في الحال. (لم تتسن لي الفرصة لأقوم بأي حسابات، ولكن إليك الحسبة في حال احتجتها: في البداية كان بحوزتي 200 دولار، وربحت 2600 دولار، أنفقت منها 1600 دولار على الشمبانيا، ودفعت 300 دولار إضافية لكل منهم، بمجموع 2800 دولار، وهو كل ما كنت أملكه).

بعد أن أوفيت بالالتزامات المالية ووزعتها، شرعت الفتاة في الرقص أمامي، في بعض أركان الغرفة، واستدارت بشكل مثالي، مثل «فتيات روكسبيري» تقريبًا، كنت مستعدًا تمامًا أن آخذ علاقتنا إلى مرحلة جديدة.

قلت لها بشكل غير مباشر: «ماذا يحدث بحق الجحيم؟!».

قالت: «ماذا؟!».

«ماذا؟ كان من المفترض أن نمارس الجنس! لقد أنفقت مبلغًا بقدر ثروة صغيرة هنا!».

ثم شرحت لي لسبب ما أنني يمكنني أن أضع الوسائد حيثما أريد.

سألتها وتوسلت إليها في الوقت نفسه: «هذا رائع، أنا متحمس للوسائد - حقًا كنت متحمسًا - ولكن أليس من المفترض أن نقوم بشيء آخر الآن؟».

سألت: «هل أنت شرطي؟».

«لا!» مع أنني بدأت أفكر في الاتصال بهم للإبلاغ عن عملية احتيال. «ولكنني دفعت لك كل هذه الأموال، لدينا اتفاق...».

قاطعتني قائلة: «أوه! تلك كانت مقابل الرقصة فقط...».

وفي تلك اللحظة، انتبهت من الطرق على الباب إلى أن أصدقائي الأعداء يواجهون الأمر نفسه، قدرهم المحبط. صرنا مفلسين، أعيننا تفيض بالدموع، أربعة فتیان محترمين (ليس تمامًا) أغبياء يخرجون من المكان إلى عتمة صحراء موهافي، ويبدأون في السير لمسافة طويلة عائدين إلى الفندق الرخيص.

وفي اليوم التالي، تمكن أحد أصدقائي نك من أن يأخذ فتاته لمشاهدة فيلم Young Guns الجزء الثاني، وهو ما يعد إنجازًا. وكان هناك العديد من الأسئلة التي لم يجب عنها في الجزء الأول.

في عام 1994، كان كريج بيركو الألع بيننا في حلقة تجريبية أداها. بينما كان بقيتنا يتنقل بين تجارب الأداء لأحدث مسلسلات «السيات كوم» والدراما، لكن كريج كان المطلوب دائمًا. كان أسرع مني في إلقائه للجمل. كان أيضًا أفضل مني شكلاً، ولكن دعونا لا نخوض أكثر في هذا الأمر؛ لا نريد أن يكون هناك مؤلف يشكو ويكي كثيرًا بين أيديكم. أنا عن نفسي كنت سأكرهه، ولكن شخصيته المرحّة دائمًا ما تفوز، لذا قررت أن أظل أحبه.

كنت في الرابعة والعشرين من عمري، وقد أخفقت في نحو 50٪ من تجارب الأداء. بدأت أتخلى عن العمل في التمثيل. وقد جاء احتساء المشروبات الكحولية لينصرتني ببطء على حربي أمام تجارب الأداء، لم يكن هناك من هو مهتم بي على الإطلاق. لم أحصل على أي أدوار في الأفلام، والأدوار التي نلتها في التلفزيون بالكاد ترى النور. كنت أعاني آثار الثمالة معظم الوقت، أما بقيته فكنت أقضيه في التوجه للغداء، أو لمقهى الفورموسا. وفي يوم أجلسني مديري وقال إن الشخصيات التي أقتدي بها؛ مايكل كيتون، وتوم هانكس، كلهم يملكون الأسلوب الذي أؤدي به. ولكنها كانا رائعين، في حين أنه دائماً ما كان يتلقى من مخرجين ومنتجين تعليقا بأنني أبدو في حالة رثة.

بدأ القلق يصيب هانك أيضاً، وشعر أنه يضيع حياته، وتوقف عن الحضور لغدائنا الفكاهي ومقهى الفورموسا؛ كان دائماً يتعامل مع حياته المهنية وجسمه بجدية شديدة.

لم يكن الأمر مفاجئاً لي وقتها عندما تلقيت اتصالاً من الذي أصبح مدير أعمالي وقال: «ماثيو، لم تعد لديك نقود».

قلت وأنا في قمة الرعب: «ماذا لو كنت أعطيتني تحذيراً بسيطاً مسبقاً؟ ألم تأتِك الفرصة منذ عدة أشهر كي تنبهني مسبقاً؟ من مكالمة تقول فيها: «أهلاً ماثيو، أموالك تعاني الأنيميا» بدلاً من أن تنتظر حتى صرت مفلساً الآن؟».

عمّ الصمت على الطرف الآخر من الخط، مع أنه آنذاك كان أمراً جديداً تماماً لمدير الأعمال أن ينوه بشأن دخل شخص قبل إفلاسه.

لحسن الحظ، ضقت ذرعاً من محاولة حصولي على أدوار في حلقات تجريبية فاشلة. أغلقت الخط مع الذي أصبح مدير أعمالي السابق، واتصلت بوكلائي وأوضحت لهم أنني مفلس، وأني أحتاج إلى عمل، أي عمل، ولا بد أن يكون عملاً جيداً.

إذا كنت تظن عزيزي القارئ أن من هنا حصلت على دوري في مسلسل «فريندز»، فأنت تحتاج إلى التريث قليلاً، فتلك المكالمة كادت أن تذهب بي إلى المسلسل الذي كان سيمنعني من دوري في «فريندز».

L.A.X. 2194 كان مسلسل خيال علمي كوميدى، عن حاملي الحقائب في مطار لوس أنجلوس الدولي. قد تتوقف هنا، ولكن هناك المزيد: تلك الأرقام في اسم المسلسل كانت ترمز إلى حبكة المسلسل، الذي تدور أحداثه بعد مائتي عام في المستقبل، وأن المسافرين جواً سيكونون كائنات فضائية. بطل المسلسل كان الممثل ريان ستايلز، والذي يؤدي دور إنسان آلي يعمل مديراً لمكتب، ولديه لكنة غريبة (ريان ممثل كوميدى رائع حقاً، ولكن ماذا كانت تلك اللكنة؟)، ويأتي دوري أنا الفتى البائس الذي عليه أن ينظم تلك الفوضى ويرتب الحقائب للكائنات الفضائية الوافدين، والذين أدى دورهم بعض قصار القامة الذين يشبهون ألعاب «ليتل بيبول» مرتدين شعراً مستعاراً سخيفاً للغاية.

إذا بدا كل ذلك مخيباً لآمالك، فلا بد أن تعلم أن الأمر كان أسوأ من ذلك. فتحتم عليّ أن أرتدي قميصاً مستقبلي الطراز كبداية. ورغم شكوكي (سأكرر، كان مسلسلاً «كوميدياً» عن حاملي الحقائب تدور أحداثه في المستقبل بعد مرور مائتي عام، حيث يؤدي دور الكائنات الفضائية بعض قصار القامة الذين يشبهون

ألعاب «ليتل بيبول»، فإنني تقاضيت عن الحلقة التجريبية الأولى 22500 دولار، وهو ما ضمن لي طعامي وشرابي في مقهى الفورموسا لفترة طويلة... ولكن حدث شيء آخر أيضًا: فبسبب ارتباطي بمسلسل L.A.X. 2194، لم أكن متاحًا لكل المسلسلات الأخرى.

ثم حدثت الكارثة، ولا أقصد أن L.A.X. 2194 استمر لموسم واحد فقط؛ فهذا لم يحدث على الإطلاق حمداً للرب، بل إن ما حدث هو أنه كان هناك سيناريو لمسلسل جديد يدعى Friends Like Us صار حديث الموسم وقتها. كل من قرأه عرف أنه سيكون عملاً قوياً؛ قرأته وعلى الفور اتصلت ببعض وكلائي الذين أحضروا لي دوري في L.A.X. 2194 وقلت: «لا بد أن تمنحوني دوراً في Friends Like Us».

فقال وكلائي: «هذا لن يحدث، أنت مرتبط بمسلسل حاملي الحقائق. لقد تم أخذ مقاساتك من أجل القميص المستقبلي وما إلى ذلك».

كنت محطماً، فعندما قرأت سيناريو Friends Like Us، شعرت كما لو أن أحدهم كان يتبعني لمدة عام ويسرق نكاتي، وينسخ طريقتي المميزة، ويصور عالمي ونظرتي المضجرة والحكيمة في آن واحد تجاه الحياة. برزت شخصية ما على وجه التحديد أمامي: المسألة لم تكن في أنني يمكنني تأدية دور «تشاندر»، بل أنا تشاندر بالفعل.

ولكنني كنت أيضاً «بلين» في مسلسل L.A.X. 2194، تبا لي، هل تمزحون؟ هل أنا الشخص الأقل حظاً في العالم؟

ساء الأمر أكثر، لأن Friends Like Us كان محط أنظار الكثيرين في ذلك الموسم، فقد كان الجميع يقرأ السيناريو، والجميع يتقدم له من أجل تجربة الأداء، كما بدا أن الجميع قد قرروا أن دور تشاندر يشبهني تماماً وكانوا يحضرون إلى شقتي ليطالبوا مني مساعدتهم في تجربة أداء هذه الشخصية. حتى أن منهم من مضى قدماً بناء على اختياري، اختياري وحدها. ظن هناك أزاريا أن العمل جيد جداً فتقدم لتجربة أدائه مرتين، لدور «جوي». نعم، هذا حدث، لقد تقدم لتجربة أداء شخصية جوي، وتم رفضه وتوسل حتى يقوم به مرة أخرى، فرفض مرة أخرى. (لاحقاً، أدى هانك دور حبيب «فيبي»^(قل) في بعض الحلقات، ونال على أدائه لهذا الدور جائزة إيمي، بينما قمت أنا بتمثيل 237 حلقة ولم أفر بأي شيء).

انتهى بي الأمر بأن حفظت سيناريو Friends Like Us عن ظهر قلب، لأنني دربت كل أصدقائي عليه تقريباً. في الواقع، كانت هناك أوقات كنت أتصرف فيها مثل تشاندر أمامهم وأطلب منهم تقليدي، فتأكدت أنني الشخص المناسب لتأدية هذا الدور. وظللت أتصل بوكلائي كل ثلاثة أو أربعة أيام لأتوسل لهم بالحصول على فرصة تجربة أداء لهذا الدور.

كدنا ننسى كريج بيركو الآن، الشخص الأملح في المدينة. ذات صباح، اتصل بي كريج وبهانك ودعانا لتناول الفطور معه، وبينما نسير في طريقنا، وجدنا كريج جالساً إلى طاولة وأمامه سيناريو هان مفتوحان.

قال كريج: «يا شباب، لقد عرض عليّ دوران في مسلسلين، كلاهما سيخرجه المخرج في هوليوود؛ جيم بوروز. أحدهما يدعى Best Friends «أصدقاء أعزاء» والآخر يدعى...».

قلت في سري: «انتظر، أرجوك لا تقل، لا تقل...».

«Friends Like Us ...».

لقد عرض عليه دور تشاندلر، وهو ما جعل عقلي ينهار.

«أريد منكما مساعدتي في أيهما أقبل.».

أول ما جاء في خاطري هو أن أخبره بأن يأخذ كلا الدورين ويذهب إلى الجحيم. ولكنه كان صديقي المقرب، لذا كنا أنا وهانك ملزمين نحوه. قرأ ثلاثتنا السيناريوهين في ذلك الصباح، مع أنني حفظت سيناريو Friends Like Us عن ظهر قلب، وكان جلياً أي الدورين يأخذه. كان قلبي غارقاً في الحزن، لأنني كنت أعلم أنني تشاندلر، ولكنني أيضاً لست وضيعاً. كنت محطماً، ولكن كلانا اخترنا له Friends Like Us.

(جعلني ذلك أتذكر حوار في حلقة مسلسل Beverly Hills 90210:

براندون: ماذا عن الأصدقاء؟

روجر: الأصدقاء؟ يقول والدي دائماً إنهم الوحيدون غير الجديرين بالثقة.

براندون: هل تستمع دائماً لما يقوله والدك؟

روجر: لا)

كان الغداء على وشك الانتهاء، وحين وقت كريج ليخبر وكلاءه إلام سيميل. ودعنا هانك، وذهب إلى صالة الألعاب الرياضية، لأن هذا ما كان يفعله دائماً، بينما ذهبت أنا مع كريج لبحث عن هاتف عمومي. (نعم يا رفاق، لم تكن هناك هواتف محمولة، كنا في عام 1994). كان أقرب هاتف عمومي خارج متجر فريد سيجال (والغريب أنه المتجر نفسه الذي ظهر في حلقتي في مسلسل Beverly Hills 90210). ألقى كريج بعض العملات في ماكينة الهاتف، وطلب الرقم، وانتظر. وفي النهاية ردوا عليه.

حينها، وقفت بعيداً عنه بمسافة قدمين، واستمعت إليه وهو يختار المسلسل الآخر! لم أصدق أذني اللعيتتين. افترقت عن بطل مسلسل Best Friends الجديد، وهرعت للمنزل لأقوم بالتماس آخر للحصول على فرصة تجربة أداء في Friends Like Us.

وبعد عدة أسابيع، ذهبت لأحضر تصوير الحلقة التجريبية من مسلسل Best Friends، كان طريفاً، وكريج كان بطلاً طريفاً، وهو ما أراده بشدة. كان مسلسلاً ممتازاً ولطيفاً. ولكن الدور الأخير والذي ما زال شاغراً في موسم الحلقات التجريبية بأكمله لعام 1994 كان دور تشاندلر في Friends Like Us، لم يأخذه ممثل بعد. وأنا ما زلت مرتبطاً بمسلسل حامل الحقائق المستقبل اللعين!

تعلمون كيف يكون للكون خطط أخرى لك والتي يصعب تصديقها، كيف يريد الكون لك شيئاً بعد أن تكون قد بذلت كل ما في وسعك لتواجه ذلك الطريق المسدود؟

مرحباً بكم في عالمي في عام 1994.

كانت منتجة إن بي سي NBC جايمي تارسييس - أوه، كم هي عذبة، وساحرة، أفقدتها بشدة - وهي من تساهم في تطوير مسلسل Friends Like Us في محطة إن بي سي. وقد تشاركت السيرير في إحدى الليالي مع الذي أصبح زوجها لاحقاً دان ماكديرموت، المنتج بمحطة فوكس.

قالت بنبرة عادية: «هل سيكمل مسلسل L.A.X. 2194 عرضه؟».

أجاب دان: «بالطبع لن يكمل، إنه مسلسل سيء، مبدئيًا، أحداثه تدور حول حاملي حقائب في عام 2194، ويرتدون زي مستقبلي...».

قالت جايمي: «إذًا، هل ماثيو بيرري متاح؟ أقصد متاح له دور ثانٍ؟».

(تلك هي اللغة الدارجة في هوليوود بأن يقولوا «متاح»). (وعلى سبيل السخرية، تواعدنا أنا وجايمي لاحقًا لعدة سنوات بعد طلاقها).

بعدها بيومين، تلقيت المكالمة التي غيرت مجرى حياتي.

«ستقابل مارتا كوفمان غدًا من أجل Friends Like Us».

وبصدق شديد، كنت على يقين وقتها أن شيئًا عظيمًا سيحدث.

كانت مارتا كوفمان وديفيد كرين المسؤولين عما أصبح لاحقًا ظاهرة «فريندز». في اليوم التالي، الأربعاء، قرأت لها نص تشاندلر، وكسرت كل القواعد؛ فأولًا، دخلت من دون ورق السيناريو (من المفترض أن تحمل معك ورق السيناريو لتقرأه لأن بتلك الطريقة توحى للكتاب أن العمل ما زال قيد التقدم). ولكنني كنت أحفظ النص جيدًا وقتها. وبالتأكيد نجحت. وفي يوم الخميس، قرأت النص أمام فريق الإنتاج، ونجحت، وفي يوم الجمعة، قرأت أمام الشبكة التلفزيونية، فنجحت مجددًا. قلت النص بأسلوب غير مسبوق لي، بنبرات لم ينطق بمثله أحد غيري. أديت وكأنني في الأيام الخوالي في أوتاوا مع عائلة موراي؛ أنال الضحكات ولا أحد يناها سواي.

كنت أضحك أُمي.

ومن هنا وُلد تشاندلر. أصبح هذا الدور ملكي، ولم يوقفني أحد.

تم العثور على الممثل الأخير لموسم الحلقات التجريبية لعام 1994: ماثيو بيرري في دور تشاندلر بينج. تلك المكالمة في متجر فريد سيجال، حيث قرر كريج أن يكون بطل مسلسله بدلًا من أن يقوم بدور وسط مجموعة، هي التي أنقذت حياتي. ولا أعلم ماذا كان سيحدث معي إذا كانت المكالمة قد سارت في الاتجاه الآخر. لم يكن بعيدًا عن الإمكان أنني ربما قد ينتهي بي الأمر في شوارع وسط المدينة بلوس أنجلوس أحقن ذراعي بالهيروين لحين موتي المبكر.

أحب الهيروين؛ كان إدماني المفضل في المخدرات. دائمًا ما كنت أقول إن تعاطي مخدر الأوكسيكوتين كان أشبه باستبدال دمك بالعسل الدافئ. ولكن مع تعاطي الهيروين، أتخيلك وكأنك أنت العسل بذاته. أحببت شعور ذلك المخدر، ولكن شيئًا ما دائمًا كان يخيفني بذكر كلمة «هيروين». وأعتقد أن ذلك الخوف هو السبب وراء كوني حيًا حتى يومنا هذا. هناك نوعان من متعاطي المخدرات، النوع الذي يريد أن ينتشي

ويشعر أنه يسمو، والنوع الذي يرغب في الحزن والشعور بالغرق. لكنني لم أفهم أبدًا متعاطي الكوكابين؛ لماذا يرغب أحدهم في تعاطي شيء يجعله نشطًا وحاضرًا أكثر، أو مشغولًا أكثر؟ كنت متعاطيًا من النوع الذي يشعر بالحزن، أردت أن أغرق في أريكتي وأشعر بشعور رائع بينما أشاهد أفلامًا الواحد تلو الآخر. كنت متعاطيًا هادئًا، لست مثل الثور الهائج في محل الخبز الصيني.

بالتأكيد من دون مسلسل «فريندز»، كنت سأكتب مسلسلات «سيت كوم»، وكتبت بالفعل حلقة تجريبية للمسلسل يدعى Maxwell's House، ولكن رغم مهاراتي، فإنني لم أتمكن من تسويقها. لكن لم يكن هناك سبيل لأصبح ممثلًا ذا رحلة كفاح طويلة. لكنك ظلت رزينًا من دون شرب أي كحوليات من أجل ذلك، ولن يستحق مني الأمر أن أتعاطى الهيروين. لقد كان مسلسل «فريندز» عملاً جميلاً وشيقاً منعني من أشياء عدة لفترة طويلة على الأقل. كنت لاعب القاعدة الثانية في فريق نيو يورك يانكيز. بالطبع لم أرد أن أخسر ذلك. لم أكن لأسامح نفسي أبدًا...

عندما تجني مليون دولار في أسبوع، فليس أمامك خيار لأن تقلع عن احتساء المشروب السابع عشر. قبل تجربة أدائي لـ «فريندز» بثلاثة أسابيع، جلست وحدي في شقتي بحي صانيسيت ودوهيني بالطابق العاشر، كانت صغيرة للغاية، ولكن تطل على منظر رائع بالطبع. قرأت أخبارًا في الجريدة عن الممثل تشارلي شين. قيل إنه تورط في مشكلة ما جديدة، أتذكر أنني قلت لنفسني مفكرًا: لن يهमे، فهو مشهور! ومن دون سبب، وجدت نفسي راكعًا على ركبتني، وأغلقت عيني تمامًا، وصليت. وهو شيء لم أفعله مطلقًا من قبل.

قلت: «أيها الرب، افعل بي ما شئت، ولكن أرجوك اجعلني مشهورًا». بعدها بثلاثة أسابيع، تم اختياري في «فريندز». لقد أوفى الرب فعلاً بهذا الجزء من الصفقة، ولكنه بقدرته لم ينسَ كذلك الجزء الأول من صلاتي. والآن وبعد مرور كل تلك السنوات، أنا متأكد أنني أصبحت مشهورًا ولم تضع حياتي بأكملها في محاولة أن أكون مشهورًا. ولكن عليك أن تصبح مشهورًا لتعلم أن ذلك لم يكن الإجابة عن كل شيء. ولن يصدقني في ذلك أي شخص غير مشهور. أي متفوق وفي المرتبة الأولى (المراجعة).

كان يؤدي صوت شخصية أبو ناهاسايمبيلتون في المسلسل ويقصد بري هنا النسخة القديمة من المسلسل باسم The Seven Year Itch بينما عرضت النسخة الأحدث لأول مرة عام 1989 (المراجعة). يقصد ماثيو هنا شخصية العالم ديفيد المعروف بـ The Scientist Guy (المراجعة).

فاصل

ميت

اشتريت لها خاتمًا لأنني خفت من أن تتركني. لم أرد أن أجرح وأشعر بالوحدة في أثناء فترة الكورونا. طلبت منها الزواج وأنا منتشٍ من 1800 ملليجرام من مخدر الهيدروكودون. طلبت حتى من عائلتها مباركة هذا الزواج. ثم تقدمت لها وأنا في قمة نشوتي، طائرًا كطائرة ورقية. ركعت على ركة واحدة. كانت على علم بذلك، ووافقت.

كنت في سويسرا في ذلك الوقت، في دار إعادة تأهيل أخرى. كانت في فيلا على بحيرة جنيف، وبها خادم وطباخ، مكان فاخر من النوع الذي يضمن لك أنك لن تلتقي به شخصًا آخر. (ما يؤدي إلى إلحاق الهزيمة إلى حد كبير بالغرض من كل دار إعادة تأهيل سمعت عنها من قبل). ولكن ما ينقصها من حيث وجود زملائي من المرضى يعوضه سهولة حصولي على المخدرات، وهو للأسف، مرة أخرى، ما يجعلها لا تختلف في شيء عن أي دار أخرى باهظة الثمن. إذا رفعت دعوى قضائية على تلك الدور، ربما أجنبي ملايين الدولارات، ولكن بالقيام بذلك سأسلط الضوء على حالتي، وهو ما لا أريده.

قمت بحيلتي المعتادة، شكوت من ألم حاد في بطني، وأنا في الحقيقة بخير (ظل الأمر يبدو كأنني دائمًا أقوم بفتح ما، حيث الشعور بعدم الراحة على الإطلاق، ولكن على الأقل لم يكن الألم حقيقيًا). لذا كانوا يعطوني الهيدروكودون، بقدر ما أحتاج، إلى أن يصل الأمر بأن يعطوني 1800 ملليجرام منه في اليوم الواحد. ولمعلوماتك، إذا كسرت إبهامك، وكان طبيبك لطيفًا، فمن المحتمل أنه سيصف أو ستصف لك 0.5 ملليجرام فقط من الأقراص.

هذا لا يكفي ليحدث تأثيرًا في رجل مثلي.

كنت أيضًا أتعاطى حقن الكيتامين يوميًا. وهو مخدر كان شائعًا جدًا في الشوارع في الثمانينيات. متاح منه الآن تركيبة اصطناعية تستخدم لغرضين: لتسكين الألم، وللمساعدة في مقاومة الاكتئاب. لا بد أن يكتبوا اسمي على هذا الدواء، يجب أن يسمى «ماتي». كان الكيتامين بمثابة متنفس عظيم. دائمًا ما يأخذونني ويضعونني في غرفة، ويجلسونني، ويضعون لي ساعات الأذن حيث يمكنني سماع الأغاني، ويجعلونني معصوب العينين، ويضعون أنبوبة المحلول (الكانايولا). كان ذلك الجزء الأصعب لأنه دائمًا ما أعاني الجفاف قليلًا نظرًا لأنني لا أشرب ما يكفي من الماء (يا للمفاجأة!)، لذا العثور على الوريد لا يكون سهلًا أبدًا. أتحول في النهاية إلى وسادة دبابيس لعينة. في أنبوبة المحاليل، كانوا يمررون مخدر الأتيفان، وهو ما أمكنني الشعور به، ثم الكيتامين بالتقطير لمدة ساعة. بينما أجلس في الظلام الدامس، وأستمع إلى بون إيفار، كنت أشعر بالانزعاج عما حولي، وأبدأ في رؤية بعض الأشياء، لم أعد أهرب تلك الأمور، فأنا أخضع للعلاج منذ فترة طويلة. أوه، هل هذا حصان يمر من هنا؟ حسنًا، لا بأس... وبينما أشغل الموسيقى، والكيتامين يسري في داخلي، فجأة يصبح تفكيري حول الأنا، وموت الأنا. وغالبًا ما كنت أفكر في أنني سأموت في تلك

الساعة. حينها أفكر: أوه، هذا ما يحدث إذاً عندما تموت. كنت أستمر في ذلك القرف لأنه بدا مختلفاً، وكل ما هو مختلف جميل (وهو ما يصادف أن هذا من بين الجمل الأخيرة في فيلم Groundhog Day). تعاطى الكيتامين كان أشبه بالتعرض لضربة رأس بجاروف كبير وسعيد. ولكن أثار الثمالة بعده كانت قوية وأثقل من الجاروف نفسه. لذلك لم يكن الكيتامين نوعي المفضل.

عودة لغرفتي الفاخرة في الفيلا، حيث الخادم يرتب ملابس لن أرتديها، والطاهي يطهو وجبات صحية لن ألسها، أخرج كثيراً للنظر إلى بحيرة جنيف وأنا منتشٍ تماماً، اللعنة. إنه ليس النوع الجيد من النشوة، بل كان شعور بعدم اتزان كأنني ثمل فلا أستمتع.

ثم بطريقة ما، أصبحت خاطباً.

في مرحلة ما، قرر العباقرة بدار إعادة التأهيل أن يساعدوني في تخفيف ألم بطني «المزيف»، وأن يضعوا جهازاً طبيّاً غريباً في ظهري، لكنهم احتاجوا إلى إجراء عملية جراحية لزرعه. لذا مكثت طوال الليل أتعاطى جرعة 1800 ملليجرام من الهيدروكودون قبل الجراحة في اليوم التالي. في غرفة العمليات، أعطوني البروبوفول، تعلمون أنه المخدر الذي قتل مايكل جاكسون. وقد علمت من القيل والقال أن مايكل جاكسون لم يكن يريد الانتشاء، بل كان يريد أن يغيب عن الوعي تماماً. وعي بدرجة صفر. وهكذا خسرنا موهبة بارعة أخرى بسبب ذلك المرض المريع؛ الإدمان.

أخذت جرعة في الساعة الحادية عشرة صباحاً، واستيقظت بعدها بإحدى عشرة ساعة في مستشفى آخر. اتضح أن ذلك البروبوفول تسبب في توقف قلبي، لمدة خمس دقائق. لم تكن أزمة قلبية، فلم يكن الخط مستقيماً على الجهاز، بل توقف النبض.

إذا سمحتم لي، من فضلكم توقفوا عن قراءة هذا الكتاب لمدة خمس دقائق، انظر إلى هاتفك لضبط الوقت، وابدأ الآن:

(اقتطع خمس دقائق من وقتك)

فترة طويلة لعينة، أليس كذلك؟

قيل لي إن رجلاً سويسرياً مفتول العضلات لم يرد أن يموت ذلك الرجل من مسلسل «فريندز» أمامه، وقام بإجراء التنفس الصناعي لي لمدة خمس دقائق كاملة، ضارباً وضاعطاً على صدري. ترى إن لم أكن في مسلسل «فريندز»، هل كان سيتوقف عند الدقيقة الثالثة؟ هل أنقذ «فريندز» حياتي مرة أخرى؟

ربما أنقذ ذلك الرجل حياتي، ولكنه أيضاً كسر لي ثمانية ضلوع. بينما رقدت أنا في عذاب، دخل غرفتي في اليوم التالي رئيس الأطباء مزهواً، واثقاً في نفسه وقال: «لن تتلقى الكيتامين هنا، وإذا أردت أن تذهب إلى دار إعادة تأهيل أخرى، هناك واحدة يمكننا إرسالك إليها».

صرخت قائلاً: «أنا بالفعل في دار إعادة تأهيل لعينة!»، وبحركة غاضبة ونفسية نادرة مني، ضربت على الطاولة المجاورة لي بشدة والتي كانت مليئة بالمعدات الطبية. وهو ما أخاف الطبيب وجعله يغادر الغرفة على الفور. اعتذرت عن الفوضى التي سببتها وخرجت من ذلك المكان اللعين.

(تلك الدار التي أتحدث عنها قامت بديتوكس، تخلص من السموم، سريع في يومين ما كان يفترض أن يحدث فيها ذلك؛ أول يومين [لا بد أن يتم ذلك في اليوم الثالث والرابع]. بمجرد أن استردت وعيي، أصابني الديتوكس بقوة لأهبط من جرعة 1800 ملليجرام إلى لا شيء. وهو أمر لن يشفع فيه خادم ولا طاه).

تلك الأضلع الثمانية المكسورة بالمناسبة تشبه إصابة اللاعب الرئيسي في كرة القدم الأمريكية لفريق نيو أورلينز سينتس، درو بريز، والتي عاناها في مباراة نوفمبر 2021 ضد فريق تامبا باي بوكانيرز. وكسر بريز ثلاثة أضلع أخرى في الأسبوع التالي، ما أحدث ثقبًا في رئته - فقط ليكون أفضل مني - ولكنه بسبب الإصابة فوت أربع مباريات، لذا أرى أن ذلك على الأقل يجعلنا متساوين. وهو ما يجعلني أشعر بقوة.

وسط كل هذا الجنون (لكن قبل كسر ضلوعي) اجتمعت مع آدم ماكاي من أجل فيلم كبير يدعى Don't Look Up. لم يكن تشاندلر حاضرًا في ذلك اليوم، لم أكن في تلك الحالة. لم أقدر على اتخاذ شخصيته من أجل ذلك. تحدثنا وحسب لفترة، وبينما أخرج، قلت له بهدوء شديد: «حسنًا، أرغب بحق في أن أساعدك بأي شكل في هذا الفيلم».

فأجاب آدم: «لقد فعلت ذلك للتو».

في اليوم التالي، تلقيت مكالمة بأنه يرشحني في الفيلم، أعتقد أنه أهم ترشيح تلقيته في حياتي. لقد جعلني أهدئ من روعي قليلًا. كان من المفترض أن أَلعب دور صحفي مؤيد للنظام الجمهوري في ثلاثة مشاهد أمام ميريل ستريب. نعم، هذا صحيح. أدت مشهدًا جماعيًا (مع جونا هيل وآخرين) في بوسطن حيث تم تصوير الفيلم، وكنت متعاطيًا لجرعة 1800 ملليجرام من الهيدروكودون وقتها أيضًا، لكن لم يلحظ أحد. لكن عندما كسرت ضلوعي، لم تتسن لي الفرصة لأن أستمروا بالتالي لم أؤد مشاهدي مع ميريل. وهو ما كسر قلبي، لكنني كنت أتألم جسديًا بشدة أيضًا. الرب وحده يعلم كيف استمر اللاعب بريز في رمي الكرة، لكن لا يمكنني تصوير مشهد مع ميريل ستريب بضلع مكسورة. لم أتمكن حتى من الابتسام من دون أن أتألم ألمًا مبرحًا لعينًا.

عدم ظهوري بالشكل الكافي في فيلم Don't Look Up بسبب حياتي التي كانت تسري على صفيح ساخن علمني درسًا مهمًا: لقد تم ترشيحي في عمل ضخم دون أن أقوم بعمل ضخم. في تلك المقابلة، كنا أنا وآدم مجرد رجلين يتحدثان. سوف أقدر تلك المقابلة دائمًا، وذلك اليوم، وهذا الرجل. يا له من رجل رائع! وأتمنى بشدة لو تقاطعت طرقنا مجددًا (وسأحرص على أنه هو فعلاً في المرة القادمة).

عندما حان وقت الرحيل من سويسرا، كنت ما زلت أتعاطى جرعة 1800 ملليجرام من مخدر الأوكسي في كل يوم لعين. وقيل لي إنه في لوس أنجلوس يمكنني الحصول على تلك الجرعة وأكثر، وهو ما كنت أحتاجه، فقط حتى أبقى متزنًا. وبالمناسبة، تلك الجرعة لم تجعلني منتشيًا أكثر من أي وقت مضى، بل كانت مجرد جرعة للتعافي، فلا أشعر بأي ألم. عدت في طائرة خاصة لأنه كان من المستحيل أن أسافر على درجة اقتصادية، بالإضافة أن كل من على الطائرة سيتعرف على وجهي اللعين، وهو ما كلفني 175 ألف دولار. بالعودة إلى لوس أنجلوس، ذهبت لزيارة طبييتي.

قلت: «أريد جرعة الـ 1800 ملليجرام اليومية». لا داعي للمراوغة.
أجابت: «أوه لا، لن نعطيك هذا أبدًا، مرضى السرطان أنفسهم يُسمح لهم بمائة ملليجرام فقط» شعرت
بالامتنان وقتها أنني لست مريض سرطان.

«ولكن الطبيب في سويسرا قال لي إنه عند عودتي إلى هنا سأستمر في تلك الجرعة».
أجابت: «أوه، سيبحثون في ذلك، ولكنني أنا المسؤولة هنا الآن. سأعطيك 30 ملليجرامًا».
لم يكن هذا كافيًا، سيجعلني أمرض بشدة.
لم يكن هناك سوى حل واحد لذلك: حجزت رحلة بطائرة خاصة أخرى بتكلفة 175 ألف دولار
وعدت إلى سويسرا في الليلة نفسها.

«أريدك أن تعطيني جرعة الصباح والليل معًا».
أجابت الممرضة السويسرية باللغة الألمانية: «أنا لا أفهم الإنجليزية إطلاقًا».
وهنا كانت المشكلة. فحاجتي الملحة لتغيير القواعد كانت تتعارض مع انعدام الإنجليزية لدى الممرضة.
حيث تواصلنا معًا كأنها لعبة حزورات غريبة باللغة الألمانية / الإنجليزية.

لا أحتاج إلى قرص دواء في السادسة صباحًا. بل أحتاج إليه في الليل المرعب. حيث لا يمكنني تحديد
مصدر الخوف، فهو خوف بشكل عام. كما أنني لا أستطيع النوم، لذلك هناك نقاش كل ليلة مع نفسي. عقلي
يتصارع، والأفكار تتسارع. كما تحضرني هلوسات سمعية أيضًا. أسمع أصواتًا ومحادثات وأحيانًا أردد عليها.
أحيانًا أيضًا أشعر أن هناك من يريد أن يعطيني شيئًا وأمد له يدي لأخذ ذلك اللاشيء من الشخص غير
الموجود. سواء كنت مقلعًا أو غير مقلع عن الشرب والمخدرات، أربكني ذلك بشدة. وفوق كل هذا، هل
صرت مجنونًا؟ أعتقد أنها ليست شيزوفرينيا، بل مجموعة أصوات لعينة. قيل لي إن تلك الأصوات لن
تجعلني مجنونًا. بل هي هلوسات سمعية، وتحدث للناس طوال الوقت.

لا يوجد علاج للأصوات. بالطبع لا يوجد علاج. في الواقع، يمكنني التفكير في علاج لها وهو «أن أكون
شخصًا آخر».

على كل حال، لقد احتجت إلى تلك الأقراص في دفعة واحدة في الليل، دون أن أبقى أيًا منها في الصباح.
قلت محاولاً أن أصف لها شكل الأقراص الثمانية بيدي، وليس قرصًا واحدًا: «الصباح، والمساء، معًا».
قالت بالألمانية: «ليست لدي أي فكرة».

قلت ببطء شديد: «غداً صباحًا. لا أقراص. أريدها الآن».
«ليست لدي فكرة عما تحتاجه».

لا أنت ولا أحد يعلم ما أريد.

عدت مجددًا إلى لوس أنجلوس، لمحاولة ألا أتعاطى شيئًا، أعتقد... انتظر... كيف خطبت تلك الفتاة؟
لديّ كلاب في منزلي. كيف حدث كل ذلك؟

لقد تحدثت مع أهلها، وتوسلت إليها لتوافق بينما كنت منتشياً، وربيت كلاباً في منزلي، كل ذلك خوفاً من الوحدة.

كأنني عشت ذلك من قبل

كأن الأمر بيننا مميز للغاية، كأننا عشنا معًا من قبل في حياة أخرى أو شيء من هذا القبيل. أو في حياة مستقبلية، وتحديدًا تلك الحياة. كان يومًا حقيقيًا، ولكنه حدث من واقع الأحلام. لفترة طويلة، لم أرغب في التحدث كثيرًا عن «فريندز». يرجع ذلك لأنني قمت بأعمال أخرى كثيرة ولكن كل ما كان يرغب الجميع في التحدث عنه هو تشاندلر. الأمر كان أشبه بجيمس تايلور وهو يتحدث عن عمله Fire and Rain (وهو عمل ضئيل الشهرة إذا كنتم سمعتم عنه من قبل). الأمر أشبه بفرقة غنائية كتبت ألبومًا موسيقيًا جديدًا رائعًا، لكن كل ما يهتم الجميع بسماعه في الحفلات «اللايف» هو الأغاني الشهيرة لهم فقط. لطالما أعجبت بشدة برفض كيرت كوبين أن يعزف أغنية Smells Like Teen Spirit أو رفض لد زبلين أن يعزف أغنية Stairway to Heaven. أذكر أن صحيفة النيويورك تايمز ذكرت من قبل أن «فريندز... صار ملتصقًا بـ«بيرى» مثل القميص المتعرق». ولكنهم لم يكونوا محقين في ذلك؛ ففي الحقيقة، هذا رأي قاس لعين للغاية، ولكنهم للأسف ليسوا الوحيدين الذين يرون ذلك. نعم، كان أمرًا رائعًا من ناحية ما، ولكنني عوقبت بسببه. لقد بذلت ما في وسعي من دم، وعرق، ودموع كل ليلة جمعة على ذاك المسرح⁽⁶⁾، كلنا فعلنا ذلك. وهو ما يفترض أن يكون أمرًا جيدًا، ولكن ليس لدرجة أن يقال عنه إنه الشيء الوحيد الذي برعنا فيه.

لا أشتكي من ذلك، فإذا كنت دائمًا ستظل تؤدي الشخصية نفسها والدور نفسه، فتلك هي الطريقة للقيام بذلك.

ولكن في السنوات الأخيرة، بدأت أفهم ما يعنيه «فريندز» للناس. ونحن نعلم منذ البداية أنه كان عملاً مميزًا ومختلفًا تمامًا.

في الحقيقة، كنت آخر ممثل تتم الموافقة عليه ضمن موسم الحلقات التجريبية لعام 1994، حصلت على العمل في آخر يوم من الموسم.

وبعدما صار مسلسل L.A.X. 2194 شيئًا من الماضي، شاكرًا لذلك، أصبحت حرًا لأن أؤدي دور تشاندلر بينج. كان يوم الإثنين التالي بعد يوم الجمعة الذي تم ترشيحي به هو أول يوم من حياتي الجديدة. كان أمرًا جلالًا، وأعتقد أن كل منا شعر بذلك، لأننا كنا دائمًا نحضر في موعدها تمامًا. حسنًا، مات لوبلانك كان أول من يحضر دائمًا، في كل يوم، وجينيفر أنيستون كانت آخر من يحضر كل يوم. جددنا سياراتنا إلى الأفضل مع الوقت، لكن ترتيب حضورنا ظل كما هو.

جلسنا حول طاولة حيث تقابلنا جميعًا للمرة الأولى، ما عدا أنا وجينيفر أنيستون.

فقد تقابلنا من قبل أنا وجينيفر من خلال بعض الأصدقاء المشتركين منذ حوالي ثلاث سنوات. كنت منجذبًا تمامًا نحوها (كيف لي ألا أفعل ذلك؟) وأعجبتني، وشعرت أنها افتتنت بي أيضًا. ربما كان الأمر

سيسير جيداً. وقتها عرض عليّ شيثان في يوم واحد: أحدهما في برنامج يُدعى Haywire، وهو مثل نوعية برنامج America's Funniest Home Videos، والآخر كان مسلسل سيت كوم. فاتصلت بجينيفر وقلت: «أنت أول شخص أردت أن أخبره بذلك!».

فكرة سيئة؛ أكاد أشعر بالثلج المتجمد يتشكل على ساعة الهاتف. بالعودة إلى ما قلت، كان واضحاً أن ذلك جعلها تظن أنني أعجبت بها أكثر مما ينبغي، أو بشكل خاطئ... وضاعفت الخطأ حينها بأن دعوتها للخروج في موعد. رفضت (صار من الصعب أن أخرج معها)، ولكنها قالت إنها ستحب أن نكون أصدقاء، ولكنني زدت الطين بلة بأن قلت دون تفكير: «لا يمكننا أن نكون أصدقاء!».

والآن، وبعد مرور سنوات، بسخرية القدر أصبحنا أصدقاء. ولحسن الحظ، رغم أنني كنت لا أزال منجذباً نحوها، وكنت أراها رائعة، فإننا تمكنا في أول يوم عمل من الماضي قدمًا وأن تتخطى ذلك الماضي، وركزنا على حقيقة أن كلانا حصل على أفضل عرض يمكن أن تقدمه هوليوود.

أما بالنسبة إلى باقي الفريق، فكانوا كلهم أشخاصاً جددًا لي.

كانت كورتنى كوكس فائزة الجمال وترتدي فستاناً أصفر. كنت قد سمعت عن ليزا كودرو من صديق مشترك، وقد كانت فاتنة، ومرحة، وذكية تمامًا كما وصفها صديقي. أما ماتي لوبلانك، فكان شخصاً لطيفاً وسهل المعشر. وديفيد شويمر كان شعره قصيراً للغاية (حيث كان يؤدي دور بيلاطس البنطي في فرقة المسرحية في شيكاغو)، وبعيداً عن ملامح وجهه الحزينة، كان شخصاً مرحاً للغاية، وحميمياً، وذكياً، ومبدعاً. كان أكثر من يطلق المزاح من بعدي. كنت أختلق تقريباً عشر دعابات في اليوم، وتنجح منها اثنتان. ولم تكن دعابات عني فقط، بل كنت أطلق دعابات على للجميع، فمثلاً أذهب ليزا وأقول لها: «أتعلمين؟ سيكون الأمر مرحاً للغاية إذا حاولت أن تقولي...» فتقولها.

كما أن المخرج جيمي بوروز كان الأفضل على الإطلاق في المجال أيضاً، فقد أخرج كلاً من Taxi و Cheers. كان على دراية جيدة أن أول ما يتعين علينا فعله كي ينجح العمل هو أن نتعرف على بعضنا بعضاً جيداً، وأن توجد الكيمياء بيننا.

وعلى الفور، حدثت الشرارة بيننا وملأت الأجواء.

لطالما رغبت في أن أكون الشخص المرح الوحيد في المكان. ولكن وقتها، في ريعان شبابي مع بلوغي الأربعة وعشرين عاماً، علمت على الفور أنه من الأفضل أن يكون الجميع مرحاً. تأكدت وقتها أنه سيكون عملاً عظيماً. علمت ذلك منذ البداية، ولكنني لم أبح بأي شيء. ومن أسباب ذلك أنه ليس غريباً أبداً أنه قد يتم طرد الممثل بأدب قبل بدء تصوير العمل بدقة إذا أفسد جلسة القراءة التدريبية تماماً. ولكن القراءة كانت في اليوم التالي، فقد أخذنا جيمي أولاً نحن الستة إلى مكان التصوير في شقة شخصية «مونيكا» وطلب منا التحدث لبعضنا بعضاً وحسب. وبالفعل قمنا بذلك، تحدثنا وأخذنا نمزح، حول الرومانسية، حول حياتنا العملية، حول حياتنا العاطفية، حول خساراتنا. لكن ارتباطنا الوثيق الذي كان جيمي قلقاً منه حدث بالفعل.

كنا نتناول نحن الستة الغداء معًا، بالخارج في يوم ربيعي جميل. وبينما نأكل، قالت كورتنى، الاسم الوحيد الشهير بيننا وقتها: «لا يوجد نجوم هنا، هذا مسلسل جماعي، يجب أن نكون أصدقاء».

بالنسبة إلى شهرتها وقتها، قامت بدور في مسلسل Family Ties، وفيلم Ace Ventura، وضييفة شرف بمسلسل Seinfeld، ورقصت في فيديو كليب مع بروس سبرينجستين لأغنيته Dancing in the Dark. كان بإمكانها أن تحظى بكل شيء وبمحببة الجميع، وكان بإمكانها أن تقول بسهولة: «أنا النجمة». اللعنة، لقد كان بإمكانها أن تتناول غداءها في مكان آخر، وكنا سنتفهم ذلك. بدلاً من ذلك، قالت ببساطة: «هيا لنعمل وتتعرف على بعضنا بعضًا». قالت إن تلك هي الطريقة التي نجح بها مسلسل Seinfeld، وكانت ترغب في تحقيق ذلك في «فريندز» أيضًا.

لذا فعلنا ما اقترحته. ومنذ أول صباح مر علينا، كنا لا نفترق. كل وجبة كنا نأكلها معًا، ولعبنا البوكر... وما إلى ذلك. في البداية، كنت دائمًا ما أطلق الدعابات، أطلقها باستمرار وكأني ماكينة كوميديا كلما أمكن (ربما لدرجة إغاضة الجميع)، محاولاً أن أجعلهم يعجبون بي لأنني مضحك للغاية. ولكن لماذا عليهم أن يعجبوا بي؟ لقد تطلب الأمر مني حوالي خمسة عشر عامًا حتى أعلم أنني لست بحاجة لأن أكون ماكينة كوميديا.

في أول يوم لنا بعد الظهيرة، خصصت لنا غرف تبديل ملابس، والتي انتهت بها الأمر غير مشغولة لأننا لم ندخلها أبدًا. كنا دائمًا معًا. وأتذكر أنه عندما سرنا جميعًا لسياراتنا وودعنا بعضنا في أول يوم لنا مساء، قلت لنفسى: «أنا سعيد».

لكن ذلك الشعور لم أعتده دائمًا.

في تلك الليلة، تحدثت إلى أصدقائي (ما عدا كريج بيركو، بسبب ما حدث) وأخبرتهم كم كان يومي رائعًا. وكعادتي قضيت ليلة أخرى في «تجمعي مع زملائي» (مقهى الفورموسا). أتذكر أنني قلت في تلك الليلة إنني مثلت في مسلسل وأنه كان واعدًا وأفضل من أي عمل قد حلمت بكتابته... كان جميع أصدقائي سعداء جدًا من أجلي، ولكن مع ذلك، شعرت بنقطة.

ربما نضجت قليلًا على جلوسي في الفورموسا؟ لدي وظيفة غيرت مسار الحياة، والتي عليّ أن - يا للجحيم، لقد أردت الحصول عليها بشدة - أنطلق وأبدأها في الصباح، لذا شربت أقل من المعتاد. حتى في شقتي غيرت نظامي وبدأت أعتمه يوميًا، بإنقاصي عشرة أرطال بين الحلقة التجريبية والحلقة الأولى والتي اكتسبتها من شرب الكحوليات منذ الصغر.

في تلك الليلة، ذهبت إلى السرير مفكرًا، لا أطيق الانتظار حتى أعود إلى هناك غدًا. في الصباح التالي، بينا أقود سيارتي من منطقة صانسييت ودوهيني مرورًا بممر كاهوينجا وصولاً إلى إستوديوهات وارنر بروس. ركنت في بوربانك، وأدركت أنني كنت مائلًا تجاه الزجاج الأمامي بينا أقود. لقد أردت أن أكون هنا. هذا ما أردته حقًا في العشر سنوات القادمة.

اليوم الثاني كان مهمًا. وصلنا إلى مبنى جديد - مبنى 40 - لنقوم بأول قراءة تدريبية. كنت متوترًا ومتحمسًا، وواثقًا من نفسي أيضًا. دائمًا ما كنت أبلئ حسانًا في القراءات التدريبية. ولكن دائمًا ما كانت

هناك فكرة تلوح في الأفق، وهي أن أياً منا قد يتم طرده من العمل واستبداله (على سبيل المثال، ليزا كودرو كانت مرشحة في الأساس لمسلسل Frasier في دور روز، ولكنها طردت في أثناء التحضير للدور من خلال شخص ليس غريباً... جيمس بوروز، مخرج «فريندز»). فإذا لم تكن الدعابات في محلها، أو حدث أي شيء بشكل غير صحيح، قد يتم استبدال أي منا قبل أن يشق طريقه حتى إلى غرفة تبديل ملابسه. ولكنني كنت أعرف تشاندلر، كان بإمكانني أن أصافحه بيدي. فقد كنا متطابقين. (اللعنة، لقد كنت أشبهه بشكل كبير).

في ذلك اليوم، كانت الغرفة متكدسة، في الواقع كانت غرفة للوقوف فقط. حضر كُتاب، ومديرون تنفيذيون، وموظفون من الشبكة التلفزيونية. بالتأكيد كان مائة شخص على الأقل حاضراً بالغرفة، ولكنني كنت رجلاً يلفت الانتباه، هذا ما برعت فيه. تعرفنا مرة أخرى على مارتا كوفمان، وديفيد كرين، وكيفين برايت؛ الأشخاص الذين وراء تحقيق هذا المسلسل، والذين قاموا بتعييننا، وعلى الفور تقريباً، شعرنا جميعاً أنهم آباؤنا.

قبل أن تبدأ القراءة التدريجية، جلسنا جميعاً في الغرفة وقدمنا أنفسنا وحكيما عما فعلناه من أجل الانضمام للمسلسل. ثم حان وقت القراءة. كيف كان سيجري الأمر؟ هل الكيمياء التي صارت بيننا ستظهر في المسلسل؟ أم أننا مجرد ستة أشخاص نأمل أن تلك هي نقلتنا الكبيرة؟ لم نكن بحاجة إلى القلق؛ كنا مستعدين، العالم كان مستعداً لنا. كنا محترفين، خرجت السطور من أفواهنا بسلاسة. لم يخطئ أي منا. وصلت الدعابات إلى مستقرها وأدت غرضها. انتهينا بتصفيق حار. بدأنا جميعاً نشم رائحة المال. بدأنا نشم رائحة الشهرة.

بعد القراءة، تكدسنا نحن الستة في عربة صغيرة، ونقلونا إلى الإستوديو الحقيقي (إستوديو 24)، لنبدأ التدرّب. ولكن الجولة النهائية بنهاية اليوم هي التي نجحت؛ الدعابات، الكيمياء، السيناريو، الإخراج، كل شيء كان ساحراً. كل العناصر بدت كأنها تنصهر لتصبح شيئاً واحداً، مضحكاً، وقوياً، ومتناسكاً. وكلنا كنا نعلم ذلك.

علمنا أن هذا المسلسل سيحقق شيئاً، وسيغير حياة الجميع إلى الأبد. أقسم أنه كان هناك صوت خفي، إذا أنصت جيداً، ستسمعه. إنه صوت أحلام الجميع بذلك العمل وهي تتحقق.

كان كل شيء ظننت أنني بحاجة إليه. كنت سأملاً كل الفراغات في حياتي بمسلسل Friends Like Us. تباً لك يا تشارلي شين، سأصبح مشهوراً لدرجة أن كل الأُم الذي أحمله معي سيدوب على الفور مثل الثلج في ضوء الشمس. وأي تهديدات أخرى سترتد بعيداً عني، لأن هذا العمل كان بمثابة هالة من القوة سأتمكن من إخفاء نفسي فيها.

هناك قاعدة عامة غير منصوص عليها في عالم المسلسلات، وهي من أجل أن تكون مضحكاً، لا بد لهيئتك أن تكون مضحكة أو تكون أكبر سنًا. ولكن ها نحن، كنا ستة أشخاص جذابين، جميعنا في العشرينيات، نطلق الدعابات أفضل من أي شخص آخر.

في تلك الليلة، قدت سيارتي للمنزل وكأني أقود على سحابة. لم يكن هناك زحام مروري، الإشارات كلها خضراء، طريق يستغرق عادة نصف ساعة استغرق خمس عشرة دقيقة فقط. ذلك الاهتمام الذي ظننته دائماً أنه مستحيل شعرت به يومها يملأ كل ركن من حياتي، مثل الضوء الذي يملأ الغرفة وينيرها. الناس سيحبونني الآن. سأصبح كافياً. أنا مهم. لم أكن مُتطلباً. كنت نجماً.

لا شيء كان سيوقفنا وقتها. لن يدخل أحدهم قاعة الرقص مجدداً وأتوسل إليه كي يلتفت إليّ ويلاحظني. لأن العيون كلها ستكون موجهة نحوي، وليس نحو المرأة الجميلة التي كانت تسبقني بثلاثة أقدام.

أخذنا نتمرّن لبقية الأسبوع، وقتها أدركنا شيئاً آخر. أعمل ممثلاً منذ عام 1985، ولكن ذلك الأمر لم يحدث أمامي من قبل وهو شيء رائع: أن مديرينا لم يكونوا طغاة على الأقل، بل في الواقع كانت الأجواء مليئة بالإبداع حقاً. كنا نلقي العديد من الدعابات، وأفضلها تريح، ولا يهم من قالها. هل السيدة المسؤولة عن قسم تقديم الطعام قالت دعابة؟ فلتضعها في الحسبان، لا مانع. لذا لم أكن مجرد ممثل هناك، بل كانت عصارة إبداعي تتدفق أيضاً.

أخذنا صنّاع العمل للغداء، كل منا على حدة، ليتعرفوا علينا، وحتى يستطيعوا إدخال تفاصيل من شخصياتنا الحقيقية في العمل. وفي موعد غدائي قلت شيئين: أولهما، رغم أنني أجدني جذاباً، لديّ حظ سيئ للغاية مع النساء، وعلاقتي دائماً تنتهي بكارثة. والأمر الآخر أنني لا أرتاح للصمت على الإطلاق، لا بد أن أكسر أي لحظة صمت بمزحة. وهو ما بني عليه كوميديا شخصية تشاندلر بينج وجعله مرحاً - كان أمراً ممتازاً لصالح السيت كوم - كما أن تشاندلر بينج لا يبلي بلاء حسناً مع النساء أيضاً (مثلاً عندما يصرخ بينما تغادر جانيس شقته قائلاً: «لقد أخفكتك، لقد قلت الكثير، أنا غريب الأطوار ويائس، وأبحث عن الحب!») (17).

هل هناك شخصية أفضل من تلك لمسلسل سيت كوم؟ شخص لا يرتاح في صمته ويضطر لأن يكسره بالمزاح.

كل هذا كان حقيقياً، لكلانا، أنا وتشاندلر. في بداية التحضير لـ«فريندز»، أدركت أنني ما زلت مولعاً بشدة بجينيفر أنيستون. وقد صارت تحياتنا ووداعنا لبعضنا بعضاً محرّجاً وغريباً. حتى بدأت أسأل نفسي: كم من الوقت يُفترض أن أنظر إليها؟ هل ثلاث ثوانٍ مدة طويلة؟

ولكن ذلك الإعجاب الخفي تلاشى مع حماسة المسلسل (وأيضاً بسبب عدم اهتمامها الواضح جداً). في إحدى ليالي التسجيل، لم يبق أحد بخطأ. كنا ننتهي من بعض المشاهد سريعاً إذا لم تلق دعابة ما رد فعل. فيجتمع الكتاب ويعيدون كتابة تلك الجمل. ولكن هل حدثت أخطاء؟ هذا لم يحدث أبداً. العديد من المسلسلات لديها فيديوهات ببعض الأخطاء ولكن «فريندز» لديه القليل جداً منها. منذ الحلقة التجريبية الأولى... في الحقيقة، كانت الحلقة التجريبية الأولى بلا أي خطأ. كنا شباب نيويورك المتحضرين؛ سريعين، محترفين، في قمة نشاطهم منذ الوهلة الأولى. كنا مستعدين.

وبينما تحدثت بطريقة لم يتحدث مثلها أي شخص من قبل في أي سيت كوم، أتحدث بنبرات مختلفة، وألتقط كلمة من جملة قد لا تلاحظ تأثيرها أعلم أنها ستكون الطعم، وأستخدم أسلوب موراي/ بيرري.

وقتها كنت لا أدرك ذلك، ولكن طريقتي في الحديث أصبحت وسيلة لثقافة الكلام في العقود اللاحقة، أعتقد حتى الآن. وقتها، كنت أحاول فقط أن أبحث عن طرق مثيرة في إلقاء الجمل لتكون مرحة، وفكرت أنني ربما أختلق رقصة بالفعل. (قالت لي مارتا كوفمان لاحقاً إنه أحياناً يقوم الكتاب برسم خط تحت كلمة معينة ليست مهمة ليروا ماذا سأفعل بها).

حتى عندما كانت هناك مشكلة بالشخصيات، كنا قادرين على التعامل معها إلى أن تأتي المشكلات بحلول جعلتها لحظات أيقونية.

عندما قرأت السيناريو للمرة الأولى، علمت أنه مختلف لأنه ذكي ومشتق من شخصيات حقيقية. ولكن من البداية، كان مات لوبلانك قلقاً من شخصيته، بأنه شاب رابط الجأش، مفتول العضلات، محب للنساء في نص المسلسل، ومن ثم لن يكون صديقاً لفيبي ورايتشل ومونيكا، ولن يجنبه بذلك القدر، وهو ما يجعل شخصيته أقل قبولاً.

ولم يساعد مظهر مات الجذاب جداً في ذلك؛ كان يتمتع بمظهر الشباب المثالي، لدرجة أنني شعرت بالغيرة من ذلك عندما رأيته لأول مرة. ولكنه كان لطيفاً جداً وخفة دمه كانت تمحي أي مشاعر غيرة لدي، لكنه ظل غير قادر على إيجاد الطريقة المثلى للعمل على شخصيته. لقد كان الشخصية الوحيدة في العمل التي لم تحدد أبعادها جيداً، حيث تم وصفه على أنه رابط الجأش، صاحب كاريزما مثل آل باتشينو، يبحث عن فرصة في التمثيل، وهكذا كان يؤدي الدور، لكن ظل هناك شيء ما خطأ. ففي إحدى المرات، في أثناء جلسة عمل على الأزياء، ارتدى بنطالاً بنياً من الجلد، والذي لحسن الحظ تم رفضه من الجميع، خاصة مارتا، والتي كانت مسؤولة عن ذلك الأمر.

حتى حانت اللحظة يوماً ما في الصباح الباكر في أثناء التصوير، عندما كان يتحدث مع كورتنى عن فتاة يواعدها، وكيف لم يوفق معها في ممارسة الجنس. فسألته كورتنى إن كان قد جرب أن يكون موجوداً دائماً دائماً من أجلها، فلم يفهم جوي ما قصده بيساطة. وتلك كانت اللحظة التي تحولت فيها شخصيته من شخص عاشق للنساء إلى شخص محبوب، عديم الفائدة، غبي كالجرو. قام بالتركيز على تلك النقطة، وبدأ يطلق دعابته بأن يطلب أن تعاد إليه الجملة مراراً وتكراراً لأنه لا يفهم. لقد عرف مكانه في العمل، فهو سيكون بمثابة أخ غبي كبير لرايتشل، ومونيكا، وفيبي. أصبح الجميع في مكانه الصحيح.

ومن وقت لآخر، كان مات يأتي إلى غرفتي لتغيير الملابس، غالباً في أثناء الموسم الأول، ويسألني كيف يؤدي حواراه. فأجيبه، وينزل السلم، وينجح تماماً... ولكنه حصل على لقب «الشخصية الأكثر تطوراً» لأنه بحلول الموسم العاشر، كنت أذهب لغرفته لأسأله هو كيف يمكن تأدية حوارتي.

كان هذا كل شيء. كنا نصور قبل موعد عرض المسلسل على الهواء في خريف 1994. وحتى ذلك الحين، لم يعرفنا أحد.

عندما صارت المسلسلات جاهزة للعرض، كل ما تبقى هو إيجاد موعد متاح لعرض مسلسلنا. علمت شبكة إن بي سي أن لديها مسلسلاً مميزاً، لذا جعلت وقت عرضنا بينا مسلسل Mad About You و Seinfeld. كان الموعد المناسب تماماً، هذا هو المطلوب. كل هذا كان قبل زمن منصات العرض، لذا مسألة وقت

العرض كانت مهمة للغاية. كان زمن حجز المواعيد في التلفزيون، حيث الجميع يعود مسرعًا ليلحق بمسلسل الساعة الثامنة أو الساعة التاسعة مساءً. وكان الناس ينظمون حياتهم حسب مواعيد برامجهم ومسلسلاتهم المفضلة، وليس العكس. لذا، أن تحجز وقت عرض في تمام الساعة الثامنة والنصف مساءً يوم الخميس بين موعد عرض مسلسلين كبيرين هو بمثابة صفقة كبيرة.

سافرنا إلى نيويورك إلى إستوديوهات وارنر بروس الخاصة من أجل تصوير «عرض المعلنين». وعرض المعلنين يعني عرض المسلسل على الشركات التابعة. وفي أثناء سفرنا، قيل لنا إنه تم تغيير اسم المسلسل إلى «فريندز» (عندما أعادوا تسمية المسلسل، ظننت أنها فكرة سيئة للغاية، لكن على كل حال، لم أقل أبدًا من قبل إنني شخص ذكي)، وحقق «فريندز» نجاحًا ساحقًا مع الشركات التابعة أيضًا. كل شيء كان في محله. احتفلنا في نيويورك، وشربنا الخمر، ورقصنا، ثم اتجهنا إلى المزيد من عروض المعلنين في شيكاغو واحتفلنا بعدها أكثر.

ثم انتظرنا فترة الصيف قبل أن يتم عرض المسلسل لأول مرة. قضيت الصيف في ثلاثة أشياء: التقامر في لاس فيجاس بتوصية من جيمي بوروز، ورحلة إلى المكسيك وحدي، وتقبيل جوينيث بالترو ذات مرة في خزانة.

كنت في ويليامز تاون، ولاية ماساتشوستس عندما قابلت جوينيث. كانت تؤدي مسرحية هناك، وكنت أزور جدي. ذهبنا إلى حفلة كبيرة، وهناك تسللنا إلى داخل خزانة المكانس، وتبادلنا القبلات. كنا لا نزال غير معروفين وقتها، لذا لم تملأ أخبارنا الصحافة الصفراء. ولكن مع أخذ ذلك في الاعتبار، كان واجبًا على جيمي بوروز أن يطلعني بحقيقة الواقع الذي أعيشه.

بعد أن انتهينا من «عرض المعلنين»، كان جليًا أن المسلسل سيحقق نجاحًا جماهيريًا، لذا سافرنا مع جيمي إلى فيجاس على الطائرة الخاصة، وشاهدنا الحلقة التجريبية لـ «فريندز» في أثناء الرحلة، وبمجرد وصولنا، أعطى كل منا 100 دولار وطلب منا المقامرة والاستمتاع بها فحياتنا ستتغير ولن نتمكن من القيام بذلك مجددًا بمجرد عرض المسلسل على التلفزيون في الخريف.

قال جيمي: «ستتغير حياتكم تمامًا، لذا افعلوا بعض الأشياء بين العامة الآن لأن بمجرد شهرتكم وهو ما سيحدث قريبًا، لن تفعلوها مجددًا». وهو ما فعلناه؛ شربنا نحن الستة حتى الشمالة، وقامرنا، وتجولنا في الكازينوهات، كأننا مجرد ستة أصدقاء غير مشهورين يحظون بإجازة أسبوعية، مجهولين تمامًا للجميع، ولم يطلب أحد توقيعًا أو صورة، ولم يطاردنا مصور باباراتزي، وهو ما كان يعد مليون خطوة عما أصبحت عليه حياتنا الآن حيث يتم توثيق كل لحظة في حياتنا مع العامة للأبد.

ما زلت أرغب في الشهرة، ولكنني بدأت أستشعر شيئًا غريبًا وجريئًا في الأجواء، هل ستملأ الشهرة، تلك العشيقة الوهمية، كل الثغرات التي أحملها بداخلي ومعني؟ كيف سيكون الأمر إذا لم أستطع أن ألعب فئة عشرين من اللون الأسود حاملاً مشروب فودكا تونيك في كازينو ذي إضاءة ضعيفة، دون أن يصرخ أحدهم: «ماثيو بيري وضع فئة عشرين من اللون الأسود، تعالوا وشاهدوا جميعًا!». كان هذا آخر صيف في حياتي تمكنت فيه من الاحتفال مع امرأة شابة جميلة تدعى جوينيث، ولم يهتم أحد بنا.

هل سيكون الأجر مجديًا ويستحق؟ هل التخلي عن الحياة «الطبيعية» سيكون الثمن، مع وجود أناس يفتشون في مساوئي، ويلتقطون صورًا لي في أسوأ حالاتي وأفضلها، أو ما هو بين ذلك، بعدسات كاميراتهم المقربة؟ هل سأتمكن مرة أخرى من أن أكرر عيد ميلادي الواحد والعشرين، حيث احتفلت في فندق سوفيتيل المطل على بيفرلي سنتر، واحتسيت شراب سيفين أند سيفينز، وسكبت زجاجة نبيذ في كأس براندي كبيرة، من التي يضعونها على البيانو من أجل البقشيش، وطلبت سيارة أجرة، وجلست في الخلف والكأس في يدي، وظللت أحتسي النبيذ، محاولاً أن أوجه السائق إلى منزلي وأنا لا أقدر أن أنطق سوى حرف الـ L، إلا أن الشخص الذي يجلس في المقدمة صرخ في قائلاً: «ما الذي تفعله بحق الجحيم؟» لأنه لم يكن سائق سيارة أجرة، بل يقود سيارة عادية؟

والأهم من ذلك، هل ستملاً كل هذه الثغرات؟ هل أريد أن أتبادل الأدوار مع ديفيد بريسمان أو كريج بييركو، أو هما يتبادلانها معي؟ ما الذي سأقوله لهما لاحقاً عندما يصبح اسمي دارجاً لدى كوميدوي «الستاند-أب» ومضيفي البرامج الليلية المتأخرة تحت كلمة «مدمن»؟ ماذا سأقول لهما عندما يكرهني ويحبني غرباء تماماً عني، وكل من هو في الوسط؟ ماذا سأقول لهما؟

وماذا سأقول لربي الذي ذكرني بصلاتي التي همست بها منذ ثلاثة أسابيع قبل حصولي على دوري في «فريندز»؟

«أيها الرب، افعل بي ما شئت، ولكن أرجوك اجعلني مشهوراً».

كان على وشك أن يحقق نصف الصفقة، ولكن ذلك كان يعني أيضاً أنه يمكنه فعل ما يشاء بي باعتباره النصف الآخر من الصفقة. كنت تحت رحمة الرب تماماً والذي كان رحيماً في أحيان، وفي أحيان أخرى يرى أنه من الجيد أن يُصلب ولده على صليب لعين.

ترى ما الطريق الذي سيختاره من أجلي؟ أي طريق سيختاره القديس بطرس؟ هل سيسلط الضوء الذهبي، أم الأزرق، أم الأحمر؟ أعتقد أنني على وشك أن أعرف.

بينما ترن كلمات جيمي بوروز عن الشهرة وشبكة الحدوث في آذاني، وجدت أنني يجب أن آخذ جولة أخيرة كشخص غير معروف.

لذا في نهاية صيف عام 1994، سافرت إلى المكسيك. كنت قد انفصلت لتوي عن حبيبتي جاي، وقررت أن أذهب وحيداً على متن رحلة بحرية لشرب الخمر. في مدينة كابو، تحولت، وثلت، وتحدثت إلى الفتيات في لوس أنجلوس من غرفتي. ثم في كل ليلة على متن الباخرة، كنت أذهب إلى بعض الحفلات الغريبة حيث الجميع يكونون في حالة غضب حتى يتناوعوا قارورة جعة، ومن ثم تبدأ الحفلة. كنت وحيداً، ولم أمارس الجنس، كانت الأجواء مثيرة وساخنة في كابو، ولكن باردة بداخلي. كنت أشعر أن الرب يراقبني، وينتظرنني. أكثر ما كان يخيفني هو أنني أعلم أن الرب عليم بكل شيء، ما يعني أنه يعلم بالفعل ما هو مختبئ بداخلي.

عُرض «فريندز» يوم الخميس الموافق 22 سبتمبر 1994. وحصل في البداية على المركز السابع عشر، وهو ما كان جيداً جداً بالنسبة لسلسل جديد. كانت أغلب الآراء ممتازة أيضاً:
«يبدو أن... «فريندز»... غير مألوف وجذاب... فريق العمل جذاب، وأفضل حوار لعام 1994،
«فريندز» يقترب من كونه مسلسلاً جديداً بوسعه أن يمتلك كل شيء».

- صحيفة ذا نيويورك تايمز

«فريندز لديه العديد من المقومات الجيدة فلا يوجد ما نكرهه. إنه عمل خفيف وبسيط إذ بعد كل حلقة لن نتذكر أي شيء منه سوى أنك ضحكت كثيراً».

- لوس أنجلوس تايمز

«يقدم فريق الممثلين وابتلاً من المزاح مع خجل شديد مما يوحي بأنهم يؤدون شيئاً من مسرحية Gen X Neil
(Simon).

- مجلة People

«إذا تعامل معجبو Mad About You و Seinfeld مع فارق السن، سيستمتعون في المنزل بهؤلاء الستة
الجالسين وهم يتبادلون الحديث حول الحياة، والحب، والعلاقات، والوظائف، وبعضهم بعضاً».

- صحيفة ذا بالتيمور صن

بعض الآراء التي كرهت المسلسل بشدة:

«تقول إحدى الشخصيات بالمسلسل إنه حلم أن قضيه على شكل هاتف وعندما رن، اتضح «أن والدته
هي التي تتصل». وهذا في الخمس دقائق الأولى فقط. إنه عمل شنيع... سيئ جداً... من بين نجوم العمل
الرقيقة كورتني كوكس، والكوميدي سابقاً ديفيد شويمر، وليزا كودرو، ومات لوبلانك، وماثيو بيري.
جميعهم يبدوون في شكل جيد، ولكن من المحزن أن نراهم يحطون من أنفسهم هكذا».

- صحيفة ذا واشنطن بوست

«عمل غير مضحك، ولا يستحق وقت عرضه في ليلة الخميس».

- صحيفة هارتفورد

وهنا يحضرنا موقف، ديك رو، مسؤول الفنانين والمنتجين من شركة ديكا للتسجيلات الذي رفض
التعامل مع فريق البيتلز، وأخبر براين إيبستين في عام 1967 قائلاً إن «فرق الجيتار قد ولى زمنهم». أتساءل
ما شعور أصحاب هذه الآراء الآن، بعد أن انتقدوا واحداً من أكثر المسلسلات المفضلة لدى الجماهير على
مدى العقود. أعتقد أنهم تأخروا في الحكم بشكل جيد على هذا المسلسل. هل كرهوا أيضاً Seinfeld؟ أو

M*A*S*H؟ أو St. Elsewhere؟ Cheers؟

لم نكن خارج سياق المنافسة. بل كنا مثلاً للمعنى الحقيقي لوقت الذروة، عندما كان ذلك الوقت يهيم للغاية. العصر الذهبي للزحام التلفزيوني. والأهم من تلك الآراء الجيدة جداً هو أننا أخذنا نحو 20٪ من جمهور مسلسل Mad About You، والذي كان عملاً قوياً ذا أداء قوي بالنسبة إلى مسلسل جديد. مع عرض الحلقة السادسة، هز منا Mad About You، وهو ما يعني نجاحاً جماهيرياً ساحقاً. وبعدها بفترة قصيرة، دخلنا في ترتيب العشرة الأوائل، ثم الخمسة الأوائل. ولم نغادر ذلك الترتيب لمدة عقد كامل. هذا لا يصدق حتى الآن.

إذاً ها هي الشهرة. تماماً كما توقعنا، كان «فريندز» حدثاً جليلاً، ولم أتهاون في ذلك. أحببت زملائي الممثلين. أحببت السيناريو. أحببت كل شيء حول هذا العمل... ولكنني كنت لا أزال أعاني أيضاً مع إدماني، وهو ما زاد من شعوري بالعار. كان لدي سر، ولم يعرفه أحد. حتى العمل في المسلسلات قد يكون مؤلماً. فكما اعترفت في حلقة لم الشمل في عام 2020: «شعرت أنني سأموت إذا لم يضحك «الجمهور الحاضر». وهو أمر ليس جيداً بالتأكيد. ولكنني أحياناً كنت أقول جملة ولا يضحك أحد، فأتعرق وأشعر ببعض التشنجات. إذا لم أحصل على الضحكات التي أرجوها، أرتعب بشدة. شعرت بذلك في كل ليلة». وضعني ذلك الضغط في موضع سيئ، كما أدركت أنه من بين الستة أشخاص القائمين على ذلك المسلسل، واحد فقط كان مريضاً. مع ذلك، الشهرة التي لطالما تطلعت إليها جاءت بالفعل؛ إذ كنا في لندن مثل البيتلز حيث يصرخ الجمهور خارج غرف فندقنا، وبعدها انتهى الأمر بالمسلسل بأن انتشر في جميع أنحاء العالم.

في أواخر أكتوبر 1995 - بين عرض الحلقة الخامسة والسادسة من الموسم الثاني - سافرت إلى نيويورك من أجل أول ظهور لي في برنامج Late Show، حيث كان الظهور مع ليترمان⁽¹⁸⁾ هو قمة الشهرة وقتها في المجال الفني الرائج. كنت أرتدي بدلة داكنة، قد يعلق عليها ليترمان وهو يشير إلى طية السترة قائلاً إنها «تبدو مثل موضة أواخر الستينيات، كغزو بريطاني إلى حد ما».

قدمني قائلاً: «سيداتي وسادتي، هذا الرجل هو واحد من ضمن المسلسل رقم واحد في أمريكا، رحبوا معنا بماثيو بيري».

دخلت الحلقة كنجم. لقد فعلتها. ولكنني كنت متوتراً للغاية، لدرجة أنني كنت بالكاد أقف ولذلك كنت سعيداً بالجلوس.

صافحت السيد ليترمان وانغمست في روتيني الذي تدربت عليه جيداً⁽¹⁹⁾، في وصف طويل لحلقة مسلسل Gilligan's Island النموذجية. لقد غيرتها بطريقة ما حتى أخبرت ياسر عرفات بالقصة نفسها، الذي صادف أنه كان نزيلاً بالفندق نفسه الذي كنت به (كان ذلك في أثناء الذكرى الخامسة عشر للأمم المتحدة، والجميع كان موجوداً عندنا في المدينة). كان ذلك النوع من القصص الغربية الطويلة من التي يجبها ليترمان. وصلت الضحكات وتعال، أعتقد أنني جعلت ديفيد ينفجر في الضحك عدة مرات، وهنا اختفى خوفي المزول للأرض.

كل شيء كان جيدًا. كل شيء كان ذهبيًا. كنت قد أكملت لتوي عامي الخامس والعشرين. كنت من ضمن أكبر مسلسل سيت كوم على مستوى العالم، مكثت في فندق في نيويورك، أرى زعماء العالم يحتشدون في المصاعد ومعهم حراسهم، بينما أرتدي بدلة ثمنها ألف دولار لأمزح مع ديف ليتمان. تلك كانت الشهرة. ووراء أضواء المدينة، وراء ناطحات السحاب، والنجوم الخافتة المتلاثلة في سماء وسط المدينة، ينظر الرب إليّ بالأسفل، منتظرًا. إنه لديه كل الوقت في هذا العالم. سحقًا، بل هو الذي خلق الوقت!

لم ينسَ، كان شيء ما يلوح في الأفق. أعلم ذلك الشيء، ولكنني لم أكن متأكدًا تمامًا. إنه شيء متعلق بشربي للكحوليات كل ليلة... ولكن كم كان سيئ هذا الأمر؟

كان المسلسل لا يزال يحقق نجاحًا ساحقًا. وأصبح ظاهرة فنية ثقافية. كانت تهجم الجموع علينا في أي مكان نذهب إليه (ديفيد شويمر حكى لاحقًا أنه ذات مرة هجمت عليه مجموعة من النساء الشابات في الشارع لدرجة أنهن دفعن حبيته حرفيًا للوقوف بجانبه). ومع أواخر عام 1995، بالقرب من وقت الظهور مع ليتمان، كانت لديّ أيضًا حبيبة جديدة ومشهورة للغاية. ولكن قبل أن أحكي عن هذا، لديّ بعض الأمور التي لم تنته بعد مع تشاندلر «الآخر».

لم يتواصل معي كريج بيركو لمدة عامين بعد أن حصلت على دور تشاندلر؛ انتقل للعيش في نيويورك، ففقدنا التواصل مع بعضنا.

بالنسبة إلى Best Friends، العمل الذي اختاره كريج بدلًا من Friends Like Us، فهو لم ينجح على الإطلاق. (لاحقًا، كتب وارن ليتلفيلد، الرئيس السابق لشبكة إن بي سي، في مذكراته عن عدم اختيار كريج لـ«فريندز»: «حمدًا للرب! كان هناك شيء خبيث حول كريج بيركو الشبيه بشخصية سنايدلي وبيلاش الكارتونية الشريرة. بدا أنه يشعر بالكثير من الغضب الدفين. إن البطل الجذاب الذي تحبه ويمكنه تقديم الكوميديا هو نادر جدًا»). كان كريج يعمل بشكل ثابت، وقام بدور البطولة مؤخرًا في مسرحية The Music Man في مسرح برودواي، وThe Long Kiss Goodnight مع جينا ديفيس وصامويل جاكسون، مع الكثير من الأعمال الأخرى العظيمة، ولكن هذا الانحراف في حجم ثرواتنا جعل صداقتنا في مهبط الريح.

افتقدته. ظل أسرع عقل كوميدي قابلته على الإطلاق، وهو ما أحببته، ما أحببته فيه على وجه الخصوص. لم أستطع أيضًا الذهاب مجددًا إلى الفورموسا لأتسكع، افتقدت تلك الحياة. صرت أشرب الكحوليات وحدي في شقتي لأن ذلك أكثر أمانًا لي. كان مرض الإدمان يتعمق أكثر فأكثر، ولكنني لم أدركه وقتها. إذا رأى أحدهم الكم الذي كنت أشربه، قد يشعرون بالقلق ويطلبون مني التوقف عن الشرب. والتوقف كان بالطبع مستحيلًا.

يومًا ما، هاتفني كريج من دون سبب. أراد أن يقابلني. كنت فرحًا، ولكن مرتابًا. أتعلم ذلك الشعور عندما ينتهي بك الأمر بأن تواعد شخصًا كان صديقك الحميم معجبًا به؟ انتابني شعور شبيه بذلك؛ لقد أخذت الدور الذي كان من الممكن ومن المفترض أن يؤديه، وكل شيء صار لامعًا أمامي كالذهب، ثم البلاطين، ثم معادن نادرة أخرى لم تكتشف بعد.

لم أعرف كيف سيدور لقائي بصديقي القديم. علقت مارتا كوفمان لاحقاً: «لقد قابلنا عددًا لا يحصى من الممثلين «من أجل دور تشاندلر»، ولكن الأمور جرت بالشكل الذي كان يجب أن تسير عليه». ولكنني لم أتمكن من قول شيء كهذا لكريج، لأن الأمور التي كانت من المفترض أن تسير بشكل ما - المعجزة - حدثت معي، وليس معه (وهو ما كان اختياره وليس اختياري).

عندما جاء إلى شقتي، كان التوتر متزايداً. تحدث كريج أولاً. «أريدك أن تعلم أنني آسف جداً لأنني لم أتحدث معك لمدة عامين، ببساطة لم أقدر أن أتعامل مع حقيقة أنك أصبحت ثرياً ومشهوراً بدور رفضته أنا. كلانا كان جيداً للغاية ليؤدي هذا الدور، لذا، نعم، لم أستطع التعامل مع هذا...».

استمعت إليه، وحل الصمت. صوت الزحام المروري في الخلفية بمنطقة صانسييت يصل حتى متجر فريد سيغال في منطقة لا سيينجا.

لقد قررت ألا أذكر اسم ذلك المتجر مرة أخرى.

لم أطق ما تحتم عليّ قوله لكريج، ولكنني اضطررت لذلك.

إذ قلت: «أتعرف يا كريج؟ إن ما حدث لم يحقق ما كنا نظن أنه سيحدث. لم يصلح من أي شيء». (يا له من تفكير حكيم بالنسبة إلى شاب في السادسة وعشرين من عمره الذي لم يتمن في حياته سوى الشهرة وأدرك أنها لم تملأ الفجوات على الإطلاق كما تمنى. لم يحدث هذا، فما ملأها هو الفودكا).

حقد فيّ كريج، لا أظن أنه صدقتي، ما زلت أظن ذلك حتى الآن. أعتقد أنك بحاجة لأن تتحقق كل أحلامك حتى تدرك أنها كانت أحلاماً خاطئة.

لاحقاً، بينما كنت أقوم بالدعاية لمسلسل Studio 60 on the Sunset Strip، صرحت لصحيفة الجارديان قائلاً: «أعمل في أقل المسلسلات مشاهدة في تاريخ التلفزيون «Second Chance عام 1987»، والأكثر مشاهدة على الإطلاق «فريندز»، وكلاهما لم يغيرا حياتي بقدر ما اعتقدت».

ومع كل هذا، أن آخذ مكان كريج كان أمراً لا مفر منه، وديفيد بريسمان، وذلك الشاب في محطة البنزين في نهاية الطريق، قد استبدل حياتي معهم جميعاً في دقيقة واحدة وإلى الأبد فقط إذا لم أكن الشخص الذي أنا عليه، بأسلوبي نفسه، مقيداً بعجلة النار تلك. ليس لديهم عقل يريد منهم دوماً لإنهاء حياتهم. كلهم ينامون بسلام في الليل. ولا أعتقد أن هذا جعلهم يتعايشون بشكل أفضل مع اختياراتهم، ولما آلت إليه حياتهم.

قد أتخلى عن كل ذلك من أجل ألا أشعر بذلك الإحساس. أفكر في هذا دائماً، إنه ليس تفكيراً مثالياً؛ بل هو حقيقة مرّة. تلك الالتباسات الفاوستية تجاه الرب التي قلتها كانت غبية، وكأنها أتت من طفل. لم تكن مبنية على أي شيء واقعي.

ولكن الأمر أصبح واقعياً.

لديّ المال، والشهرة، وتجارب كنت فيها على وشك الموت كي تتحقق تلك الصلوات.

يقصد إستوديو فريندز (الترجمة).

قالها في الحلقة الرابعة من الموسم الثالث من مسلسل «فريندز» (المراجعة).

مذيع البرنامج (الترجمة).
يقصد إضحاك الناس (الترجمة).

فاصل

لقطة مقربة

أخيرًا، عدت من سويسرا إلى لوس أنجلوس. كان وقت انتشار الكورونا. كل شيء في كل مكان كان مغلقًا. كنا جميعًا منغلقيين على أنفسنا في غرف صغيرة خوفًا من الموت. كنت أصفي ذهني مع ذلك، وكنت في معركة مجددًا مع الإقلاع عن الشرب.

تعاملت مع الجائحة بشكل أسهل لسببين: (1) لأنها كانت تحدث خارج رأسي.

(2) لأنها أعطتني عذرًا جيدًا للغاية لأن أختبئ في شقتي الفاخرة بمساحة 10,400 قدم مربع في الطابق الأربعين بأكمله من مبنى سينشيري بيلدينج في سينشيري سيتي.

كانت ضلوعي تتعافى بشكل طفيف على الأقل، وقد بدأت أقلع عن الشرب. وهو ما يعني أنني بدأت أن أدرك ببطء أنني خطبت إحداهن، وأعيش مع امرأة وكليين. لا داعي لقول إنني لم أكن مستعدًا لأي من ذلك. هل تعيشين معي؟ هل نعيش معًا؟ هل اخترنا أسماء أبنائنا، وخطونا «التسعة ياردات بأكملها»، وهو

اسم أحد أفلامي The Whole Nine Yards؟

هل ركعت على ركبة واحدة لتتقدم لها، وهو ما يؤلم بطنك بشدة؟ أتتذكر ذلك؟

لا أتذكر ذلك، لست بحاجة لأن أقول إننا انفصلنا.

لا يوجد جدار رابع

تعلمون كيف شعر بعض الناس في أثناء فترة الكورونا بأنهم يعيشون اليوم نفسه مرارًا وتكرارًا؟ إليكم اليوم الذي كنت أتمنى أن أعيشه مرارًا وتكرارًا (إنه كان بمثابة Groundhog Day بالنسبة إليّ). في الواقع، أتمنى إذا كنت أستطيع أن أعشه مجددًا لبقية حياتي. ولكنني لا أستطيع. لذا الطريقة الوحيدة لأتخطى ذلك الأمر لبقية حياتي هو أن أحكي قصة ذلك اليوم، ونرى إن كان هذا سيساعدني. (ولكن قطعًا هذا لن يرجع ذلك اليوم مرة أخرى).

كانت ليلة رأس السنة عام 1995، بمدينة تاوس، في ولاية نيو ميكسيكو. طوال فترة ما بعد الظهر، كنا نلعب كرة القدم في الثلوج. أنا وحببتي وقتها، جوليا روبرتس، ومجموعة من أصدقائنا. كانت أشهر نجمة أفلام في العالم، وكنت أنا أمثل في المسلسل التلفزيوني رقم واحد في العالم. بدأت العلاقة عبر الفاكس، إذ في مكان ما في العالم، هناك كومة من الفاكسات يبلغ طولها قدمين تقريبًا، مغالزة على بعد قدمين، مليئة بالقصائد ورحلات خيالية ونجمين كبيرين يقعان في غرام بعضهما بعضًا ويتواصلان بشكل رومانسي جميل.

في ذلك الوقت، كنت كأني أسير على السحاب. كنت في قلب كل شيء، ولا شيء بإمكانه أن يمسنني. شرارة الشهرة البيضاء والمتقدة كانت كلها ملكي، ظللت أمرر يديّ فيها ولكنهما لم تحترقا منها، فقد كنت في الجزء الخامل منها. لم أكن قد أدركت بعد أن الشهرة لن تملأ الفجوة، ولكن وقتها ملأت تلك الفجوة بشكل لطيف، شكرًا جزيلًا.

حقق الموسم الأول من «فريندز» نجاحًا منقطع النظير. وانغمست تمامًا في الموسم الثاني. استضافني ليترمان، وتم تحديد موعد مع جاي لينو. كانت صورنا على غلاف مجلة People ورولينج ستون في الوقت الذي كانتا فيه مجلتين كبيرتين. والآن انهالت عروض الأفلام. ولماذا لا يفعلون ذلك؟ كنت أحصل على أي مما أريد. عرض لفيلم بأجر مليون دولار هنا، وعرض آخر بمليون دولار هناك. لم أكن في مكانة جوليا روبرتس، ولكن كانت تأتيني عروض من هذا القبيل.

ثم حدث أمر لا يحدث إلا للمشاهير فقط. اقتربت مني مارتا كوفمان وقالت إنني يجب أن أرسل زهورًا لجوليا روبرتس.

هل تقصدين جوليا روبرتس، النجمة رقم واحد في العالم؟

قلت: «بالتأكيد، عظيم، لكن لماذا؟».

اتضح أنها عرض عليها أن تمثل في الحلقة التالية لحلقة السوبر بول في الموسم الثاني، واشترطت أنها ستمثل في المسلسل فقط إذا كان لها دور معي. دعوني أقولها مرة ثانية، ستمثل في المسلسل فقط إذا كان لها دور معي

أكان ذلك عامًا مثاليًا بالنسبة إليّ أم ماذا؟) ولكن أولاً يجب أن أتودد إليها.

فكرت كثيرًا وبصعوبة فيما سأكتبه في البطاقة الملحقة مع الزهور. أردت أن يبدو الكلام احترافيًا، بين نجم ونجم آخر. (حسنًا، بين نجم ونجمة أكبر بكثير). ولكنني أردت أيضًا أن أكتب كلامًا يبدو مغازلاً، ليتماشى مع ما قالتها. ما زلت فخورًا بما آلت إليه الأمور. أرسلت إليها ثلاث باقات من الزهور الحمراء، وبطاقة مكتوب بها:

«الشيء الوحيد الأكثر إثارة من أنك ستمثلين في المسلسل هو أنني أخيرًا صارت لديّ الحجة كي أرسل لك زهورًا».

ليس سيئًا، أليس كذلك؟ كنت خائفًا من أن أنام في تلك الليلة، ولكنني اعتمدت على سحر ما طلبته. مهمتي انتهت هنا تمامًا بإرسالي الزهور. كان ردها هو إذا تمكنت من شرح فيزياء الكم لها بشكل وافٍ، ستوافق على التمثيل في المسلسل. رائع! مبدئيًا، أنا أتبادل حوارًا مع المرأة التي تم اختراع أحمر شفاه خصيصًا لها، ثم تعين عليّ أن أستذكر جيدًا.

في اليوم التالي، أرسلت لها ورقة كلها عن ظاهرة «ازدواجية موجة جسيم» ومبدأ عدم اليقين والتشابك، وبعض من تلك الظواهر فقط كان مجازيًا. قالت أليكسا جونج، من بين فريق كتابة مسلسل «فريندز»، لمجلة ذا هوليوود ريبورتر بعدها بعدة سنوات إن ««جوليا» كانت مهتمة بـ«ماثيو» من على بعد، لأنه كان جذابًا جدًا. وكان هناك الكثير من الغزل المتبادل عن طريق الفاكس. كانت ترسل له أسئلة مثل «تري لماذا يجب أن أخرج معك؟»، وكل من في غرفة الكتابة كانوا يساعدونه في الإجابة وأن يشرح لها السبب. بالطبع كان سيتصرف جيدًا من دوننا، ولكن لا شك أننا كنا في صف ماثيو ونحاول أن نجعل تلك العلاقة تتم من أجله».

في النهاية، كل محاولتنا نجحت. ولم توافق جوليا على التمثيل في المسلسل وحسب، بل إنها أيضًا أرسلت لي هدية: البيجل، الكثير من خبز البيجل. ولم لا؟ اللعنة، لقد كانت جوليا روبرتس.

ومن هنا بدأت علاقة مدتها ثلاثة أشهر عن طريق الفاكس اليومي. كان ذلك في عصر ما قبل الإنترنت، وما قبل التليفون المحمول، كل كلامنا المتبادل كان عن طريق الفاكس. وكانت مراسلاتنا كثيرة، تصل إلى المئات. في البداية، كنا على حافة الرومانسية، أرسلت لها قصائد، وطلبت منها أن تذكر أسماء الثلاثة لاعبين أصحاب لقب الخط الثلاثي التاجي في فريق لوس أنجلوس كينج لرياضة الهوكي، وأشياء من هذا القبيل. وكان الأمر وكأننا لسنا منشغلين، كنت أصور في المسلسل الأكثر شهرة في العالم، بينما كانت تصور هي فيلم للمخرج وودي آلن بعنوان Everyone Says I Love You، في فرنسا (بالطبع كانت تفعل ذلك). ولكنني كنت أجلس ثلاث أو أربع مرات في اليوم بالقرب من آلة الفاكس، وأشاهد الورق وهو يخرج ببطء رسالتها الجديدة. كنت متحمسًا للغاية لدرجة أنه في بعض الليالي كنت أجدني بالخارج أحفط في مكان ما وأتبادل الغزل مع امرأة جذابة، ثم أتوقف فجأة عن الحديث وأهرع للمنزل وأتفقد إن كانت هناك رسالة فاكس جديدة. في كل تسع مرات من بين عشر، كنت أجد رسالة. كانت رسالتها ذكية جدًا، الطريقة التي غزلت بها جملها معًا، والطريقة التي رأت بها العالم، والطريقة التي نطقت بها أفكارها الفريدة، كل هذا كان يفتنني.

وكان شيئًا عاديًا أن أقرأ رسائلها ثلاث وأربع وأحيانًا خمس مرات، مبتسمًا للورق كشخص أبله. وكأنها جاءت إلى هذا العالم لتجعله يبتسم، والآن، لتجعلني أنا نفسي أبتسم. كنت أبتسم كمراهق في الخامسة عشرة من عمره في موعده الأول.

كل هذا ولم نتحدث وجهًا لوجه بعد، ولم نتقابل مرة.

ثم ذات صباح، تغير شيء ما، أرسلت جوليا رسالة رومانسية منحرفة بالفاكس. اتصلت بصديق وقلت له: «أنا في حيرة من أمري، تعال على الفور، أخبرني إذا أخطأت».

عندما وصل، أريته الفاكس وقال: «نعم، لست مخطئًا. أنت بالتأكيد في حيرة من أمرك».

«ما الذي يجب أن أرسله؟».

«حسنًا، بماذا تشعر؟».

«اللعنة، دعك مني، فقط قل لي ماذا أقول لها».

لذا استجمعنا كلمتانا أنا وصديقي المتقمص لدور الشاعر «سيرانو» وقمنا بإرسال فاكس رومانسي منحرف أيضًا. ثم وقفنا هناك بالقرب من آلة الفاكس، ننظر لبعضنا بعضًا. شابان يحدقان في آلة وحسب.

وبعد عشر دقائق، سمعنا صرير آلة الفاكس الذي ملأ شفتي، رسائل قادمة من الفضاء الخارجي يصحبها أصوات صرير وأزيز.

كان مكتوبًا في الرسالة «اتصل بي» وبالأسفل رقم هاتفها.

رفعت الساعة واتصلت بجوليا روبرتس. كنت متوترًا بشدة، التوتر نفسه في أثناء ظهوري الأول في برنامج ليترمان، ولكن المحادثة مرت بسلاسة، أضحكته، ويا إلهي، يا لها من ضحكة... كانت شديدة

الذكاء وماهرة. يمكنني أيضًا أن أقول بالفعل إنها من بين أفضل ثلاثة قابلتهم في حكي القصص. في الواقع، كانت قصصها مثيرة جدًا، لدرجة أنني سألتها إذا كانت قد كتبت تلك القصص في وقت سابق.

بعد خمس ساعات ونصف، إذ اقتربنا من نهاية الحديث، شعرت أنني لم أعد متوترًا. وبعد ذلك لم نتوقف؛ فكانت محادثاتنا تصل إلى خمس ساعات أحيانًا وأربع ساعات في أحيان أخرى. كنا واقعين؛ لم أكن متأكدًا في

ماذا، لكننا كنا واقعين.

كان جليًا أننا وقعنا في الغرام.

في يوم خميس، رن تليفوني مجددًا.

«سأكون في شقتك بحلول الساعة الثانية ظهرًا، يوم السبت».

ثم أغلقت الخط.

ومن هنا بدأت علاقتنا بالفعل.

ولكن كيف عرفت عنواني؟ ماذا لو لم تعجب بي؟ ماذا لو كانت رسائل الفاكس والمكالمات الهاتفية لطيفة كلها لكنها لم تعجب بي في الحقيقة ولم تردني مجددًا؟

لماذا لا أستطيع التوقف عن الشرب؟

بالتأكيد في تمام الساعة الثانية ظهرًا، يوم السبت ذاك، دق الباب، خذ نفسًا عميقًا يا ماتي. عندما فتحته، كانت هناك، جوليا روبرتس في الجانب الآخر تبسم.

أتذكر أنني قلت شيئًا أشبه بـ«أوه، إنها جوليا روبرتس».

حتى في مثل تلك اللحظات، يمكنني إطلاق الدعابات سريعًا. لو كان كريج موجودًا لكان أطلق دعابة أسرع مني، ولكن لم يكن موجودًا. ضحكت ضحكتها الشهيرة، تلك الضحكة التي يمكنها أن تحرك ألف سفينة، والتي يمكنها أن تزيل أي توتر.

سألته عن حالي.

«أشعر كأنني أكثر الرجال حظًا في العالم، كيف حالك أنت؟».

«أعتقد أنك يجب أن تدعوني للدخول الآن».

دعوتها للدخول، حرفيًا ومجازًا، ومن هنا بدأت العلاقة. أصبحنا مرتبطين بالفعل مع بداية تصوير حلقة السوبر بول في «فريندز».

ولكن قبل تصويرنا لتلك الحلقة، في ليلة رأس السنة، في مدينة تاوس، ومع اقتراب دخول عام 1996، كنت أواعد جوليا روبرتس. حتى أنني قابلت عائلتها. أخذتني في سيارتها الفولكس فاجن بيتل البرتقالية وسافرنا إلى هناك على طائرة خاصة. ظننت أنني أملك المال، بل كانت هي التي تملك المال.

لعبنا كرة القدم في الثلج طوال اليوم. وبعدها، نظرت جوليا إليّ، ونظرت إلى ساعتها، كانت الساعة 11:45 مساءً، أخذت يدي وقالت: «تعال معي».

قفزنا في سيارة نقل زرقاء كبيرة، وقدناها نحو جبل، الثلج يكسوه من الجانبين. لم أكن أعلم إلى أين نحن ذاهبان. بدا أننا نتجه إلى القمة حيث النجوم. في النهاية، وصلنا إلى قمة الجبل، للحظة، كان الجو صافياً، تمكنا من رؤية نيو ميكسيكو بالأسفل وما ورائها حتى كندا. بينما جلسنا هناك، جعلتني أشعر وكأنني ملك العالم. تساقط علينا ثلج رقيق، وهكذا بدأنا عام 1996.

في فبراير، استضاف ليترمان جوليا روبرتس، وضغط عليها بالأسئلة حول ما إذا كانت تواعد أحدهم أم لا. كانت قد ظهرت مؤخرًا كضيفة شرف في مسلسل «فريندز»، في الحلقة التالية للسوبر بول The One After the Super Bowl. كانت الحلقة مليئة بالنجوم مثل جوليا، وجان-كلود فاندام، وبروك شيلدز، وكريس إسحاق، وآخرين، والتي شاهدها 52.9 مليون شخص، أعلى نسبة مشاهدة لمسلسل بعد السوبر بول. كانت أرباح الإعلانات وحدها مذهشة، أكثر من نصف مليون دولار مقابل العرض ثلاثين ثانية. أصبح المسلسل بيضة إن بي سي الذهبية الدائمة.

(ومع ذلك، لا أزال أتذكر بعض الليالي التي كنت أفكر فيها: أتمنى لو كنت مشاركًا في مسلسل «إي آر» بدلاً من «فريندز»، كنت سأحظى باهتمام أكبر. المشكلة كانت لا تزال موجودة، بصمة إصبعي، لون عيني).

صورنا الجزء الخاص بجوليا في الحلقة المزدوجة بعد أيام من ليلة رأس السنة، من 6 يناير وحتى 8 يناير. كتبوا لي جملاً لأقولها في المسلسل مثل «قديمًا»، كنت أستخدم الفكاهة كوسيلة دفاع عن النفس، ولكن حمداً

للرب أنني لا أفعل ذلك الآن» و«لقد قابلت المرأة المثالية». قبلتنا على الأريكة كانت حقيقية جدًا لدرجة أن الجميع ظن أنها حقيقية.

لقد كانت حقيقية بالفعل. فقد كانت جوليا رائعة في المسلسل، والكيمياء بيننا بدت حقيقية لدرجة تجعلها تتسرب من كل شاشات التلفزيون بأمریکا.

وللإجابة عن أسئلة ليرمان، لقد أثبتت جوليا ذكاءها بالعبث بأدمغة الجميع:

«نعم، كنت أخرج مع ماثيو بيرى، ولكن لسبب ما، ربما لأنني ظهرت في حلقة السوبر بول، اعتقد الناس أنه ماثيو بيرى من مسلسل «فريندز»، ولكن في الحقيقة هو مجرد خردواتي قابلته في هوبوكين، ولكن ماثيو بيرى من مسلسل «فريندز» شخص لطيف أيضًا، لذا لا أمانع ذلك اللغظ على الإطلاق».

كما قالت عني أيضًا إنني «ذكي بشكل مروع، ومرح، ووسيم». كل هذا وقتها كان صحيحًا.

بمجرد أن انتهينا من الموسم الثاني، في أبريل، توجهت إلى فيجاس لتصوير أول دور سينمائي كبير لي. تقاضيت مليون دولار لأكون نجم فيلم Fools Rush In مع سلمى حايك. ربما يكون أفضل أفلامي حتى يومنا هذا.

إذا كنت أمثل هذا الفيلم الآن، كنت سأسافر مع ثلاثة أشخاص، لأنني كنت سأخاف من أن أكون وحدي. ولكن وقتها، كنت وحدي. لم يملأني الخوف الذي كنت سأشعر به الآن. ولهذا أعتقد أنهم يرسلون شبابًا صغارًا للحرب. لأنهم صغار، ولا يخافون، ولا يقهرون.

لا تفهموني بشكل خاطئ، فقد كنت متوترًا في أثناء تصوير هذا الفيلم. لقد كنت هناك، في فيجاس، في تصوير فيلم ميزانيتها تبلغ 30 مليون دولار تقع كلها على عاتقي. في اليوم الأول، عندما أخذوني من المنزل، طلبت من السائق أن يتوقف، ففعل، وتقيأت على جانب الطريق من الخوف.

في أثناء تصوير الفيلم، لا تجري الأمور فقط بشكل أبطأ، بل أيضًا نجاح الشخصية يتوقف على شعورك وتقمصك لهذا الشعور. أن أتحوّل في عملي إلى ذلك الجهد العميق ربما يكون صعبًا، وقد وجدته كذلك، لأننا في مجال السينما نصور المشاهد من دون ترتيب.

أتذكر في اليوم الثاني من تصوير Fools Rush In، كنا نصور مشهدًا في غرفة طبية التوليد، وسمعنا صوت دقات قلب طفلنا أنا وسلمى حايك لأول مرة. لم أكن أعلم على الإطلاق كيف هو هذا الشعور، بالإضافة إلى أنني قابلت سلمى للتو. لاحقًا، أتذكر مشهدًا تطلب مني أن أبكي. كنت خائفًا جدًا من ذلك أيضًا. ظللت أفكر فيه طوال النهار وشعرت بالقلق طوال الليل. في النهاية، نجحت فيه بطريقة ما. الخدعة هنا سهلة، يمكنك التفكير في أمر يحزنك بشدة. ولكن التوقيت صعب، لأنه يجب أن تبكي في التوقيت الصحيح، ويجب أن تعيد المشهد مرارًا وتكرارًا.

في ذلك اليوم، بكيت طوال النهار في موقع تصوير Fools Rush In. ذهبت لأندي تِنْت المخرج، وقلت له:

«نحن نفعل ذلك لمدة عشر ساعات الآن يا رجل، لم تعد بداخلي دموع».

فقال أندي: «نريد ذلك مرتين آخرين يا صديقي».

ما قاله جعلني أجهش في البكاء. ضحك كلانا وأكدنا أنه لا تزال في حوزتي مزيد من الدموع. (في الواقع، أرى ذلك التمثيل الدرامي الحزين أسهل من التمثيل الكوميدي. أحياناً أنظر إلى مشهد وأفكر: لا داعي لأن أكون كوميدياً، هذا سيكون غير ملائم، كما أنني رُشحت إلى أربع جوائز إيمي في حياتي، واحدة في دور كوميدي، وثلاثة في دور درامي).

بدأت في استحضار بعض الإستراتيجيات المرححة لأندمج في مشاعري الحقيقية، ولأصبح بطلاً لفيلم وليس مجرد ممثل كوميدي في مسلسل سيت كوم. في الظهرية، في فندق ستراتوسفير في فيجاس، كانوا يقدمون عرض ألعاب نارية كبيراً لذا طلبت من سلمى أن تنظر إلى الفندق حينها لأن هذا ما شعرت به شخصيتي في الفيلم عندما قابلت شخصيتها في الفيلم لأول مرة.

قامت سلمى بأفضل ما عندها أيضاً، جاءت إلى سيارتي في بداية التصوير وقالت: «لنتغزل قليلاً». خرج مني أفضل رد فعل يمكن أن يأتي من تشاندلر، نظرة عميقة وتحديق ساخر، وقلت: «أوه، حسناً! لتغزل قليلاً!».

دائماً ما كان لدى سلمى أفكار متقنة ودائمة عن كيفية قيامنا بالمشهد، ولكن أفكارها الدائمة والعاصفة أحياناً لم تكن مفيدة أغلب الوقت. فكان هناك مشهد أبوح فيه بحبي لها. اقترحت ألا ننظر لبعضنا بعضاً، بل يجب أن ننظر إلى الأمام إلى مستقبلنا معاً. بعد أن استمعت لهذا الهراء لمدة عشرين دقيقة، قلت أخيراً: «اسمعي يا سلمى، سأقول لك إنني أحبك في هذا المشهد. فلتنظري إلى حيث ترغيبين، لكنني سأنظر إليك». في أثناء التحضير للفيلم، مررت بالسيناريو وكنت أطلق بعض الدعابات لأندي تِنَّت الذي كان شخصاً ذكياً ولطيفاً جداً. ولكنه أوقفني، بينما كنت أقفز في الأرجاء وأقوم بحركاتي المرححة القليلة، وأخذني جانباً وقال: «ليس عليك أن تفعل كل ذلك، أنت مثير للاهتمام بشكل كافٍ لنشاهدك من دون كل هذا».

هذا النمط من التفكير أتاح له أن يُخرج مني أفضل أداء تمثيلي لي في حياتي المهنية. أليست تلك طريقة مختلفة لقول ماتي، أنت كافٍ من دون أي شيء آخر، تلك الكلمات التي أردت سماعها طوال حياتي؟ (اتجه أندى لإخراج عشرات الأفلام منها Hitch بطولة ويل سميث. أعتقد أن الرجال اللطفاء لا يفشلون).

كما أن أندى كان مستمعاً للأفكار المتميزة. في يوم ما، كان يزورني صديقي أندرو هيل نيومان في موقع التصوير، وجاء بتلك الجملة: «أنت كل شيء لم أكن أعرف أنني أردته دائماً». كتبها وأعطيتها لأندي تِنَّت والذي أحبها كثيراً، وأصبحت أكثر جملة مشهورة في الفيلم. وعلى مستوى الأفلام، أفضل جملة قلتها أنا. وفي أحد أيام التصوير، كانت هناك مجموعة من الناس في الخلفية يركبون الدراجة المائبة (الجت سكي) في بحيرة ليك ميد، سألت إذا كان بإمكانني أن أركب واحدة منها في أثناء استراحة الغداء. ولكننا كنا في بداية تصوير الفيلم، فقيل لي إنها مخاطرة كبيرة.

ولكن آنذاك، كل شيء كنت أنال الموافقة عليه... لذا قلت لهم: «إمم، عليكم أن توافقوا على هذا». لذا توجهت إلى بحيرة ليك ميد. كانت الشمس ساطعة بشدة، والمياه الزرقاء تطلق كلهب النار. وبينما توغلت للداخل وأنا أركب الدراجة المائبة، رأيت مبنى هوفر دام من على بعد، الذي سيتم تصوير ذروة الفيلم به، ورأيت جبل ويلسون يحوم حول المكان وكأنه يبدي تحذيراً. لكن كل شيء في حياتي كان رائعاً،

كانت حبيبي أجهل وأشهر امرأة في العالم، كنت في المسلسل رقم واحد في أمريكا، كنت أتقاضى الكثير من المال من أجل تصوير فيلم ربما يصبح رقم واحد في صندوق الإيرادات. أسرعت أكثر بتلك الدراجة المائية، شعرت بتواصل الطفيف والهادئ مع المياه، التفت إلى ذلك الاتجاه وذاك، والدراجة المائية ترفعني عاليًا وتنزلي إلى الأسفل على كرسي، ويدي اليمنى تلف وتلف، لتدفع تلك الماكينة إلى أقصى ما عندها. ثم التفت بالدراجة المائية بقوة ولكن جسدي ظل ثابتًا، فطرت في الهواء، ثم سقطت. وبمجرد أن هبطت على الأرض، نظرت ورائي من حيث بدأ كل هذا وهناك وقف حوالي أربعون شخصًا على حافة الشاطئ، طاقم العمل بأكمله الذي كان يشاهدني وأنا أخطر بالفيلم كله، والذين هرعوا إلى ليك ميد لإنقاذي. عندما عدت إلى الشاطئ نفسه، أدركت أنني أصبت. وفي تلك الليلة كان يتعين تصوير مشهد كبير، مشهد ميلاد الطفل، وهي لحظة مهمة لا بد أن أكون حاضرًا فيها. لكن جسمي بأكمله كان يؤلمني، وخاصة رقبتي ألمتني بشكل لعين. علم الطاقم أنني أعاني الألم، لذا استدعوا طبيبًا، الذي جاء في سيارتي وأعطاني قرصًا واحدًا في علبة بلاستيكية وقال:

«خذ هذا عندما تنتهي، وكل شيء سيكون على ما يرام».

وضعت ذلك القرص في جيبتي، وأقسم أنني لو لم أتأوله، لكنت العقود الثلاثة اللاحقة من حياتي قد تغيرت. من يدري؟ كل ما أعرفه أنها كانت من أسوأ ما يمكن.

دوري في Fools Rush In كان مطورًا عقاريًا يقود سيارة موستانج حمراء. في تلك الليلة ظللنا نعيد تصوير المشهد حتى انتهينا قبيل الفجر. رأيت الشمس تظهر في الأفق، فسألت:

«هل يمكنني قيادة تلك السيارة الموستانج إلى المنزل في فيجاس، ما رأيكم؟»

اندهشت أنهم وافقوا على أي شيء بعد كارثة الدراجة المائية. ولكن هذا ما حدث.

بمجرد أن ظهر النور في سماء ولاية نيفادا ذلك اليوم وزحف إلى قمة جبل ويسلون، تركت الجراج. أغلقت سقف السيارة الموستانج، وابتلعت القرص. فكرت في جوليا، وفكرت في السفر عبر بحيرة ليك ميد، لا مبالياً للعالم. فكرت في طفولتي، دون أن أحزن وقتها. وبينما بدأ مفعول القرص، صحا شيء ما بداخلي. تلك الصحوة ظللت أطاردها لبقية عمري. فكرت في الشهرة وكريج بيركو والأخوين موراي و«فريندز». كنا على وشك حلول الصيف، ومعه السحب الوردية الرقيقة، ونسيم الصحراء. كان القرص سمائي الوردية. أحسست بشعور رائع لدرجة أنه إذا ضربتني قاطرة، كنت سأعود لمهندس السيارات وأقول له: «أمر عادي ويحدث أحيانًا يا أخي». كنت وكأني مستلقٍ على العشب في حديقة بيتي الخلفية بكندا، محاط بقيء الأخوين موراي. لم أكن أدرك كم كنت سعيدًا. كنت في قمة النشوة الخالصة. استبدل القرص الدماء في جسدي بالعسل الدافئ. كنت على قمة العالم. كان أعظم شعور انتابني على الإطلاق. لا شيء يمكنه أن يؤثر في. بينما قادت تلك الموستانج الحمراء المكشوفة إلى منزلي المستأجر في فيجاس، أتذكر أنني فكرت في شيء من قبيل ما دام هذا الشيء لن يقتلني، إذًا سأتناوله مجددًا. إنها ذكرى سيئة بالطبع، بسبب ما حدث لاحقًا. لكنها كانت ذكرى جيدة أيضًا، كنت قريبًا من الرب في ذلك الصباح. كان بوسعي أن أتحمس السماء، لن يفهم كثيرون ذلك الشعور، شعرت وكأني صافحت الرب ذلك الصباح.

أكان الرب بالفعل؟ أم شخص آخر؟

أول ما قمت به فور عودتي إلى المنزل هو أنني تواصلت مع ذلك الطبيب وأخبرته أن القرص كان مفعوله رائعا مع الألم (قررت ألا أذكر جزء تواصلتي مع الرب). خلدت للنوم، وعند استيقاظي، وجدت أربعين قرصًا إضافيًا مثل الذي تناولته قد وصلت إلى منزلي. وجدتها!

احذر يا ماتي، هذا الذي يجعلك تشعر أنك أفضل سيأتي بتوابعه. الآن أعرف توابعه، يا إلهي. ولكنني لم أعلم ذلك وقتها. كنت أتمنى أن يكون ذلك هو القصة الكاملة لفيلم Fools Rush In. دائمًا هناك قصص كثيرة في كواليس صناعة الأفلام. يؤسفني أن أفجر لكم فقاعة صناعة الشهرة المعقدة وتروا ما بداخلها، ولكن هناك أشياء حقيقية وراء كل ذلك أيضًا، وراء كل ذلك البريق، وجرعات المارتيني، والكاميرات. ومع ذلك، ما لا يستطيع أحد أن يقوله هو ما يدور في حياة شخص ما، بأن أقل ما قد يحدث له هو أنه على وشك الانهيار وعلى حافة الجحيم.

بعد مرور عام ونصف، كنت أتعاطى خمسة وخمسين قرصًا من تلك في اليوم الواحد. وصل وزني إلى ثمانية وخمسين كيلوجرامًا، عندما دخلت دار إعادة تأهيل هيزلدين في مينيسوتا، انهارت حياتي. كنت مرتعبًا، وواثقًا أنني سأموت، ولا أعلم مطلقًا ماذا حدث لي. لم أكن أحاول الانتحار، بل كل ما هنالك أنني حاولت الشعور بتحسّن.

بالطبع انتشرت عناوين أخبار من قبيل «ماثيو بيرى في دار إعادة التأهيل». لم تتح لي الفرصة كي أحل مشكلاتي في خصوصية. الكل كان يعلم. كنت على أغلفة كل المجلات. لم أجد الخصوصية والسرية التي يتمتع بها الجميع. كنت مرعوبًا. لكنني كنت لا أزال شابًا، لذا عدت سريعًا لحالتي الطبيعية. خلال ثمانية وعشرين يومًا، استعدت عافيتي وصحتي.

وهو ما انتشرت الأخبار حوله أيضًا، ولكنها لم تكن بالأهمية نفسها للأخبار السابقة.

تختلف صناعة الأفلام تمامًا عن صناعة المسلسلات التلفزيونية. ففي «فريندز»، إذا كنت حزينًا من أمر ما، يمكنك التحايل عليه، حتى لو كنت أتعس شخص في العالم، أمام الصفوف الخلفية للجمهور الحاضر. تكون هناك حركة تؤديها أمام الجمهور أيضًا كأنك تقول لهم: «انظروا جميعًا، الجزء القادم سيمتعكم». عندما تمثل في سيت كوم، تؤدي الدور كأنك تمثل في مسرحية ذات فصل واحد كل أسبوع. يصل عدد الجمهور إلى ثلاثمائة شخص، لذا عليك أن تؤدي بثقة أمامهم.

أما صناعة الأفلام، فهي أكثر بطءًا. هناك اللقطة المثالية، ثم اللقطة المقربة، ثم لقطة مقربة أقرب. إذا كانت شخصيتك حزينة، تؤديها بحزن. لا يوجد تمهيد للجمهور بحركة، وهذا من ضمن المميزات يا عزيزي. إنها في «فريندز»، حتى التحضير كان يتم بسرعة. أتذكر أن أليك بالدوين عندما جاء كضيف شرف قال لنا: «يا رفاق، أنتم سريعون جدًا!».

كنا نحظى دائمًا بضيوف شرف طوال الوقت، وهو ما يعني أننا يجب أن نكون على أهبة الاستعداد. كان شون بين واحدًا من بين المفضلين بالنسبة إليّ، ظهر في حلقتين في الموسم الثامن، ونجح فيها. فكان مطلوبًا مني في الأحداث أن أرتدي زي أرنب وردي (فقد كان عيد الهالوين) لذا بينما نحن في نهاية جلسة القراءة

التدريبية، قلت: «لطالما حلمت بالعمل مع شون بين، ولكنني لم أتخيل أبدًا أنني سأرتدي حينها أرنبًا ورتديًا من أجل ذلك».

على الرغم من أننا كنا لا نملك جدارًا رابعًا حقيقيًا في الشقة، فإن «فريندز» كان يعكس دومًا ذلك الجدار الرابع مجازيًا. أقرب لحظة مع شون بين كانت عندما اقترحت مشهدًا (المشهد الأخير في الحلقة الذي يأتي بعد انتهاء أحداث القصة الرئيسية) والتي أرجعتني إلى المسرح ببدلة الأرنب. كان من المفترض أن يمر شون بجانبني فأقول له: «شون، هل يمكنني أن أتحدث معك؟». «طبعًا يا ماثيو، ما الأمر؟».

«حسنًا، كنت أفكر كثيرًا حول ذلك الأمر، وأعتقد أنك شخص جيد لأتحدث معه عن ذلك». أذخن بينما أقول تلك الجملة، ثم أطفئ سيجارتي بقدم الأرنب الذي ارتديه، وأقول: «أنا أتطلع لأن أنتقل في أدواري إلى أعمال درامية حزينة».

فينظر إليّ شون من أعلى إلى أسفل لمدة تعادل خمس نبضات قلبية، ويقول فقط: «حظًا سعيدًا». ضحكوا كثيرًا على ذلك في القراءة التدريبية. ولكنه سيكسر قاعدة لم نكسرها طوال عشر سنوات. حتى وإن كان هناك شخص بقدر شون بين وأنا الذي أبدو سخيفًا في بدلة الأرنب الوردية الكبيرة، فإننا لم نتمكن من كسر تلك القاعدة التي تخص الجدار الرابع. بل ظلت كما كانت، كما يجب أن تكون.

كل منا كانت له سنواته الخاصة في «فريندز» في الوقت الذي كان يتحدث فيه العالم عن شخصياته. كان الحديث عن ديفيد شويمر في الموسم الأول، ثم ليزا في الموسم الثاني، ثم في الموسمين الخامس والسادس أنا وكورتني كوكس، وبعدها جين (جينيفر) في الموسمين السابع والثامن، أما مات (الصديق الأكثر تطورًا) فكان الحديث عنه في الموسمين التاسع والعاشر. بعضهم حصل على جوائز إيمي على تلك المواسم وكان يجب أن نحصل على جوائز أكثر من ذلك، ولكن أعتقد أنه كان هناك تحيز ضد فكرة أن يكون هناك شباب أغنياء جذابون في شقة كبيرة جدًا في الواقع في نيويورك... باستثناء أنها لا تمتلك جدارًا رابعًا كما قلت من قبل.

في السنة الأولى، سنة ديفيد، جاء يومًا ما إلى غرفة تبديل ملابسني. كان يحمل ذلك التعبير الحزين على وجهه المعروف به في شخصيته والذي كان مضحكًا للغاية. كان أيضًا أول من صور إعلانًا فينا، وأول من تمت استضافته في برنامج The Tonight Show، وأول من اشترى بيتًا، وأول من حصل على عرض فيلمه الأول. كان الفتى الأكثر جاذبية في السنة الأولى حقًا. وقد كان مضحكًا بشدة.

في ذلك اليوم، جلس أمامي في غرفتي، وبدأ كلامه بـ«ماتي»، كنت أفكر أنه عندما نعيد التفاوض في عقودنا، يمكننا العمل على ذلك كفريق. يجب أن نتقاضى جميعنا الأجر نفسه». آنذاك كان أفضل من فينا كي يتفاوض في ذلك الأمر. لم أصدق ما قاله. لا داعي لقول إنني كنت أشعر بسعادة عامرة. كنت سعيدًا بشدة لأنني سأحظى بجزء من روحه الكريمة.

كان قرارًا أثبت أنه مريح للغاية في المستقبل. ديفيد كان في وضع يجعله يطلب أجرًا أكبر، ولكنه لم يفعل ذلك. كنت أود لو أعتقد أنني قد أقوم بالفعل نفسه، ولكن بالنسبة إلى شاب طماع في الخامسة والعشرين من

عمره، لست متأكدًا إذا كنت سأفعل ذلك. ولكن قراره خدمنا في أن نهتم ببعضنا بعضًا في مفاوضات مجهدة مع الشبكة صارت لا تعد ولا تحصى، وهو ما أعطانا قوة هائلة. وبحلول الموسم الثامن، كنا نجني مليون دولار بالحلقة الواحدة. وفي الموسم العاشر، كنا نجني أكثر، 1,100,040 دولار في الحلقة الواحدة، وكنا نطلب منهم أن يقللوا عدد الحلقات. كنا مغفلين. كان علينا أن نشكر حس ديفيد الطيب، وحسه المهني الذكي، الذي بسببه جاءنا عرض أكبر. أنا مدين لك يا ديفيد بحوالي 30 مليون دولار (كنا لا نزال مغفلين).

أن أصبح واحدًا من فريق عمل «فريندز» كان موقفًا خياليًا صارت أخباره تتوالى بشكل أفضل. ولكن وراء الكاميرا، لم تكن الأمور تجري على نحو جيد. في نهاية عام 1996، صرحت في مقابلي مع جاي لينو أنني أعزب. مواعدة جوليا روبرتس كانت تضغطني. كنت متأكدًا دومًا أنها ستفصل عني، ولماذا لا تفعل ذلك؟ لم أكن كافيًا لها، لا يمكنني أن أصبح كافيًا لها، كنت مجروحًا، وضعيفًا، وغير محبوب. لذا بدلًا من مواجهة قدرتي الأليم معها بأنني سأخسرهما، انفصلت عن الجميلة والرائعة جوليا روبرتس. ربما فكرت أنها ستشعر بوضع أقل من وضعها مع نجم تليفزيون، ولكن نجم التليفزيون هذا انفصل عنها الآن. لا أستطيع أن أصف ملامح الحيرة التي اعتلت وجهها.

قررت أن أذهب للسهر في جزيرة كيب كود مع الأخوين موراي. لم تكن لدي أي فكرة لماذا اخترت ذلك المكان، أو لماذا اخترت الأخوين موراي ليرافقاني. تخيلت أنه سيكون مكانًا جديدًا لأجرب فيه عدة بارات. ولكن هناك لاحظت أن شيئًا تغير، كانت هناك ديناميكية جديدة. أتت الفتيات وتحدثن معي، وبذلك انتهى عهد التودد للفتيات متوترًا مع محاولة إلقاء بعض الدعابات المتواضعة. كل ما فعلته هو الوقوف في زاوية ومعني مشروب فودكا تونيك الخاص بي وهن يأتين إليّ.

ومع ذلك، لم تكن أي منهن مثل جوليا روبرتس.

أقلعت عن الإدمان أكثر من خمس وستين مرة في حياتي، ولكن أول مرة كانت في عمر السادسة وعشرين. عادتي في تناول عقار الفيكودين بدأت في الدخول إلى منحني سيء. إذا شاهدتم الموسم الثالث من «فريندز»، بالتأكيد خفتم من شكلي النحيل للغاية بنهاية الموسم (فالمسكّنات الأفيونية تعبت بشهيتك، كما أنها تجعلك تتقيأ باستمرار). يمكنكم في الحلقة الأخيرة من الموسم الثالث أن تروا أنني كنت أرتدي قميصًا أبيض، وبنطالًا ذا لون بيج، وكلاهما يبدو أن أكبر من مقاسي بثلاثة أرقام على الأقل. (وقارنوا كذلك كيف كنت أبدو في نهاية الموسم السادس وبداية الموسم السابع؛ الحلقات الخاصة بخطبة تشاندلر ومونيكا. كنت أرتدي الملابس نفسها في الحلقة الأخيرة من الموسم السادس، والحلقة الأولى في الموسم السابع «واللتين من المفترض أن أحداثهما تدور في الليلة نفسها»، ولكن لا شك أنني فقدت 25 كيلوجرامًا بين الموسمين. كان وزني يتراوح بين 58 كيلوجرامًا إلى 105 كيلوجرامات طوال فترة «فريندز»).

يمكنكم متابعة رحلة إدماني إذا راقبتم وزني بين موسم وآخر؛ فعندما أكون سمينًا، يكون ذلك بسبب إدمان الكحول، وعندما أكون نحيفًا، يكون ذلك بسبب الأدوية المخدرة. وعندما كانت لديّ حية صغيرة «سكسوكة»، فوقتها تناولت الكثير من الأدوية المخدرة.

بنهاية الموسم الثالث، كنت أقضي أغلب وقتي في أن أتساءل كيف أتناول خمسة وخمسين قرصًا من الفيكودين يوميًا، كان عليّ أن أتناول خمسة وخمسين قرصًا كل يوم وإلا سأمرض. كان الأمر أشبه بوظيفة ذات دوام كامل: القيام ببعض المكالمات الهاتفية، الذهاب لبعض الأطباء، الادعاء بأنني أعاني صداعًا نصفياً، البحث عن ممرضات مرتشيات ليعطينني الجرعات التي أحتاجها.

أخذت وقتًا طويلاً حتى أدرك ما يحدث. في البداية، كنت أتناول حوالي 12 قرصًا باليوم، ثم أشعر بأعراض انسحاب في يوم آخر، كان شعورًا بشعًا. هناك خطب بي، هذا ما ظننته، ولكنني استمررت. سأكمل هذا الموسم من فريندز وسأذهب بعدها لتلقي العلاج.

وتقريبًا كدت أقتل نفسي بمثل هذا القرار، فإذا كان قد استمر ذلك الموسم شهرًا آخر، لما كنت حيًا الآن. لم أكن منتشيًا قط في أثناء العمل. لقد أحببت هؤلاء الناس بشدة؛ لهذا أردت أن أكون حاضرًا من أجلهم دائمًا. بالإضافة إلى أنني كنت لاعب القاعدة الثانية في فريق اليانكيز بنيويورك. ولكن الإدمان يوقظك قبل أن تقوم بذلك، ويطلبك وحدك. وإدمان الكحول يفوز دائمًا، بمجرد أن ترفع يدك وتقول: «لدي مشكلة» يأتي الكحول ويقول ساخرًا: هل ستقول شيئًا عن المشكلة؟ حسنًا سأرحل الآن، ولكنني سأعود. ولكنه لا يرحل أبدًا بنية طيبة.

سرعان ما حصلت على دور في فيلم Almost Heroes فيلم كوميدي بطولة كريس فارلي، وأخرجه كريستوفر جيست. دفعوا لي مقابل هذا الدور 2 مليون دولار. تم تصويره في أقدر جزء في شمال كاليفورنيا، هناك بالقرب من يوريكا. كان فارلي مرحًا بقدر ما يمكنكم أن تتخيلوا، ومع ذلك، كان إدمانه بالإضافة إلى إدماني يؤثران على قدرتنا في إنجاز تلك المهمة اللعينة. كنت أصور «فريندز» و Almost Heroes في الوقت نفسه، وكنت مرهقًا. وأقراص الدواء لم يعد مفعولها مثلما كان سابقًا. لذا كان عليّ أن أتناول عددًا معينًا من الأقراص كي أتجنب الإعياء طوال الوقت.

تأثر تناولي للطعام بالانشاء أيضًا، لذا لم أكن آكل على الإطلاق. ولأنني كنت أشعر بالإعياء طوال الوقت، لم أرغب في تناول الطعام، كنت أتقيأ باستمرار. كان ذلك لا بأس به في الخفاء، ولكنه لم يكن جيدًا وأنا أتحدث للمخرج كريستوفر جيست وسط الغابة. ستتقيأ خلال ثلاثين ثانية. لذا من الأفضل إيجاد عذر للاستئذان بالخروج وبسرعة. تقيأت وراء الأشجار، ووراء الصخور، وفي مراحل السيدات. سمعت من قبل عن أناس مدمنين يبحثون عن أقراصهم في قبيهم ليتناولوها مجددًا، ولكنني لم أستطع فعل ذلك قط. فقد كان لديّ ما يكفي من الأطباء في كشوف الرواتب، لذا نادرًا ما كنت محتاجًا هكذا. كان لديّ منشفتان بجانب مقعد المرحاض، واحدة لأمسح بها القيء والأخرى لأمسح بها دموعي. كنت أموت، ولم أستطع أن أخبر أحدًا بذلك.

ثم مات كريس فارلي. تطور مرضه وإدمانه بشكل أسرع من مرضي. (كما أنني كان لديّ تخوف يتعلق بالصحة من كلمة «هيروين»، خوف لم نتشاركه)، عندما علمت بالخبر، أحدثت ثقبًا في جدار غرفة تبديل ملابس جينيفر أنيستون. وكيانو ريفز لا يزال حيًا بيننا. كان عليّ أن أروج لفيلم Almost Heroes وحدي بعد أسبوعين من وفاته؛ وجدنتني أتحدث للعامة عن وفاته بسبب المخدرات والكحول.

كنت منتشياً طوال الوقت.

لم يعرف أحد، لا عائلتي ولا أصدقائي، لا أحد. كنت مريضاً بشكل لا يصدق طوال الوقت. حاولت الإقلاع عدة مرات، مرة أتوقف لثلاثة أيام، ومرة أتوقف لأربعة أيام. ولكنني عندما أتوقف أصبح حزيناً جداً ومريضاً بشكل يصعب تحمله.

في إحدى الليالي عدت إلى المنزل، كنت أحاول أن أفهم الجدوى مما يحدث لي، ذلك عندما جاءتني مكالمة من حبيبة سابقة.

قالت: «أعلم أنك لست على ما يرام. سأخذك للطبيب».

شعرت بالانهيار، وقلت لها كل شيء. لم أبك هذا القدر في حياتي. السر لم يعد سراً. هناك من يعرف.

ذهبت إلى الطبيب في اليوم التالي. أخبرني أن أتوجه لمصلحة هيزلدين. قال:

«لديهم بحيرة كبيرة هناك»، فترجمت الكلام كالآتي: إنها في ولاية مينيسوتا؛ قريبة بما يكفي من كندا. على

الأقل سأشعر أنني بوطني في هذا الجو القذر.

ولكنني خفت لدرجة الجنون. الأمر أصبح حقيقة. كنت في طريقي إلى دار إعادة التأهيل، وأنا أبلغ السادسة والعشرين فقط من عمري.

ذهبت إلى هيزلدين لأتخلص من سموم الأقراص، ولم أصل إلى أي شيء.

كان من المقرر لي قبل أن أسافر إلى ولاية مينيسوتا أنني سأمر بديتوكس سريع، عملية التخلص من السموم. في الديتوكس السريع، يقومون بطرد السموم منك لمدة يومين أو ثلاثة أيام، ثم يملأون جسدك بمضادات المسكنات الأفيونية. وفي النهاية، من المفترض أنك قد تعافيت الآن. (بالمناسبة، أعرف الآن أن كل هذا لم يجد نفعاً، ولكنه لا يزال أسلوب يتبع في العلاج).

قمت بعملية الديتوكس السريع ثم توجهت إلى هيزلدين، ولكن بمجرد وصولي، شعرت بالموت. ما يقولونه عن ديتوكس المسكنات الأفيونية أنها لا يمكنها قتلك، ولكنها تجعلك تتمنى لو كنت ميتاً. (الديتوكس القاتل بحق هو الكحول، وعقار البنزوس). كنت في غرفتي في هيزلدين، وكنت مريضاً بشدة، أركل ككلب لعين، أرجلي وأذرعني تتشنج وترتعش في رعب شديد. كنت أتوسل باستمرار من أجل بعض الراحة، لكن كان الرد الوحيد دائماً «لقد قمت بالديتوكس، لذا استرخ وحسب».

ولكنني لم أتعرض للديتوكس بعد، كل ما هنالك أنني انتقلت من مرحلة تعاطي 55 قرصاً من الفيكودين في اليوم إلى لا شيء، كنت في انسحاب تام. أصبحت ما يسمى بـ«السائر بجانب الحائط»؛ كلما أردت أن أتحرك بضع خطوات، كان عليّ أن أتمسك بأقرب حائط.

أعلم الآن أنني إذا لم أقم بالديتوكس السريع، كنت سأتناول شيئاً ليخفف العذاب، ولكنهم ظنوا أن جسدي تعرض للديتوكس، لذا قاموا بذلك. الانتقال من خمسة وخمسين قرصاً إلى لا شيء يثبت أنني شخص قوي لعين على ما أظن، ولكن ذلك لم يكن سوى صورة مبسطة من الجحيم.

خلال عشرة أيام من إقامتي، كنت أحضر جلسات جماعية عندما تصبح الأمور مضطربة قليلاً. قيل لي إنني ظللت أقول: «أنا بخير، بخير تماماً»، لكنني لم أكن بخير. كانت تربيتي في فترة طفولتي - بحيث لا

يمكنني أن أكون فتى سيئاً - تعتمد على أن أكون قوياً جداً على ما أعتقد حتى في أثناء حدوث نوبة صرع كبيرة، يجب ألا أنهار.

عنها أفقت من نوبة الصرع، عدت إلى غرفتي، وقد تجمع الطاقم بأكمله مذعورين. قلت وأنا لا أعلم ما الذي حدث، وما زلت حائراً تماماً: «يا إلهي، لا أصدق يا رفاقي أنكم جئتم لزيارتي في كاليفورنيا. هذا لطيف جداً!».

قال أحدهم: «أنت لست في كاليفورنيا، أنت في مينيسوتا. وقد انتابتك نوبة صرع». بقيت هناك لمدة أسبوعين آخرين، وبنهاية إقامتي، شعرت أنني مدير المكان، وكأني مالك المكان. وكى أديره ببساطة، عليّ أن أأقلد مايكل كيتون في فيلم Clean and Sober.

ازداد وزني مع أنني كنت لا أزال صغيراً على ذلك، ولعبت بعض التنس، وتوقفت عن تناول الأقراص. ولكن في داخلي كنت أعلم أنني سأعود للشرب مجدداً. بمجرد أن شعرت بتحسن، عدت إلى كاليفورنيا، لم أعد إلى طبيعتي، بل شعرت أنني لا بأس بي. كما ذكرت، لم أفهم تماماً مشكلتي وماذا أصابني. ولم أكن أعرف بعد اجتماعات التعافي لمدمني الكحول، أو كيفية عيش حياة الإقلاع عن الكحول والمخدرات، تخلصت من إدمان الفيكودين وحسب. بالنسبة إلى من يشاهد منكم «فريندز»، كان ذلك في بداية الموسم الرابع، أفضل هيئة لي في المسلسل. لم أكن الأفضل بما يكفي لجينيفر أنيستون أيضاً، ولكن، اللعنة، كنت أبدو في أفضل حال.

في كاليفورنيا، بقيت هناك لمدة ثمانية وستين يوماً ثم احتسيت مشروبي الأول، كانت حجتي أن الكحول لم يكن هو ما كاد يقتلني، بل إن المسكنات الأفيونية هي ما فعلت ذلك. لكن الفودكا كانت تملأ ثغراتي وحسب، وبها أن الثغرات ظلت كما هي، كان لا بد من وجود شيء يملأها. لم أترك ليلة إلا وشربت فيها حتى عام 2001.

ربما كانت الفترة التي سبقت إقامتي في هيزلدين أفضل عام في حياتي، أفضل عام يمكن لأي شخص أن يتمناه. لم تتلاش مباحج الشهرة بعد، على الرغم من أنني لو مت بعد تلك الفترة، لكانوا قد كتبوا على شاهد قبوري: هنا يرقد ماثيو بيري، الذي انفصل عن جوليا روبرتس، أو هل يمكن أن أكون أكثر غباء وفناء عن ذلك؟

في عام 1999، أغرمت بامرأة كنت أعمل معها في فيلم (بدأ يصبح لدي رقم قياسي في الوقوع في حب المشاهير من النساء، مثلما حدث مع أمي في كندا). تلاشت كل الحدود بيننا، وكنت على طبيعتي... ولكنها لاحقاً اختارت شخصاً آخر لتقع في حبه.

تمكنت من الحصول على معظم من رغبت فيهم، ولكن تلك المرة آلمتني. وهو ما يثبت حقيقة وهي: إذا استطعت أن أنال حب إحداهن، يجب أن أتركها قبل أن تتركني، لأنني لست كافياً، ولأنني سيتم اكتشاف حقيقتي، ولكن عندما أرغب في أحد ولا يختارني، فإن هذا يؤكد حقيقة أنني لست كافياً، وأن حقيقتي كشفت. يفزن بوجه الملك، وأخسر أنا بوجه الكتابة. على كل حال، حتى يومنا هذا، إذا ذكر لي أحدهم اسمها، تضطرب معدتي. فالخوف الذي كان يطاردني في كل دقيقة أعيشها يعود مجدداً. كما أنها ذكرت

مشكلة إدماني للكحوليات، وهنا جاء تأثير سلبي آخر للإدمان. قد تظن أن أمرًا كهذا سيرجع المدمن عن إدمانه، ولكنه في الحقيقة جعل الأمر أسوأ. أشعلت شموعًا في منزلي بأكمله، وشربت، وشاهدت فيلمي معها، معذبًا نفسي، وحدي، مكسور القلب، محاولًا أن أتخطى الأمر، لكن بمزيد من الفشل. كنت منتفخًا من شرب الكحول، وشكلي مروغًا لدرجة خطرة.

أتذكر أنني عندما كنت في الصف التاسع في أوتاوا، كان مايكل ج. فوكس، الممثل الكندي الأمريكي، يعرض له فيلم ومسلسل تليفزيوني احتلا المرتبة الأولى في المشاهدة في الوقت نفسه. حتى وأنا في عمر الرابعة عشرة، كان الغيظ والحقد يخرجان من أذني. لاحقًا، صرحت لصحيفة ذا نيويورك تايمز: «إنك تريد الاهتمام، وتريد المال، وتريد أفضل مقعد في المطعم». ثم مر الزمن مسرعًا حتى الفترة الفاصلة بين الموسمين الخامس والسادس من «فريندز»، وجدت نفسي أصور فيلم The Whole Nine Yards، وبالتأكيد نال الفيلم المرتبة الأولى فور عرضه في أوائل عام 2000، وكذلك كان الحال مع المسلسل الذي نال المرتبة الأولى. ماذا عني؟ كنت أتعاطى آنذاك أقراصًا كثيرة لدرجة تجعلني لا أبرح غرفتي. لذا إذا كنت تظن للحظة أن ماثيو بيري يقضي وقته في الاحتفال بكونه حديث المدينة، فالحقيقة أنني كنت وقتها فقط أتعامل مع مروجي المخدرات، وأعيش في غرفة مظلمة يملؤها البؤس.

في عالم الطبيعة، عندما يُجرح طائر بطريق، تهرع مجموعة البطاريق حوله وترفعه وتساعدته حتى يصبح أفضل. هذا ما فعله زملائي في «فريندز» معي. كانت هناك أوقات في الإستوديو أعاني فيها آثار الثمالة، وكانت جينيفر وكورتني تكرسان أنفسهما لنظام تمارين الآلات وكأنها علاجها لكل شيء، لذا كانت لديهما دراجة تمارين في الكواليس. كنت أذهب إليها بين التحضيرات والتصوير، وأتمرّن عليها وكأن نيران الجحيم تطاردني، كنت أفعل أي شيء من أجل أن يعود عقلي لرشده ولوضعه الطبيعي. كنت طائر البطريق الجريح، ولكنني كنت عازمًا على ألا أخيب آمال هؤلاء الأشخاص الرائعين، وألا أتسبب في أذى للعمل.

لكن الإدمان ظل يدمرني، ذات مرة كنا نصور مشهدًا في المقهى⁽²⁰⁾، وغفوت تمامًا على الأريكة مرتديًا بذلتي، ولكن الكارثة مرت بسلام فقط عندما لكزني مات لوبلانك لأستفيق قبل إلقائي لجملتي، لم يلحظ أحد، لكنني أدركت أن دوري قد اقترب. ولكنني دائمًا ما كنت أذهب مستعدًا، وأحفظ نصوصي وأنجح في إلقائها.

ثم أصبت بالتهاب البنكرياس، كنت أبلغ من العمر ثلاثين عامًا.

حدث ذلك في الفاصل بين الموسمين، كنت وحيدًا مجددًا، ولم يكن هناك أي شيء لأقوم به؛ لا يوجد فيلم أصوره، لا شيء، مجرد وقت بطيء، سيئ للغاية، يمر من جبال لوس أنجلوس ذاهبًا نحو حدود البحر اللامتناهية. قضيت شهرًا بالمنزل أشرب الكحوليات، وحدي، حتى أتمكن من الاستمرار في الشرب، أشرب، وأظل وحدي (كما وضحت من قبل، إدمان الكحوليات سيرغب فيك وحدك). كنت أشاهد فيلم Meet Joe Black بتكرار، رغم أن الفيلم كان يتحدث عن شخصية ديث «التي تعني الموت» والتي تمثلني، يحاول أن يتفهم ما هو الحب. فيلم مثالي. إلا أنني كنت أشعر أن جو بلاك يمثلني مع السؤال المتكرر: «ماذا

سنفعل الآن؟». كنت مثل شخصية ديث؛ أشاهد الفيلم، وأشرب، وأغفو، ثم أستيقظ، وأشاهد ذلك الفيلم، وأغفو مجددًا.

ثم فجأة، شعرت بسكين يغرس في بطني، شعور أشبه بذلك. اخترق السكين الغشاء، ثم التوى قليلاً، وطاردت حافته المسننة الأوردة، ثم جعل دمي يصل إلى الغليان وأكثر من ذلك. وبينما ذاك السكين يغرس أكثر وأكثر، سمعت نفسي أصرخ في ألم، وكأني حيوان يُمزق إربًا في الجبال. اتصلت بمن كانت وقتها حبيبتي نوعًا ما، الرائعة جايمي تارسيس، وتمكنت من أن أقول لها: «هناك خطب ما».

كانت جايمي ملاكًا من السماء، قادت سيارتها متجهة إلى منزلي، ووضعتني في السيارة، وقادتني إلى أقرب مستشفى. صرخت في قسم الطوارئ قائلاً: «نظفوا معدتي! نظفوا معدتي!».
حدق في الطبيب وقال:

«لا أحتاج لتنظيف معدتك، هذا ليس تسممًا من الطعام».

انتحيت قائلاً: «إذا ما المشكلة بحق الجحيم؟».

«لديك التهاب البنكرياس، أمر لا تصاب به إلا من شرب الكثير من الكحوليات».

في الواقع، هناك عدة أسباب لالتهاب البنكرياس، يمكن أن يكون لديك مرض مناعي ذاتي، أو عدوى، أو حصوات في المرارة، ولكن في الغالب تصاب بذلك الالتهاب بسبب شرب طن لعين من الكحوليات. التهاب البنكرياس في سن الثلاثين هو أمر نادر الحدوث. يا لفرحتي! رقم قياسي جديد.
قلت: «تبا، لا، أنا لا أشرب كثيرًا...». قد يجلب ذلك العار لي، قد أصبح في حالة إنكار. أعتقد أنه من الصعب التفريق بينهما. أيًا كان ما كنت أعانيه، جعلت جايمي تعيدني إلى المنزل.

بعد مرور حوالي ساعة في منزلي، علمت أن هناك خطبًا جديدًا خطيرًا، لذا ذهبنا تلك المرة إلى مستشفى آخر، ولكنني حصلت على الإجابة نفسها.

مكثت هناك لثلاثين يومًا وليلة، متغذيًا بالسوائل عن طريق الوريد (الطريقة الوحيدة لعلاج التهاب البنكرياس هو أن تدعه وشأنه تمامًا، وهو ما يعني ألا أكل أو أشرب لمدة ثلاثين يومًا). وفي كل ليلة كنت أنام، وبجانبي جايمي تارسيس - إذ طلبت نقل سرير لها - لذا كنت أستيقظ وأجدها بجانبي (ما زلت أؤمن أن جايمي كانت رسولًا من السماء، وأن لا أحد منا استحقها، أعلم أنني لم أستحقها). كنا نشاهد مسلسل The West Wing مرارًا وتكرارًا بينما أدخن، نعم دخنت في غرفتي في المستشفى. كان زمنًا مختلفًا، أو لأنني كنت مشهورًا جدًا آنذاك فلا يهمني شيء. لكن حدث أن ضبطوني وطلبوا مني التوقف. كنت محبطًا، لذا سجلت الخروج من المستشفى، ودخنت سيجارة، ثم عدت مرة أخرى.

استغرق مني الأمر لتوصيل الغذاء بالأنبوب مجددًا سبع ساعات، كان الأمر يستحق العناء.

لتسهيل الألم، أوصلوني بإكينة تضخ لي جرعات معتدلة من عقار يدعى ديلوديد. إنه مسكن أفيوني يغير علاقة عقلك بالألم، فقط لو تعاطيته بشكل إنساني. ولكنني أحببت هذا العقار، كان عقاري المفضل الجديد. كنت لأمكث في ذلك المستشفى لمائة يوم إذا استمروا في إعطائي ذلك الدواء. طوال الثلاثين يومًا، كانت

جايمي بجانبني، كنت منتشياً وسعيداً، خصوصاً عندما وقعت عقد الموسمين السادس والسابع في «فريندز»، العقد الذي أدين به لديفيد شويمر وحبه للغير وفكرته البارعة، الذي كان يمنحني خمسين مليون دولار. مضيت ذلك العقد وأنا متصل بأنبوب تغذية في ذراعي، يُضح فيه عقار الديلوديد ليتشر في عقلي. ولكن طلبت دوماً من الأطباء بشكل واضح المزيد من ذلك العقار السحري. قال الطبيب: «أنت بخير. لقد تعافيت من التهاب البنكرياس، ويجب أن تعود إلى المنزل، غداً». «هل تقصد أنكم لن تعطوني الديلوديد الليلة؟».

«لا، لن نفعل هذا».

بطريقة ما، نجوت من تلك الليلة، ولم يعلم أحد ما يمكن فعله من أجلي. ثم دخل أبي مسرح حياتي من جهة اليسار، فليباركه الرب، إذ عرض عليّ أن أعيش معه ومع عائلته في أوجي، وهي بلدة في شمال غرب لوس أنجلوس.

قال: «تعال، وعش معنا، ويمكنك حضور بعض جلسات المدمنين، لتعد طبيعياً». كان عرضاً مقبولاً، مع عدم قيامي بأي شيء آخر، عدت إلى منزلي في تشيلان واي في هوليوود هيلز لآخذ بعض الأغراض. كنت متعافياً من الكحوليات، ولكنني كنت أتعاطى الديلوديد لمدة ثلاثين يوماً، لذا كنت أشعر قليلاً أنني محروم منه. انتظرتني جايمي حتى حزمت حقيبة، ثم تبعتها بسيارتي البورش الخضراء، في طرق متعرجة على التلال. وبينما اتجهت شمالاً لمنطقة تشيلان درايف، كانت هناك شاحنة بريد سريع في منتصف الطريق متجهة نحوي، لذا انحرفت وضغطت على الفرامل، ولكن السيارة اصطدمت ببعض العشب، وأكملت السير، قادت السيارة حتى السلام المفضية إلى منزل ما وإذا بالسيارة تدمر السلام، ودخلت المنزل بالسيارة حتى غرفة المعيشة. لحسن الحظ، لم يكن هناك أحد بذلك المنزل، ولكن السيارة تدمرت بالكامل، تماماً مثل السلام.

السلام اللعينة مجدداً.

فعلت الصواب، وانتظرت قدوم الشرطة. ظللت أنظر إلى السماء، أتساءل متى سيهبط ذلك السندان على رأسي مثل الرسوم المتحركة. انتظرت هناك لفترة تكفي لشخص ما أن يلتقط لي صورة ويبيعها لمجلة People؛ سيارتي تخرق منزلاً بينما أنا في طريقي لأوجي للبقاء مع والدي.

كأنني أبلغ الخامسة عشرة مرة أخرى، أعيش مع والدي في كاليفورنيا. تأتيني سيارة لتقلني يومياً لأصور «فريندز». لكنني لم أنتظر كثيراً حتى بدأت في تعاطي الفيكودين مجدداً، ثم عدت للشرب اللعين، وأعجبتني مجدداً. «الواقع هو ذوق مكتسب»، هكذا قال المعالج، وقد فشلت في اكتسابه. كنت أدخل المخدرات والكحوليات لمنزل والدي خلسة، وكانت زوجته غاضبة جداً لدرجة أن والدي اقترب مني في النهاية بهدوء وطلب مني الرحيل.

أوه، سأذهب ولكنكم لن تروا سنتاً من مالي أبداً. هكذا فكرت، ولكنني لم أقل هذا. عدت مرة أخرى من أجل الموسم القادم من «فريندز»، منتشياً وشاعراً أنني عالٍ مثل طائرة ورقية، والجميع كانوا يعلمون وقتها أنه يجب أن يفعلوا شيئاً من أجلي.

سمعت من قبل عن الميثادون، وهو دواء شراب يعد بالتخلص من إدمان خمسة وخمسين قرصًا يوميًا من الفيكودين في يوم واحد بمجرد تناول جرعة قليلة. لكن النقطة المهمة وراء ذلك فقط هو أنه يجب أن تتناول تلك الجرعة القليلة كل يوم، وإلا ستشعر بأعراض انسحاب قوية. فكر عقلي اليائس: يبدو جيدًا بالنسبة إليّ. تناولت الدواء على الفور، وكنت قادرًا على مواصلة العمل في «فريندز» في اليوم التالي، كان ذهني حاضرًا وحادًا كالسيف.

قيل لي إن الميثادون ليس له أعراض جانبية. وهو ما كان ليس حقيقياً. ففي الواقع، لقد كانت بداية النهاية. بخلاف ذلك، كل شيء آخر كان يسير على ما يرام. «فريندز» لا يزال يحقق نجاحًا ساحقًا. ثم جاء شخص آخر من أفراد العمل لغرفتي، لم يكن ديفيد هذه المرة، ولم تكن أخبارًا جيدة. قالت: «أعلم أنك تشرب».

كنت قد تخطيت ذلك الأمر منذ فترة طويلة - خاصة منذ أن بدأت تواعد براد بيت، كان الأمر على ما يرام بالنسبة إليّ - وحددت بالضبط المدة التي يجب أن أنظر إليها فيها دون أن يكون الأمر غريبًا، ومع ذلك، المواجهة مع جينيفر أنيستون كانت تشعرني بالانهيار. كنت حائرًا.

قلت: «كيف عرفتِ؟» فأنا لم أعمل وأنا ثمل على الإطلاق. «لقد عملتُ على محاولة إخفاء ذلك...». قالت: «يمكننا تشمم الأمر» قالت ذلك بطريقة ودودة وغريبة في الوقت نفسه. كما أن ضمير الجمع «نا» صدمني وكأنني ضربت بمطرقة ثقيلة.

قلت: «أعلم أنني أشرب كثيرًا، ولكني لا أعلم بالتحديد ماذا يجب أن أفعل حيال ذلك». أحيانًا لا أشعر أنني بخير كي أقود سيارتي إلى موقع التصوير (لم أعمل أبدًا وأنا ثمل ولكني عملت بالتأكيد وأنا أعاني آثار الثمالة)، كنت أطلب ليموزينًا، وهو ما يثير ريبة البعض حين يرون ذلك، دعوني أصرح لكم بذلك. الجميع كان يسألني إذا كنت بخير، ولكن لم يرد أحد أن يوقف قطار «فريندز» لأنه ببساطة كان ماكينه أموال، وهو ما جعلني أشعر بشيء مروع حيال ذلك. أكبر مصادر فرحتي أصبح أكبر مصدر لكوابيسي؛ كنت قريبًا من أن أفسد ذلك العمل الرائع.

في النهاية، صار لدي رفيق في العمل مقلع عن الإدمان هو أيضًا، ولكن الأمر لم يساعدني. في أحد الأيام، أخذت نوعًا من الدواء، وكنت قد شربت في الليلة السابقة، فظهرت كل الأعراض معًا في أثناء التحضير أمام الجميع. ولكن كانت هناك مسألة معقدة هنا: كنت ثملًا للغاية وأنا لا أدري ذلك، لذا لم يكن لدي ما أخفيه. لم أعلم أنني في حالة يرثى لها، ولكني كنت أقول كلامًا غير مفهوم. الجميع لم يتمكنوا من فهم أي كلمة تفوهت بها، وأنا لا أدرك ذلك.

مرة ثانية، عدت إلى غرفتي وكان جميع من يعمل في المسلسل هناك.

قالوا: «ماتي، كيف ستعامل مع ذلك الأمر؟».

«إنه العلاج. سأصلح كل ذلك. أنا آسف».

لم أشرب شيئًا في تلك الليلة، وذهبت للعمل في الصباح التالي ولكن كان موقفني حرجًا.

اتصلت بمدير أعمالي.

قال: «نعم، الكل يجتمع عليك الآن».

كل من كُتاب المسلسل، وطاقم العمل - تَبًّا للجميع - علموا بالأمر، لذا قلت له: «يجب أن تأتي إليّ بعرض فيلم. حالاً. أخرجني من هنا».

من جديد، كنت أفكر في الانسحاب الجغرافي، أن أغير مكاني كوسيلة للإلهاء. ما زلت أعتقد أنه إذا أخرجت نفسي من الموقف الذي كنت فيه، فسأكون قادرًا على الإقلاع عن جميع المخدرات والشرب والخروج للقتال. (كل ما فعلته هو أنني كنت ضاعفت حجم العمل ثلاث مرات فتضاعف حجم الشرب وتعاطي المخدرات) فأينما توجهت، ستكون كما أنت. وهو ما يذكرني بالوقت الذي كنت أتوسل فيه لمدير أعمالي لأن أحضر أي حلقة تجريبية فحصلت على دور مسلسل L.A.X. 2194. كنت في موضع يمكنني من الحصول على حلقات تجريبية، وبالتالي أحصل على مال كافٍ لأحتسي المشروبات في الفورموسا. أما الآن، ومع دخول القرن الجديد، يمكنني الحصول على فيلم وقتها أردت. لذا تم تصوير فيلم Serving Sara في دالاس، ولا أعلم لماذا فكرت أن ذلك مكان مناسب للإقلاع...

Serving Sara كان فيلمًا سيئًا، ولكن ما جعله أسوأ هو هيئتي فيه.

كنت في هيئة بشعة، وكنت مفرطًا في أدائي وأعمل كثيرًا. عملت أربعة أيام في الأسبوع في الفيلم، ثم سافرت بطائرة خاصة إلى لوس أنجلوس لأكمل العمل في «فريندز». كان معي على متن الطائرة زجاجة ماء مملوءة بالفودكا، أشرب منها بشكل متواصل وأنا أقرأ السيناريو الخاص بي. (في الواقع، إذا كنتم تقومون بمهام عادية في المنزل، فأنا كنت أتعاطى الميثادون، وزاناكس، والكوكايين، وربع جالون من الفودكا باليوم الواحد). في أحد الأيام، ذهبت إلى دالاس لأمثل مشهدًا واكتشفت أننا صورناه بالفعل منذ عدة أيام. الأمور كانت خارجة عن السيطرة.

أما بالنسبة إلى جايمي تارسييس، الجميلة، والعطوفة، والرائعة، فقد سافرت إلى تكساس وكانت مرضتي في الأساس، كنت لا أزال أشرب وأتعاطى كل المخدرات، وأخفي كل هذا عنها. وفي إحدى الليالي، كنا نشاهد التلفزيون، واستدارت نحوي وقالت: «تبدو وكأنك ستختفي».

وهنا انفتح الباب، جزء بسيط، لكنه انفتح على كل حال.

همست لها: «لا أريد الاختفاء. توقي عن ذلك».

اتصلت بمدير أعمالي، وبوالدي، والجميع.

قلت: «أنا متعب تمامًا، أحتاج إلى مساعدة. أريد الذهاب إلى دار إعادة تأهيل».

ثم توقف إنتاج Serving Sara، وهو ما كلفني لاحقًا 650 ألف دولار. لكنه ثمن بسيط مقابل إنقاذ حياتي. كما تم تأجيل مشاهدي في «فريندز». وذهبت لأعالج تلك المرة في مركز لطررد السموم في مارينا ديل راي، في الجانب الغربي من لوس أنجلوس. كنت أشبه بسيارة تسير بسرعة مائتي ميل في الساعة، ثم اصطدمت بحائط، سيارة بورش خضراء تصطدم بسلام. (اللعنة على السلام اللعينة).

في أول يوم لي هناك، قيل لي: «اذهب إلى غرفتك، لن تأخذ أي أدوية أخرى».

ولكن ما فهمته هو:

«اذهب إلى غرفتك، ولا تتنفس مجددًا»
«ولكنني يجب أن أتتنفس كي أتمكن من العيش»
«لا، لقد فعلها الناس من قبل. دخلوا هناك وتوقفوا عن التنفس».
هكذا بالضبط كان شعوري.

قضيت شهرًا هناك. في إحدى الليالي في أثناء إقامتي، كنت أدخن سيجارة، وكان الجو ممطرًا، والمصباح الكهربائي يتأرجح في قسم المدخنين. قلت بصوت عالٍ: «هذا هو الجحيم. أنا في الجحيم».
كان ذلك في دليل راي عندما التقطت في النهاية كتاب The Big Book of Alcoholics Anonymous بعد حوالي ثلاثين صفحة، قرأت: «هؤلاء الرجال لم يشربوا من أجل الهروب، بل كانوا يشربون للتغلب على الرغبة الشديدة الخارجة عن سيطرتهم العقلية».

أغلقت الكتاب وشرعت في البكاء. بمجرد أن أفكر في الأمر الآن أبكي. كنت وحيدًا. وهناك مجموعة كبيرة من الناس فكروا بالشكل نفسه مثلي. (وقد كتب ويليام سيلكورت ذلك في 27 يوليو 1938). لقد كانت لحظة رائعة ومروعة في الوقت نفسه. فما يعنيه هذا السطر هو أنني لن أكون وحدي مرة أخرى. هذا يعني أيضًا أنني كنت مدمنًا للكحوليات ويجب أن أتوقف عن الشرب وتعاطي المخدرات في الوقت الحالي، وفي كل يوم، يومًا بيوم، لبقية حياتي.

قال الناس في مارينا ديل راي: «هذا الرجل عنيد. ثلاثون يومًا لن تجدي من أجله. يحتاج علاجًا على المدى الطويل». لذلك، أرسلوني من هناك إلى دار إعادة تأهيل ماليبو، حيث قضيت أول اثني عشر يومًا لا أنام على الإطلاق. كانت إنزيمات الكبد عالية جدًا عن المعدل الطبيعي. لكن بعد حوالي ثلاثة أشهر بدأت في التحسن، شاركت في المجموعات و«أديت العمل» كما يقولون.

كنت أعيش في دار إعادة التأهيل عندما تزوجت مونيكا وتشاندر. كان ذلك في 17 مايو 2001. قبل شهرين، في 25 مارس 2001، كنت أخضع للديتوكس ذات ليلة عندما قررت الإدارة منحنا راحة طوال الليل لمشاهدة جوائز الأوسكار. كنت مستلقيًا هناك، أتعرق وأرتجف، ممتلئًا بالخوف، بالكاد أستمع، عندما صعد كيفن سبيسي إلى المنصة وقال بصوته الرخيم:

«المرشحات لجائزة أحسن ممثلة في دور رئيسي هن:

جوان ألين، عن فيلم The Contender

جوليت بينوش، عن فيلم Chocolat

إلين بورستين، عن فيلم Requiem for a Dream

لورا لينني، عن فيلم You Can Count on Me

و

جوليا روبرتس، عن فيلم Erin Brockovich».

ثم قال:

«والأوسكار تذهب إلى... جوليا روبرتس!».

شاهدت جوليا وهي تقبل حبیبها آنذاك، الممثل بنجامين برات، ثم صعدت الدرجات لتستلم جائزتها. قالت: «شكرًا، شكرًا جزيلًا لكم. أنا سعيدة للغاية...». بينما تلقي خطابها، ارتفع صوت في تلك الغرفة في دار إعادة التأهيل، سريعًا، حزینًا، رقیقًا، غاضبًا، متوسلاً، مليئًا بالشوق والدموع، يجادل الكون بينما الرب ينقر بهدوء بعضاه على العالم القاسي البارد. أطلقت دعابة.

قلت: «سأستعيدك... سأستعيدك».

ضحكت الغرفة بأكملها، على الرغم من أن هذا لم يكن جملة مضحكة في سبت كوم. بل صار أمرًا واقعيًا. لم يعد هؤلاء الناس في التلفزيون عشيرتي. لا، بل الناس الذين أرقد أمامهم، مرتجفًا، مغطى بالبطانيات، هم عشيرتي الآن. كنت محظوظًا لأنهم معي. هم من كانوا ينقذون حياتي.

في ليلة جوليا روبرتس الكبيرة في هوليوود، تحركت بصعوبة نحو السرير، وحدقت في السقف. لم يأتي النوم في تلك الليلة. مجرد أفكار تتصارع في رأسي وكأن أحدهم أطلق رصاصة في علبة صفيح. تلك الشاحنة الزرقاء، قمة الجبل تلك. اختفت كل الشاحنات الزرقاء، وكل قمم الجبال، اختفت مثل الأثير وسط ضباب الخوف. كنت سعيدًا جدًا من أجلها. أما بالنسبة إليّ، كنت ممتنًا لأنني عشت ليوم آخر. عندما تكون في القاع، تكون الأيام ثقيلة.

لم أكن بحاجة إلى أوسكار، كنت بحاجة لأن أعيش يومًا واحدًا جديدًا فقط.

يقصد مقهى سنترال بيرك الشهير في أحداث مسلسل «فريندز» (المترجمة).

فاصل فجوات

الإدمان مثل الجوكر. إنه يريد أن يرى العالم بأكمله يحترق وحسب.

بروس ويليس

بعد ثلاثة أسابيع طويلة في دار إعادة التأهيل، شعرت بتحسّن. وقفت على قدميَّ مجددًا، وكنت متحمسًا جدًّا لأن أعيش حياة لا تتحكم بها الكحوليات والإدمان. توقفت عن الشرب، وتعاطي المخدرات. اختفت شهيتي نحوهما. كان هناك شيء أكبر مني بكثير يملك زمام الأمور الآن، المعجزات تحدث بالفعل.

أول خطوة قمت بها هي أنني قدت سيارتي إلى منزل جايمي تارسيس. قلت لها: «أنا بحاجة إلى وقت لأتعاش مع حقيقة أنني تعالجت من الإدمان، وهو ما سيستنفد كل وقتي، أنا في غاية الشكر لكل الأشياء الرائعة التي فعلتها من أجلي». رأيت وجهها يفقد لونه.

أكملت: «ولكني... لا أستطيع أن أكون في علاقة الآن».

لأكون واضحًا: من أجل إعطاء جايمي الجميلة والرائعة حقها بشكل مناسب - فقد أهدتني لمدة عامين وقتًا ثمينًا، متخلية عن أشياء كبيرة من حياتها المزدحمة والمهمة للغاية لتكون ممرضتي - أنهيت علاقتنا. كانت جايمي تارسيس من أكثر الشخصيات سحرًا وجمالًا وذكاءً... يا إلهي، ذكية جدًّا. أحببت الطريقة التي يعمل بها عقلها. فانفصلت عنها. وهو ما يثبت أن إقلاعي عن المخدرات والكحوليات لم يجعلني أكثر ذكاءً، في الواقع ربما جعلت مني أحمق كبيرًا. ربما كانت جايمي أكثر شخص رائع قابلته على الإطلاق، وقد أحببتي. لكنني لم أكن مستعدًا لذلك.

ما قلته لجايمي في ذلك اليوم كان هراء بالطبع. كنت متعافيًا جديدًا، وكنت نجيًا كبيرًا، وأردت أن أقيم علاقة مع كل فتاة عزباء في جنوب كاليفورنيا.

وهو ما فعلته. (ضع هنا صورة مطرقة مثل التي في الرسوم المتحركة وهي تهبط على رأسي). بسبب تلك النجومية الضخمة التي حظيت بها، لم أواجه مشكلة في الحصول على المواعيد الغرامية. وهذه هي الطريقة التي فتحت بها الموضوع مع كل واحدة منهن. «أهلاً، أعتذر عن التأخير».

«بالمناسبة تبدين في غاية الجمال، أنا متحمس للغاية أنني أخيرًا قابلتك» (أصمت منتظرًا ردها المناسب). «لا أرغب في أن يتم فهمي بطريقة خاطئة» وأكمل: «أريد أن أكون صريحًا وواضحًا قدر الإمكان. أنا كتاب مفتوح، أسأليني عن أي شيء، وسأقول الحقيقة».

وأشارك المزيد من الدفء؛ في يوم جيد، قد تومئ لي، وتحب شفائتي، ولمستي العاطفية، ورقتي في تلك المشاركة اللطيفة.

ثم ألقى بالمطرقة.

«لا أعلم ما الذي تتطلعين إليه، ولكن إذا كنت تتطلعين إلى ارتباط عاطفي، لست الرجل المناسب»
(وأتوقف حتى تصل الجملة وتستقر).

ثم أكمل: «لن أتصل بك يومياً، ولن أكون حبيبك، ولكن إذا كنت تتطلعين إلى الاستمتاع قليلاً، أنا هنا.
الرجل المناسب».

لقد كانت سيندي لوبر، المغنية وحكيمة القرن العشرين العظيمة، محقة عندما قالت إن «الفتيات في الواقع يردن الاستمتاع»⁽²¹⁾. وفي حالة أن رسالتي لم تكن واضحة تماماً لهن، كنت أضيف بعض الملح لحسائي الذي أعدده بعناد لأغرفه لهن.

«أنا شخص شغوف جداً»، أقولها بقليل من الخجل، في حال ظنت أنني أحتج كثيراً. «في الحقيقة، أنا رومانسي إلى حد ما. حتى عندما أتمرن على عجلة التمارين، كل ما أفعله هو الاستماع إلى الأغاني التي تتحدث عن النساء اللاتي يتعرضن لنوع من الإكراه. ولكني لا أتطلع، ولست متاحاً لأي علاقة عاطفية جادة» هكذا كررت كلامي، في حالة كانت رسالتي غير واضحة.

«لقد خرجت من علاقة طويلة المدى، وأقلعت عن الإدمان للتو، لذا لا أهتم بدخولي في علاقة حالياً».
وهنا يصل مقصدي من الكلام تماماً.

ثم أقول: «أوه، هل تصفحت قائمة الطعام؟ سمعت أن الطعام رائع هنا».

كان مذهلاً بالنسبة إليّ كم النساء اللاتي وافقن على ذلك الاتفاق بعد كل هذا. وأعتقد أن كثيراً منهن اعتقدن أنهن يمكنهن تغييره. ماذا تقولون؟ أوه نعم، بالطبع لقد كان ينسحب من أمامي في بعض الأحيان فجأة. فبعضهن كن يقلن: «حسناً، لست مهتمة بذلك على الإطلاق»، ثم ينهضن ويغادرن. (وليس من المستغرب أنهن من شعرت تجاههن باهتمام حقاً).

ولكن في معظم الأحيان، كان حديثي يؤدي الغرض بشكل مثالي.

وقد استخدمت هنا كلمة «يؤدي» بحرية لأنني لست بحاجة لأن أقول إنه بإمكانك أن تستبدل عقلي وقتها بمؤخرة حمار ولن يلاحظ أحدهم الفرق. فأنا لم أنفصل فقط عن أعظم امرأة على كوكب الأرض، بل إن ما كنت أفعله وأقترحه على باقي النساء هو مجرد مضيعة لعينة للوقت. ممارسة الجنس رائعة جداً، ولكني أعتقد أنني كنت سأصبح أكثر رضا الآن إذا كنت قد قضيت تلك السنوات الماضية في إيجاد ما هو أكبر من ذلك.

في حياة مليئة بالأخطاء، ربما كان هذا أكبر خطأ لديّ. ومن الصعب التراجع عن الأخطاء.

خلال تلك الفترة، قابلت خمس نساء على الأقل كان بإمكانني أن أتزوج إحداهن، وأحظى بأطفال منها. لو كنت قد فعلت ذلك مرة واحدة فقط، ما كان هذا حالي الآن؛ جالساً في منزل ضخم، يطل على المحيط، ولا أحد يتشاركه معي، يكون لديّ رفيق غير مدمن، وممرضة، وبستاني، مرتين في الأسبوع، بستاني لأعطيهِ مائة دولار كي يطفى منفاخ العشب اللعين بينما أخرج. (ألا يمكننا - مثلما جعلنا الإنسان يهبط على سطح القمر - أن نخترع أجهزة من هذا القبيل لا تسبب ضوءاً؟).

كانت ناتاشا فاجنر واحدة من أولئك النساء. لم تكن امرأة جميلة وحسب، بل كانت ذكية، وعطوفة، وجذابة. وهي أيضًا ابنة ناتالي وود وريتشارد جريجسون (وتربت على يد الممثل روبرت واجنر، ثم روبرت واجنر ومعه جيل سانت جون بعد وفاة أمها المأساوية). كانت ناتاشا تحظى بكل شيء؛ كانت مثالية حقًا! ولكنني لم أكن أبحث عن المثالية، كنت أبحث عما هو أكثر من ذلك، أكثر، وأكثر، ولأنني ألقيت لها خطابي المعتاد، ولم أواعدها بالشكل الصحيح، افترقنا، وظللت أعثر على المزيد من النساء المثاليات مع أنني في الواقع صادفتهن بالفعل.

بعد بضع سنوات، كنت أقود سيارتي على الطريق السريع لساحل المحيط الهادئ ذات يوم، في سيارة مثالية أتباهى بها أمام أي شخص، سيارة مدهشة للغاية لدرجة أنني لا أستطيع الآن أن أتذكر أبدًا ما الذي جعلها رائعة. كان سقفها مفتوحًا، والشمس المتلألئة تسطع من حول أمواج المحيط المتكسرة وتحولها إلى قطعة فضية زلقة. كان الرجال على ألواح التزلج على الماء يتسكعون في انتظار «المرأة الملائمة»، والتي لا تأتي أبدًا؛ كنت أعرف ما يشعرون به بالضبط.

ثم رن هاتفي. كانت ناتاشا. لقد أغرمت بي بعد واحدة من مواعيدنا الغرامية، لذلك كانت مضطرة لأن تتركني - هذه هي قواعدك وشروطك يا ماتي، هي بحذافيرها! - ولكن بشكل ما، على الرغم من أنني هجرتها، ظلت صديقتي.

قالت بطريقتها المرحبة بشكل لا مثيل له: «مرحبًا يا ماتي!». كانت مشرقة دائمًا مثل الشمس وهي تطل على المحيط. أحيانًا كنت أضطر لأن أنظر بعيدًا لمجرد استعادة شجاعتي.

قلت: «مرحبًا ناتاشا! كيف حالك؟». كان من اللطيف سماع صوتها مجددًا «كيف تجري الأمور معك؟».

بما أنها اتصلت بي، ربما تكون هناك فرصة كي...؟

قالت: «لقد أصبحت أمًا! لقد رزقت للتو بطفلة. كلوفر!».

قلت: «أوه...» ثم عدلت من حديثي بسرعة، ربما فعلت ذلك، وقلت: «هذه أخبار رائعة يا حبيبتي. أحب هذا الاسم أيضًا!».

تحدثنا لفترة طويلة، ثم أغلقنا الخط. وبعد ذلك، فجأة، بدأت السيارة المثالية تنحرف عن الطريق، فأنا من فعلت بها هذا، ترنحت بها إلى أن أوقفتها على حافة هاوية. كانت الشمس لا تزال ساطعة، وراكبو الأمواج مستلقين على ألواحهم، لكنني شعرت بصدمة شديدة من الانفصال. فالموجة العملاقة التي كان راكبو الأمواج ينتظرونها تحدث في رأسي بالفعل.

قلت: «كان من الممكن أن تنجب هذا الطفل مني»، لكن لم يسمعني أحد، أخذت أبكي وكأنني أنا أيضًا مولود جديد.

كنت حزينة جدًا ووحيدًا. بكيت لحوالي خمس وأربعين دقيقة، إلى أن ظهرت فكرة جديدة تدريجيًا، مثل السحب في السماء التي تطل على المحيط:

يا إلهي، يا له من رد فعل حقيقي...

كان عليّ معرفة سبب الانهيار الشديد الذي أصابني آنذاك. جلست هناك، أتساءل، وأتساءل، وحتى أدركت أخيراً ما هذا الهراء الذي قمت به: كنت أبحث عن ساعة أو ساعتين من المتعة مع كل امرأة خلقها الرب في حين هناك الكثير في الحياة مما أفقده. هل هذا هو السبب في أنني أفلعت عن الإدمان؟ لمضاجعة النساء؟ بالتأكيد كان لدى الرب ما يخبئه لي أفضل من ذلك.

كنت بحاجة لأن أعرف السبب، وبسرعة. حياة ناتاشا كانت تزدهر، بينما حياتي انقلبت إلى غلطة كبيرة. عندما أحاول معرفة حالة التعافي والإدمان بداخلي، تعود إلى ذهني هذه الجملة: أنا قادر على البقاء متعافياً ما لم يحدث أي شيء.

في بعض الأيام الهادئة، عندما كنت متعافياً، كنت أفكر في الماضي القريب وأتساءل لماذا لم أتناول أي أقراص أو أتعالج أي مخدرات بعد التعافي. عندما كنت متعافياً وقويّاً وأشعر بأنني شخص عادي، تخيلت في بعض الأحيان أنني أرتدي قبعة بيسبول ونظارات شمسية وتوجهت للاختلاط بالأشخاص العاديين الذين يتجولون في حفر قطران لابريرا أو يقفون بجانب نجم ما لأحد المشاهير على ممشى المشاهير في هوليوود، فقط لأرى كيف يبدو الأمر. وليس على سبيل «أنا نجم، أنا أفضل منهم»؛ لا، بل على سبيل «أوه، هكذا تكون حياة التعافي».

لكنني كنت لا أزال في كثير من الأحيان مجرد سائح في عالم التعافي. كان من الصعب جداً أن أرسخ قدمي في ذلك العالم. لماذا كان الأمر صعباً للغاية بالنسبة إليّ، في حين رأيت المئات من حولي يفعلون ذلك دون عواقب؟

كنت أواعد حرفياً الجميع وأي شخص في لوس أنجلوس، لكنني قابلت أيضاً امرأة في نيويورك أحببتها حقاً. لم أكن مخلصاً لها، لكنني أحببتها. كنت قد تعافيت للتو ومشهوراً، وأردت أن أمارس الجنس مع الجميع في مقاطعة لوس أنجلوس؛ لبت الكثير منهن رغباتي. لقد نجح خطابي أكثر بكثير مما كان متوقعاً. لكن المرأة التي أحببتها في نيويورك كانت مثل الأم الطيبة، راعية ورائعة وجميلة جداً، بالطبع انجذبت إليها، وبالطبع أفسدت الأمر. لكن الأمر لم يكن كله سيئاً - في لوس أنجلوس، كنت أعمل أيضاً على مساعدة مدمني الكحول الآخرين في التعافي؛ أدمم أشخاصاً، وأرد على المكالمات عند الحاجة، وأقدم المشورة. كان «فريندز» يزداد نجاحاً أيضاً، ولم يكن عليّ أن أقلق بشأن إفساد الأمور به؛ فقد تعافيت، وكنت على وشك الاستعداد لموسمي الجديد، الكل كان يتحدث عن تشاندلر في ذلك الموسم. (كان الموسم التاسع العام الوحيد الذي كنت متعافياً فيه تماماً دوناً عن كل مواسم «فريندز»). هل ترغب في تخمين ما هو العام الوحيد الذي تم ترشيحي فيه لجائزة إيمي لأفضل ممثل في عمل كوميدي؟ نعم، إنه الموسم التاسع. وإن لم يوح لك هذا بشيء، فلن يوجد شيء آخر يمكن أن يوحى لك بالآتي. ما الشيء المميز الذي قدمته في هذا الموسم؟ لقد استمعت. لم أفهم هناك وانتظر دوري للتحدث وحسب. أحياناً في التمثيل، يكون للاستماع تأثير أقوى من التحدث. لقد حاولت أن أتبنى ذلك في الحياة الواقعية أيضاً. اعرف أكثر، وتحدث أقل. ذلك هو المانترا الخاص بي وشعاري الجديد).

مر عامان؛ ربما هذا ما يشعر به الناس العاديون. ربما وجدت رسالتي؛ ما وراء «فريندز»، ما وراء النجومية السينائية، ما وراء كل شيء، كنت هنا لمساعدة الناس على البقاء متعافين.

وبعد ذلك، حدث شيء ما، مرة أخرى: أنا قادر على البقاء متعافياً ما لم يحدث أي شيء. إحدى النساء اللواتي ألقىت خطابي المعتاد لها أصبحت متعلقة بي، وكما نعلم، عزيزي القارئ، إذا حدث ذلك، يجب أن أراجع.

إذاً هذا ما فعلته. قلت: «أنا لأحبك. لقد حذرتك عندما التقيت بك... أتذكرين ذلك الخطاب، عندما سألتك عن قائمة الطعام؟».

ولكن فات الأوان، فقد صار العذاب رقيقها؛ وذلك كان غلطتي. هل هذا هو السبب في أنني أقلعت عن الإدمان؟ لمصاحبة النساء؟ ومن ثم أوذهين؟ بالتأكيد كان لدى الرب ما يحبني لي أفضل من ذلك.

كانت تقيم في فندق بيفرلي هيلز في ذلك الوقت، ذهبت لرؤيتها، لكن لم يكن من الممكن مواساتها. ذكّرني بوالدي؛ فبغض النظر عن مدى السحر الذي استخدمته، وبغض النظر عن الشيء المضحك الذي قلته، لم أستطع تخفيف ألمها.

في النهاية، اقتحمت الحمام، وتركتني وحدي في الغرفة. على المنضدة، كانت هناك زجاجة من الفيكودين ملقاة. انسكبت ثلاثة أقراص تحت وهج مصباح المنضدة. أغلقت على نفسها الحمام وأخذت تصرخ؛ لم أستطع احتواء الموقف. كان هذا هو أي شيء المرجح أن يحدث الذي أشرت إليه. لذلك، تناولت الأقراص الثلاثة، وبطريقة ما نجوت فيما تبقى من الليلة، وبهذا أنهيت عامين من التعافي.

مرة أخرى، كنت في حالة من القرف الشديد. لأنه بمجرد ثقب غشاء التعافي، تبدأ ظاهرة الرغبة الشديدة، ومن هنا تعود لعادتك القديمة بنشاط.

كان من المستحيل بالنسبة إليّ أن أعود طبيعياً. لقد تدرجت سريعاً في الحصول على أقراص الدواء الخاصة بي. وبعدها عدت للشرب. كنت أدرك أنني أتحرّك على مزلة كبيرة نحو النسيان. لكن الأمر كان أكبر مني؛ حرفياً، لم يكن هناك شيء بوسعي القيام به حيال ذلك.

إذا نظرنا إلى الماضي، سنجد أن كل ما كان عليّ فعله هو أن أخبر شخصاً ما عن ذلك، لكن هذا سيعني أنني يجب أن أتوقف. والتوقف لم يكن خياراً متاحاً لي.

في وقت ما من عام 1999، كنت أجلس وحدي في بيتي الكبير جداً في الجزء العلوي من كارلا ريدج، منزل آخر بإطلالة جميلة، هذه المرة كان يطل على حوض لوس أنجلوس. وبالأسفل، في مكان ما، كانت الحياة الطبيعية في لوس أنجلوس مستمرة (في حفر قطران لابريا وفي ممشي المشاهير) - وبالأعلى هنا، كنت أمسك بالمشروب في يدي، وفي اليد الأخرى أمسك باستمرار بسيجارة «مارلبورو لايت»، منتظراً مصيري المفجع. كنا قد انتهينا من خمسة مواسم من مسلسل «فريندز»؛ كان روس وراثشيل قد خرجا يترنحان من كنيسة صغيرة بعد أن تزوجا للتو، قبل زواج تشاندلر ومونيكا. صار «فريندز» مسلسلاً أساسياً لكثيرين، وملخصاً للألفية، المسلسل رقم واحد على هذا الكوكب، المسلسل المفضل لدى الجميع.

كما انتشر ذلك الأسلوب في الكلام! «هل يمكن أن يكون هذا أكثر نجاحًا؟»، انتشر هذا «الإيفيه» وأصبح الجميع يتحدث هذا الأسلوب نفسه. كان الرئيس كليتون وقتها يترأس البيت الأبيض، وتاريخ 11 سبتمبر آنذاك لا يشير لأي حدث فريد على الإطلاق، إلا إذا كان عيد ميلادك أو ذكرى زواجك. كانت مياه العالم تتدفق إلى أسفل التل إلى بحيرة متلاثلة، حيث أجمل الطيور مجهولة الاسم تحلق إلى ما لا نهاية.

الآن، جاءني مندوب عند باب منزلي، وقد قاطع خيالي. كان الأمر كما لو كنت أقوم بإعادة تمثيل ما حدث ذات مرة للشاعر الرومانسي كوليردج، عندما قاطع شخص ما نشوته - التي وصل إليها بالأفيون - شخص ما أسطوري «من بورلوك». في ذلك الوقت، كان كوليردج يحفظ قصيدته «قوبلاي خان» بالكامل في عقله المدمن للأفيون، لكن الرسول الذي وصل إلى بابه في ذلك اليوم من عام 1797 حطم تلك الذاكرة، تاركًا فقط أربعة وخمسين شطرًا للأجيال القادمة.

لم أكن مثل كوليردج، لكن نشوتي كانت ملحوظة تمامًا مثله؛ الإطالة وفودكا تونيك وتدخين المارلبورو اللطيف جعلوني أشعر بأني في ملاذ آمن، فلا يتباني مجددًا الشعور بأني بلا رفقة، فهناك، في المنزل الموجود خلف منزلي، كانت هناك زوجة جميلة ومجموعة من الأطفال الرائعين يتجولون في غرفة اللعب بينما الأب يقضي بعض الوقت بمفرده في غرفة مشاهدة الأفلام الخاصة به. (أتريد أن تشعر بالوحدة؟ شاهد فيلمًا بمفردك في غرفة مشاهدة الأفلام). هكذا كان الحال في بعض الأحيان، عندما تكون النشوة في أقصى حالاتها، حيث أتخيل أن حياتي ليست مليئة بالفجوات، وأن ماضي الذي كان عبارة عن حقل من الألغام - تم الكشف عنه باستخدام بعض المعادن من قبل رجال يرتدون بدلات حماية - أصبح في أمان ونعيم.

الآن كان جرس بابي يرن، فقتل خيالي، ولأنه لم تكن لدي زوجة، ولا أطفال، كان الأمر متروكًا لي لفتح الباب على مضض. سلمني «الشخص من بورلوك» طردًا، كان بداخله سيناريو بعنوان The Whole Nine Yards. وقد كتب مدير أعمالي عليه: «ستجني منه أموالًا طائلة».

لم يكن عملاً كبيرًا بقدر «قوبلاي خان»، لكنني أدركت أنه سيكون ناجحًا.

كنت فاشلاً دومًا في قراءة السيناريو. في ذلك الوقت، كان يُعرض عليّ ملايين الدولارات لتمثيل أفلام وبالكاد أتصفح الصفحات القليلة الأولى للسيناريو فقط. أشعر بالحرع من الاعتراف بذلك الآن، وخاصة أنني أكتب سيناريوهات حاليًا والأمر أشبه بخلع الأسنان عندما أحاول أن أنتزع ردًا من الممثلين عليها. ربما يشعرون بما كنت أشعر به: في حياة مليئة بالمرح والشهرة والمال، قراءة السيناريو - بغض النظر عن حجم المبلغ المعروض المرفق معه - تبدو مرهقة وكأنها مادة دراسية.

لكن الكون سيعلمك. طوال تلك السنوات الماضية كنت أقوم بقراءة سيناريو هنا وآخر هناك، لكن في العام الماضي كتبت سيناريو وكنت أحاول إنجازه حتى أدركت أنني أكبر سنًا من أن أؤدي ذلك الدور الموجود به. معظم من هم في الثالثة والخمسين من العمر لم يعودوا ملائمين بالفعل، لذلك كنت بحاجة إلى توظيف شاب يبلغ من العمر ثلاثين عامًا. استغرق الشخص الذي اخترته أسابيع وأسابيع للرد، ولم أصدق مدى فظاظة سلوكه.

سألت مدير أعمالي، دوج، شاعرًا بالإحباط: «هل ما زلت أملك ما يكفي من النجومية حتى أحصل على دور ولو حتى في فيلم مستقل؟».

قال دوج: «ليس تمامًا».

لكن في عام 1999، أحضر لي «الشخص من بورلوك» سيناريو أدركت أنه محتمل له النجاح، وذلك الاحتمال لم يكن ليتحقق لولا وجود بروس ويليس.

في مطلع القرن، لم يكن هناك نجم سينمائي أكبر من بروس ويليس. كانت لديه أدوار ناجحة في فيلم Look Who's Talking وأجزائه، وسلسلة أفلام Die Hard، وفيلم Pulp Fiction... إلخ. لم يكن هناك من هو أنجح منه في ذلك الوقت. لا داعي لذكر أن ذلك الفيلم كان بمثابة راحة مرحب بها من الاثني وسبعين عملاً كوميدياً رومانسيًا الذين مثلت فيهم. كتب ميتشل كابنر سيناريو مضحكًا مليئًا بالتحويلات والمفاجآت في الحبكة، وكان من السهل قراءته: دائمًا ما يكون هذا مؤثرًا جيدًا. لكن أفضل شيء على الإطلاق هو أن بروس ويليس موجود في العمل، وكنت معه في دور البطولة. وكأن الأمر كالاتي: «دعوني أرى نجمًا تليفزيونيًا ناجحًا ومشهودًا له، وسأريكم النجم السينمائي الصاعد بحق».

هل تقاضيت مبلغًا كبيرًا؟ بالتأكيد. لكن أولاً، سأحكي عن العشاء الذي تشاركته مع المخرج وشقيق شريكي في البطولة.

ذهبت في الليلة التالية إلى مطعم سيتروس أون ميرلوس. في ذلك الوقت، كان هذا هو المطعم الهوليوودي الأشهر: غالي الثمن، وفريد، ويتطلب الدخول بستر، وطابور من مصوري صحافة المشاهير أو الباراتري منتظرين عند الباب ينقرون بجنون تجاه كل من يأتي ومن يغادر. في تلك الليلة، كان من يأتون ويغادرون يتمثلون في؛ ومخرج الفيلم جوناثان لاين، رجل بريطاني قصير وبدين، هو الذي أخرج فيلم My Cousin Vinny والذي تصادف أن يكون ابن عم أوليفر ساكس؛ وكذلك ديفيد أحد منتجي الفيلم، شقيق بروس ويليس (بالمناسبة ديفيد لديه الشعر، أما بروس فله الحية).

كنت قد ارتديت البدلة السوداء المطلوبة التي تليق ببطل فيلم من أجل العشاء، ووصلت متأخرًا بدقيقة أو دقيقتين، فقط لأن هذا ما يفعله نجوم الأفلام دائمًا. سار العشاء بشكل جيد جدًا، مع أنه لم يلمس أحد طعامه، كما هو معتاد في هوليوود. كان جوناثان ذكيًا ومضحكًا للغاية؛ لديه ذلك الأسلوب البريطاني الجاف في الفكاهة الذي من خلاله يقول شيئًا جادًا للغاية، ولكن هناك وميضًا في عينيه، يكفي فقط للإشارة إلى أنه كان يمزح معنا. كان ديفيد يقظًا وممتعًا وذكيًا؛ بالنسبة إليّ، حسنًا، لقد قررت بالفعل أن أمثل في الفيلم. لم يكن بالسيناريو الأصلي كوميديا حركية، لذا قلت تقريبًا: «أعتقد أن هذه ستكون فرصة رائعة لبعض الكوميديا الحركية، وسأكون أكثر من مستعد للسقوط من على الدرج أو القفز من بعض قمم الجبال من أجل العمل مع بروس ويليس».

ضحك جوناثان وديفيد وبدوا مرتاحين. في النهاية، انتهى «العشاء». قال جوناثان: «حسنًا، أنت رجلنا؛ نريدك حقًا أن تؤدي هذا الدور». تصافحنا، وتجاهلنا المصورين، ثم قفزت إلى سيارتي البورش ذات اللون الأخضر كالعابرة وابتعدت.

سأصبح بطلاً في أحد أفلام بروس ويليس، هذا ما فكرت به، مجدداً، صارت كل الأضواء بالغروب خضراء. عدت إلى منزلي في كارلا ريدج، سطع القمر، وحيداً، حزيناً، مطلاً بظل غريب ومريب على وجهتي. فتحت التليفزيون، وصببت لي فودكا تونيك، وانتظرت.

كانت النجوم تصطف في السماء من جديد؛ هل صعود ماثيو بيري يقفز قفزة عملاقة أخرى إلى الأمام؟ هذا ما اعتقدته بينما كانت النجوم الحقيقية ترتفع في سماء صافية ومظلمة. بدأت في عدها، على الرغم من أنني كنت أعرف الحرافة القائلة بأنك بمجرد بلوغك المائة نجمة، تموت. توقفت عند التاسعة والتسعين، تحسباً.

في صباح اليوم التالي، تلقيت رسالة على جهاز الرد على المكالمات. «ماثيو، معك بروس ويليس. اتصل بي مرة أخرى، أو سأحرق منزلك وأكسر ركبتيك وذراعيك وستكون لديك بقايا فقط من يديك ورجليك لبقية حياتك». ضغطت على الزر، فصدرت نغمة الاتصال.

علمت أنها مكالمة جاءني، ويجب أن أعاود الاتصال به. بعد أيام قليلة، التقينا في آجو، مطعم إيطالي فاخر آخر في هوليوود، في غرفة خاصة في الخلف، مخصصة للأشخاص من مكانة السيد ويليس. مرة أخرى، ركبت سيارتي البورش، ووضعتها في المنتزه لفترة كافية لتسليم مفاتيحي لعامل الجراج.

لكن في تلك الليلة، كنت في الموعد المحدد. لم يخيب بروس ويليس آمالي؛ فقد استحوذ على كاريزما النجوم الأوائل. لم يحجز غرفة مخصصة فحسب، بل كان هو أهم من في الغرفة. في الواقع، كنت أعرف أنه كان نجماً سينمائياً حقيقياً عندما كان أول شيء فعله هو تعليم النادل كيفية صنع شراب فودكا تونيك مثالي. قال للنادل المتخوف: «صب لثلاث ثوانٍ».

آنذاك، كان بروس يبلغ من العمر أربعة وأربعين عاماً، أعزب (انفصل عن ديمي مور في الوقت الذي التقيت به)، وكان يعرف الوصفة الدقيقة للشراب المثالي. كان يحدث ضجعة؛ أن تكون بالقرب منه كان مثيراً للحماس. بعد فترة، زارنا في غرفتنا الصغيرة الخاصة جو بيشي، الذي أخرج له جوناثان لاين فيلم My Cousin Vinny، بالإضافة إلى العديد من المرافقين من النساء الجذابات. ضحك بروس على كل نكاتي الغبية؛ بدا وكأنه يستمتع برؤية شاب صغير ومضحك يعطيه الاحترام الواجب ويشاركه الشرب (لو كان يعلم). شعرت بسعادة غامرة لوجودي معه لأنه عرف كيف يعيش الحياة.

مرة أخرى، لم يمس أحد عشاءه، توجه الصديقان المقربان الجديدان إلى منزله الضخم قبالة موهولاند؛ بدا بروس أيضاً أنه يحب المناظر المظلمة. انتهت الليلة مع بروس ويليس وماثيو بيري بشراب في يديهما، ويلعبان بكرات الجولف في وادي سان فرناندو بالأسفل.

فكرت: تلك الكرات لا بد لها أن تنزل مجدداً في مكان ما. وقبل أن أتخيل الضرر الذي يمكن أن تحدثه جرعة خمر للاعب جولف خبير، أو حتى الطبيعة المجازية لما كنا نفعله، توقفت عن التفكير على الإطلاق

وتناولت مشروبًا آخر .

قال بروس حينها: «مرحبًا بك في حياة المحترفين»، مشيرًا، كما افترضت، إلى حياة النجم السينمائي، وليس إلى لعبتي للجولف. لقد بدأنا صداقة، نشرب فيها معًا ونضحك بعضنا بعضًا ونثني على تقلبات بعضنا بعضًا.

في النهاية، كما يحدث دائمًا، أشرقت الشمس، وودعنا بعضنا بحزن. في أثناء قيادتي للمنزل، أتذكر أنني كنت أفكر: انظر إلى هذا الرجل؛ هكذا تكون السعادة. يبدو أن لا شيء يزعج بروس؛ لم يقل له أحد لا. في الواقع، كانت هذه حياة المحترفين.

بحلول وقت الغداء في ذلك اليوم نفسه، اتصل بي بروس لدعوتي للعودة إلى منزله لمشاهدة فيلمه التالي، لكنني كنت تعبًا جدًا وأعاني آثار الثمالة لدرجة أنني لم أفكر في الذهاب. قدمت أعذارتي، وسألته عن اسم الفيلم حتى أتمكن من مشاهدته لاحقًا.

قال: «The Sixth Sense» .

إذًا، حصلت على دور في فيلم The Whole Nine Yards، وبدأت صداقة بيني وبين أشهر نجم سينمائي على هذا الكوكب، ومع ذلك، علمت أنني شربت كثيرًا حتى أنجح في هذا الفيلم. ستكون هناك حاجة لاتخاذ تدابير يائسة. ربما كان البعض قادرًا على الاحتفال جيدًا ويتنظمون في الحضور ويقومون بالعمل؛ لكنهم لم يكونوا مدمنين مثلي.

إذا كنت سأواكب الحفل، ومع بروس، ولم أعد إلى غرفتي في الفندق وأواصل الشرب، فحينئذٍ سأحتاج إلى شيء آخر لتهدئتي والتأكد من أنه يمكنني ضبط نفسي في اليوم التالي.

اتصلت بصديق - أستخدم تلك الكلمة بشكل فضفاض - كنت أعرف أنه يبيع الزاناكس.

أجابني بنفور: «كم قرصًا ترغب في شرائه؟».

قلت: «أعطني مائة».

عندما وصلت الأقراص، جلست على سرير لي لأعدها. بهذه الطريقة يمكنني أن أشرب مع بروس والآخرين ولكن بعد ذلك عندما أكون وحدي أخيرًا يمكنني فقط أن أتناول قرصًا من هذه وأخلد إلى النوم. ربما كنت رجلًا لديه خطة، لكنني تجاهلت أيضًا حقيقة أن هذا كان مزيجًا مميته تمامًا.

سافرنا على متن طائرة بروس (بالطبع فعلنا ذلك) إلى مونتريال للعمل على فيلم The Whole Nine Yards، وصلنا مثل الأبطال الغزاة، على استعداد لاحتحام المدينة. كنت الابن الكندي الضال، وقد عاد الآن، جاهزًا للاحتفال.

اتخذنا لنا مكانًا للإقامة في فندق إنتركونتيننتال. كانت لدي غرفة عادية؛ بينما حجز بروس الطابق العلوي بالكامل، والذي أطلق عليه على الفور «نادي Z»، من دون سبب واضح. في غضون ساعات، كان قد ركّب أيضًا كرة ديسكو.

أصبح مطعم جلوب منزلنا الآخر بعد مكان إقامتنا الأساسي. كانت الأموال والمشروبات تتدفق، وجميع النادلات كن جذابات.

قبل ذلك بأشهر، كنت قد بدأت مواعدة امرأة تدعى رينيه. التقيت بها في مطعم في لوس أنجلوس يُدعى ريد. كنت أتناول العشاء مع مساعد مخرج أول في «فريندز»، صديقي بين ويس، وجاءت النادلة وجلست بجواري وبدأت في الدردشة معي. بدا لي أن هذا لم يكن سلوك نادلة عادي. عندما دونت طلبنا، قلت لبين: «اسمها سيكون سامانثا».

قال: «كلا، إنها بالتأكيد تدعى جينيفر».

عندما عادت إلينا بالطعام، قلت: «نحن نقوم بمراهنة على اسمك. تراهنت أنا على أن اسمك هو سام، وصديقي يراهن على أن اسمك هو جين».

قالت: «مرحبًا، اسمي رينيه» وبطريقة ما، بعد أن شربنا كثيرًا، أصبحنا مرتبطين.

يكفي القول إن رينيه جاءت بدلًا من واحدة أخرى حطمت قلبي في فيلم سابق، ما جعلها بالفعل في حظ سيئ معي... بحلول الوقت الذي ذهبت فيه إلى مونتريال، كنا على خلاف معظم الوقت، ولكن على أي حال - وأنا لست فخورًا بأن أقول هذا - في تلك المرحلة من حياتي، كنت أضاجع أي شيء، حتى ولو كان طينًا. كان الطين كنديًا في ذلك الوقت.

كان الدور نفسه مفاجئًا. كل ما كان عليّ فعله هو تمثيل أنني خائف من بروس، وهو ما كان سهلًا، وكذلك أن أقع في حب ناتاشا هينستريديج، الأمر الذي كان أسهل. أما المخرج جوناثان، الذي كنت أسميه لسبب غير معروف «سامي»، فكان يدير موقع التصوير بالشكل الذي أحبه؛ كان مبدعًا للغاية. كان يتم اكتشاف أفضل دعاية لتقال، بغض النظر عن قائلها، تمامًا كما فعلنا في «فريندز».

كانت أماندا بيت أيضًا في فريق العمل. كانت مضحكة وذكية وجذابة للغاية، وعلى الرغم من أن لديها حبيبا، فإنها لم تمنع المغازلة، وهو ما فعلته دون تردد مع كل من أنا وبروس، لدرجة أن بروس صرخ فيها يومًا ما قائلاً: «اختاري شخصًا واحدًا!».

في الليل، احتدمت الحفلات تحت كرة ديسكو بروس في جناحه بالفندق أو «نادي Z». بطريقة ما، تمكن الجميع من الحضور في الساعة 6:00 صباحًا للعمل. أقول «بطريقة ما»، لكنني في حالتي أعرف كيف فعلت هذا: تلك المئات من الزاناكس كان مفعولها مثل السحر، على الرغم من دمجها مع مشروبي، فإنها جعلت رأسي يشبه كرة سلة ماركة سبالدينج. في تلك الأثناء، ظهر السيد النخبوي ويليس وبدا وكأنه يستطيع فتح مظروف بذقنه.

في كل يوم، كنت أقوم بالتمريض لنفسي بسبب آثار الثمالة القاتلة، ولكنني كنت شابًا يافعًا بما يكفي للتعامل مع الأمر، كنا نجتمع ونرى ما سيدور في العمل (نجوم التلفزيون والسينما يتحدثون عن العمل المقرر لهذا اليوم). وأقصد بـ«كنا» أنا، وجوناثان لاين، وبروس ويليس، والمرح كيفين بولك، الذي كان يؤدي دور جاني جوجولاك، رئيس عصابة آخر. كان يسير الأمر مثلما يحدث في غرفة الكتاب؛ كنا نتناقش فيما قد يكون مضحكًا، وما قد يحدث هنا في مشهد ما، وما قد يحدث في مشهد آخر. كان هناك الكثير من

الجهد يتمثل في أن أضيف كوميديا جسدية من ناحيتي. كنت أصطدم بالنوافذ، وأصطدم بالأبواب. في وقت ما، تعين عليّ رؤية مجرم، ثم أستدير، فألتقي بشخص آخر، وألقيه على ظهره، وأحدث جلبة بمصباح، فألتقط المصباح وأحاول أن أحمي نفسي به من الشرير. كلها كانت أفكار وسارت بشكل رائع.

ذات مرة، كان من المفترض أن يقول كيفين: «لا ينبغي أن يكون قادرًا على تنفس الهواء».

اقترحت عليه أن يدخل وقفة طويلة غير معتادة قبل كلمة «الهواء». كانت تلك هي المرة الوحيدة في مسيرتي التي لم أتمكن فيها من أن أتمالك نفسي؛ كان أداء كيفين لهذه الجملة مضحكًا للغاية، واستمر التوقف لفترة أطول مع كل لقطة قمنا بها، وفي النهاية كان عليه أن يقوم بدوره معي في غرفة مختلفة.

عندما أزيل الستار عن بروس ويليس، أردت فقط أن أكون صديقه. لم أكن أريد أن أكون مغرمًا به مثل أي شخص آخر في العالم. في وقت ما، عندما كنا نعمل على فيلم The Whole Nine Yards، كانت لدينا عطلة نهاية أسبوع لمدة ثلاثة أيام، وقد سافرنا معه وصديقتته وأنا مع رينيه إلى منزله في جزر توركس وكايكوس. يا لها من مكان جميل مع إطلالة خلابة على المحيط! حتى أنني فكرت في شراء جميع العقارات المحيطة حتى لا يتمكن المصورون البارازي من التقاط صورهم. حملنا المظلات معنا طوال عطلة نهاية الأسبوع لمنعنا من الشمس ولا تصبح وجوهنا مسمرة جدًا ولا تتناسب مع الفيلم. خدعة جديدة من نجم سينمائي، واحدة من بين العديد من الخدع التي تعلمتها من السيد ويليس.

لكن هناك فرقًا كبيرًا بيني وبين بروس. كان بروس شخصًا يحب الاحتفال بينما كنت أنا مدمنًا. لدى بروس زر التشغيل والإيقاف. يمكنه الاحتفال بجنون، ثم يحصل على سيناريو مثل The Sixth Sense فيتوقف عن الحفلات ويظهر في الفيلم بشكل رصين. إنه لا يملك ذلك الجين؛ ليس مدمنًا.

هناك الكثير من الأمثلة حول أشخاص في هوليوود يمكنهم الاحتفال ويكملون عملهم بعدها بشكل طبيعي؛ لم أكن واحدًا منهم. عندما أشرب الخمر وأشغل يومي، إذا أتى ضابط شرطة حينها إلى بابي وقال: «إذا شربت الليلة، ستسجن غدًا»، سأبدأ في تجهيز حقائبي للسجن، لأنني بمجرد أن أبدأ الشرب، لا أستطيع التوقف. كل ما كنت أتحمك فيه هو الشراب الأول. بعد ذلك، يخرج كل شيء عن السيطرة. (انظر في الآتي: الرجل يتناول الشراب، فيتولى الشراب الباقي). بمجرد أن أصدق الكذبة بأنني يمكنني فقط تناول مشروب واحد، لا أعود مسؤولًا عن أفعالي بعدئذ. فأحتاج إلى الناس ومراكز العلاج والمستشفيات والمرضى لمساعدتي.

لا أستطيع التوقف. وإذا لم أتوقف عن هذا قريبًا، سيقتلني. كان لديّ وحش في عقلي، وحش أراد أن يجعلني وحدي، ويقنعني بتناول أول مشروب أو قرص مخدر، ومن ثم يتلغمني هذا الوحش.

على الرغم من احتفالاتنا الكثيرة، كنا جميعًا محترفين في هذا الفيلم وتمكنا من إرضاء حشد كبير. كانت الآراء الأولى عنه إيجابية، أحدها قال في مجلة فارايتي:

«سيقوم بروس ويليس بإرضاء المشاهدين، لكن ماثيو بيرى هو الذي سيجذب أكبر قدر من الاهتمام في تحوله الكوميدي للغاية الذي يقارن بأداء توم هانكس منذ 12 إلى 15 عامًا».

كان هذا في الواقع مدحًا كبيرًا لشخص ينظر إلى توم بأنه أعلى منه. لم يكن بروس متأكدًا من أن الفيلم سينجح على الإطلاق، وكنت أراه أنه سينجح، وإذا خسر هو المراهنة، سيحل ضيفًا في مسلسل «فريندز» (ظهر في ثلاث حلقات من الموسم السادس).

احتل فيلم The Whole Nine Yards المرتبة الأولى في أمريكا لمدة ثلاثة أسابيع متتالية. لقد فعلتها؛ تحقق الحلم أخيرًا الذي كان يراودني منذ الصف التاسع: لم يكن The Whole Nine Yards مثل فيلم Back to the Future، ولكنني أنا ومايكل جاي فوكس صرنا الوحيدين اللذين كانا موجودين في الفيلم الأكثر مشاهدة وكذلك المسلسل التلفزيوني الأكثر مشاهدة في الوقت نفسه.

بالتأكيد كنت حديث المدينة، لكن بالعودة إلى لوس أنجلوس، كان من الواضح، على الأقل بالنسبة إليّ، أن إدماني قد تقدم إلى مستويات خطيرة. كنت في المرحلة التي لم أتمكن فيها بشكل أساسي من مغادرة المنزل، وقد استحوذت المخدرات والكحوليات عليّ بالكامل. كنت مدمنًا للمخدرات بشراهة وأتعامل مع تجار المخدرات لدرجة أنني لم أستطع فعلًا أن أغادر غرفة نومي، وبدلاً من الاستمتاع بلحظة من الشهرة الخالصة، كان التعامل مع تجار المخدرات هو كل ما أفعله. حضرت العرض الأول للفيلم بالطبع، وتقمصت أسلوب ماثيو بيرري في الظهور، لكنني كنت بدينًا قليلاً ومدفوعًا بالخوف من شيء لم أفهمه.

لطالما حلمت أنني تمت استضافتي في برنامج حوارتي وتكلمت بصدق شديد.

جاي لينو: إذا كيف حالك يا ماثيو؟

أنا: يا رجل، أنا فقط لا أعرف أين وجهتي. أنا في مأزق تام. أنا بائس جدًا. لا أستطيع النهوض من السرير.

كان هذا هو الوقت المثالي لحوار كهذا.

بعد أربع سنوات من تصوير The Whole Nine Yards، صورنا أنا وبروس وكيفين تكملة لذلك الفيلم (مع مخرج مختلف هذه المرة). إذا كان The Whole Nine Yards هو بدايتي بأن أكون نجمًا سينمائيًا، فمن العدل أن أقول إنه أيضًا كان النهاية.

صورنا ذلك الفيلم الثاني في لوس أنجلوس؛ نلنا حرية أكبر وفشل الأمر. نادرًا ما يمكنك إعادة صنع شيء جيد، وقد صدق هذا في حالتنا؛ بدت الدعابات قديمة ومبتذلة، كذلك الحفلات. في الواقع، كان الأمر سيئًا للغاية لدرجة أنني بعد فترة، اتصلت بمديرين أعمالتي وقلت: «لا يزال يُسمح لي أن أمثل في أفلام، أليس كذلك؟».

عندما عرض The Whole Nine Yards، كنت غارقًا في الإدمان لدرجة أنني بالكاد أغادر غرفتي. كنت أعيش في جحيم من اليأس والإحباط، وعقلي المتعثر يسحب جسدي ببطء معه إلى الهاوية. لقد أدهشني هذا مؤخرًا: فهذا النوع من المشاعر كان لا بد له أن ينتهي مع ظهور The Whole Ten Yards. أي شخص يتحلى بالرشد كان سيتجاوز الاكتئاب بعد ذلك.

أحياناً، في آخر الليل، عندما تكون الشمس على وشك البزوغ ويرحل الجميع، وتنتهي الحفلة، كنت أجلس أنا وبروس ونتحدث. وهنا رأيت بروس ويليس الحقيقي؛ رجلاً طيب القلب، عطوفاً، غير أناني. أب رائع، وممثل رائع أيضاً. والأهم من ذلك، إنه رجل صالح. إذا أراد أن أكون صديقه، سأكون كذلك مدى الحياة. ولكن كما هو الحال مع الكثير من الأشياء من هذا القبيل، نادراً ما تقاطعت طرقنا بعد ذلك. بالتأكيد أصلي من أجله في كل ليلة الآن⁽²²⁾.

هذه المقولة مقتبسة عن أغنية سيندي لوبر *Girls Just Want to Have Fun* (المراجعة).

يقصد ماثيو بيري مرض بروس ويليس الحالي بالحبسة الكلامية والذي فقد على إثره القدرة على الكلام وأعلن اعتزاله التمثيل (الترجمة).

فاصل

تلك الجنة.. أطلقت عنانها

حدث شيء ما، وانتكست. كما قلت، كل شيء يؤدي إلى الانتكاس: يحدث شيء ما، أي شيء على الإطلاق، جيد أو سيء، ثم أنتكس.

كنت أمر بطور آخر من الإقلاع. لا أتذكر حتى لماذا، لكنني كنت أفضل. أمضيت عامين أساعد فيها الرجال الآخرين على الإقلاع إلى أن أفسدت كل هذا بسبب شيء بسيط للغاية لدرجة أنني لا أتذكر حتى ما هو. كل ما أتذكره هو أنه كان هناك الكثير من المشروبات، والكثير من المخدرات، والكثير من العزلة. كنت دائماً ما أدمن وحدي؛ كنت أخشى من أنه إذا رأى أي شخص مقدار ما أستهلكه، سيرتعبون ويحاولون إقناعي بالتوقف. لكنني بدأت بالفعل، لذا لم يكن التوقف خياراً.

الشيء الذي غالباً ما أنقذ حياتي هو أنني أشعر بالخوف. عندما أعتقد أن الأمور قد خرجت عن نطاق السيطرة تماماً، أصاب بالذعر، وألتقط الهاتف، وأطلب المساعدة. في تلك المرة، جاء رفيق متعافٍ وأبي الرائع لإنقاذي. تحركا على الفور، ثم بدأت في الخضوع للديتوكس في ذلك اليوم نفسه.

شعرت بأني مدمر جسدياً تماماً... لكن الديتوكس كان يسير على ما يرام. على الأقل هذا ما اعتقده والدي والرفيق المتعافي. لكن ما لا يعرفانه هو أنني أخفيت زجاجة زاناكس في غرفة نومي. هذا ما يعنيه أن تكون مدمناً: أن تفعل أشياء لم تحلم أبداً بفعلها. تخلى والدي الرائع عن كل شيء للانتقال للعيش معي، ليحبنى ويدعمني خلال كارثة أخرى من صنع ذاتي، وقد رددت هذا له من خلال إخفاء المخدرات في منضدة سريري.

ذات ليلة كنت في حاجة ماسة إلى النوم، إلى أي نوع من الهروب من الديتوكس الوحشي الذي كنت أعانيه. كانت زجاجة الزاناكس تناديني، كمنارة شريفة في الظلام. تخيلته كمنارة، فقط في هذه الحالة، أدت قاربي نحو الصخور الحادة، لم أبتعد عنها. لم يكن ذلك الغطاء الذي يحمي الزجاجة من الأطفال عائقاً أمامي أنا هذا الطفل؛ في الغرفة الأخرى، كان والد هذا الطفل غارقاً في النوم، بينما كان يشاهد إعادة فيلم Taxi، بينما كنت في غرفتي بجوار المنحدرات القاتلة المجازية، غطست في زجاجة الزاناكس تلك وتناولت أربعة أقراص (قرص واحد كان جرعة كبيرة. فما بالك بأربعة؟).

لم تنجح الخطة. لم يأت الهروب؛ أخفقت تلك الأقراص الأربعة من الزاناكس مع أفكار المتسارعة. ظل النوم بعيد المنال. كان يعيقه الخجل والخوف والاشمئزاز الشديد من الذات. إذًا، ما الخطوة المنطقية التالية؟ حسناً، بالنسبة إلى مدمن المخدرات هذا، كان عليه أن يتلع أربعة أقراص أخرى (لم يكن هذا مجرد جرعة كبيرة من ثمانية أقراص وحسب، بل كان تحدياً مع الموت). بطريقة ما، اتحدت الأقراص الأربعة الأخرى مع الأربعة الأولى، وتمكنت أخيراً من النوم. النوم على الزاناكس ليس عويصاً - فالدواء مشهور بشكل لعين أنه

يساعد على النوم العميق - لكنني لم أهتم. أردت فقط أن يهدأ دماغي هذا، هذا الشيء الذي يلاحقني، لبضع ساعات على الأقل... وأن أنال قسطاً من الراحة من الديتوكس المؤلم بشكل لا يصدق الذي كنت أخضع له. كنت محظوظاً بما يكفي بأن تمكنت من الاستيقاظ مجدداً، لكن الزاناكس فعل شيئاً أسوأ من منع النوم العميق، لقد أرق عقلي وجعلني مجنوناً. كنت أرى أشياء: رؤى وألوان غريبة لم أرها من قبل، ألوان لم أكن أعرف لها وجوداً. تحولت الستائر الرمادية الآلية في غرفة نومي إلى لون أرجواني غامق. كان الأمر كما لو أن الخلايا العصبية والمخاريط في شبكية العين ترسل رسائل جديدة عبر عصبي البصري إلى جذع دماغي «المشوي» بالفعل. اللون الأزرق العادي كان درجة تدعى سيرولين، ثم صار اللون الأحمر أحجوانياً، والأسود كان درجة تسمى فانتابلاك أو بلاك 3.0، أكثر السواد سواداً.

ليس هذا وحسب، بل عندما نفذ مني الزاناكس، إذا لم يتم التعامل بشيء سريع حيال ذلك، قد أموت. (تذكر: الخمر والزاناكس هما المستخلصان الوحيدان اللذان يمكن أن يقتلاك، التخلص من السموم الأفيونية يجعلك تتمنى لو كنت ميتاً). لكنني كنت أقضي عليها جميعاً. كان خيارى الوحيد هو الحصول على المزيد من الزاناكس بطريقة ما، لكن الدسيسة الموجود في منزلي لم يكن ليسمح لي بذلك. سيفضح أمرى بالتأكيد. لذلك، يجب أن أكون صريحاً بشأن حقيقة أنني كنت أتناوله حتى أتمكن من التخلص منه بشكل صحيح أيضاً.

تركت غرفة نومي، تحولت غرفة معيشتي إلى مشكال من الألوان. هل هذه الجنة؟ هكذا فكرت. هل قتلني الزاناكس الليلة الماضية وها أنا في الجنة؟ شرحت لأبي والرفيق المتعافي ما فعلته بلطف. كلاهما كانا مرعوبين تماماً. تحرك الرفيق المتعافي مسرعاً ليستدعي طبيباً.

فقدت عقلي تماماً. عندها قررت أن أشارك والدي الخوف الذي كنت أشعر به. قلت بجديّة تامّة: «أبي، أعلم أن هذا سيبدو جنوناً، لكن في أي لحظة، سيأتي ثعبان عملاق ويأخذني بعيداً».

ماذا عن رد فعل والدي؟

«ماتي، إذا أتى ثعبان عملاق وأخذك بعيداً، سوف أتغوط في سروالي». حتى يومنا هذا، أنا معجب بكيفية تعامل والدي مع جنوني المطلق.

في تلك اللحظة، عاد الرفيق المتعافي إلى الغرفة، وأعرب عن خيبة أمله، لكنه قال إنه لا يزال على استعداد لمساعدتي. لكنني كنت بحاجة إلى طبيب على الفور. توجهنا لزيارته. في نهاية الاستشارة، اعتذرت للطبيب وصافحته، ووعدت بأن ذلك لن يحدث مرة أخرى. وقد عنيت ذلك؛ لقد انتهيت من هذا. طلب الطبيب دواءً جديداً للتخلص من السموم، ودواءً مضاداً للنوبات (إزالة السموم من الزاناكس يمكن أن تتسبب في نوبات صرع). توجهنا إلى المنزل. تم استدعاء مساعدي التي طالت معاناتها معي، مويرا، لتحضر الدواء المذكور، وانتظرنا، وانتظرنا مجدداً. لسبب ما، استغرق الأمر منها ساعات لإنهاء هذه المهمة الجديدة.

مع ذلك، كان الزمن يسبقني. إذا لم أحصل على دواء التخلص من السموم هذا قريباً، فإن بعض الأشياء الخطيرة ستحدث. قد أعاني نوبة؛ قد أموت. لم يكن أي من الخيارين جيداً بالنسبة إليّ. بعدئذ، حرق ثلاثة

رجال بالغين في الباب الأمامي، منتظرين أن يفتح، واثنان من هؤلاء الرجال يمدقون أيضًا في ماتي الخائف. بعد فترة، لم أستطع تحمل هذا التدقيق الشديد فيّ وأخذت نفسي إلى أريكة صغيرة بجانب المطبخ. بدأ الواقع، ذلك الذوق المكتسب، في إعادة التأكيد على نفسه ووجوده، ببطء، بوضوح، مثل تركيز العدسة. وشعرت بشعور رهيب للغاية، جسديًا وعاطفيًا. كنت ممتلئًا بالخزي والشعور بالذنب. لم أصدق أنني فعلت هذا مرة أخرى. الأشخاص الذين كنت أراهم تحلوا بفترة للتعافي أطول من فترتي. لا يمكنك التخلي عما لا تملكه. وأنا لم أملك شيئًا. كرهت نفسي.

كان هذا قاعًا جديدًا؛ لا أعتقد أنه يمكنك الحصول على أي مستوى أدنى من قاعي السابق ذكره، لكنني تمكنت من تحقيق ذلك. وكل هذا أمام والدي الذي كان مرعوبًا بشكل واضح. لقد استولت على الطبيعة الماكرة والمحيرة والقوية للإدمان مرة أخرى.

لم يفتح الباب الأمامي بعد. كانت هذه مشكلة خطيرة. كنت رجلًا يائسًا. كانت المخدرات في حالة تدفق كامل، والكحوليات أيضًا. كانت الأمور سيئة للغاية لدرجة أنني لم أستطع البكاء. قد يشير البكاء إلى وجود أمر على الأقل طبيعي إلى حد ما، ولكن لم يكن هناك أمر طبيعي في أي من هذا.

إذًا، إنه القاع، أدنى نقطة في حياتي. هذه لحظة كلاسيكية للمدمن، لحظة يبحث بعدها المرء عن مساعدة دائمة... لكن مهلاً، ماذا الآن؟ بينما جلست هناك أنظر إلى المطبخ، لاحظت بعض الأشكال المجدعة في الجو. ربما كان شخص ما ليس في قاعه يلوح بها بعيدًا عنه باعتبارها لا شيء، لكن بالنسبة إليّ كان مفروضة عليّ لدرجة أنني لم أستطع النظر بعيدًا. إنها تشبه نوعًا من الموجة الصغيرة في الهواء. لم أرَ أبدًا شيئًا كهذا من قبل في حياتي. لقد كان حقيقيًا، غير خيالي، ملموسًا، ماديًا. أهذا ما تراه في النهاية؟ هل كنت أموت؟ ثم... بدأت الصلاة بشكل قوي، كشخص يغرق ممتلئ باليأس. في المرة الأخيرة التي صليت فيها، قبل أن أحصل على دور في «فريندز»، تمكنت فقط من عقد صفقة فاستية مع إله أخذ نفسًا طويلًا وأخذ وقته اللعين. هأنا هنا، بعد أكثر من عقد من الزمان، أرفع ذراعي مرة أخرى للصلاة. همست قائلاً: «يا إلهي، ساعدني. أرني أنك هنا. أرجوك ساعدني».

في أثناء صلاتي، تحولت الموجة الصغيرة في الهواء إلى ضوء ذهبي صغير. بينما جثوت على ركبتي، بدأ الضوء يكبر ببطء ويكبر، حتى أصبح كبيرًا جدًا بحيث يغطي الغرفة بأكملها. كان الأمر كما لو كنت أقف على الشمس. لقد خطوت على سطح الشمس. ماذا كان يحدث؟ ولماذا بدأت أشعر بالتحسن؟ ولماذا لم أخف؟ ولّد الضوء شعورًا أكثر كمالًا من الكمية المثالية من المخدرات التي تناولتها على الإطلاق. بعد أن شعرت بالبهجة، شعرت بالخوف وحاولت التخلص منه. لكن لم يكن هناك طريقة للتخلص منه. كان أكبر مني بكثير. خيارى الوحيد هو الاستسلام له، وهذا لم يكن صعبًا، لأنه كان شعورًا جيدًا جدًا. بدأت النشوة في أعلى رأسي وتسللت ببطء إلى أسفل في جميع أنحاء جسدي؛ لا بد أنني جلست هناك لمدة خمس أو ست أو سبع دقائق، ممتلئًا بها.

لم يتم استبدال دمي بالحب والدفء. كنت أنا ذاك الحب والدفء. ولأول مرة في حياتي، كنت في حضرة الحب والقبول وممتلئًا بشعور غامر بأن كل شيء سيكون على ما يرام. علمت الآن أن صلاتي قد استُجيب لها. كنت في حضرة الرب. إذ تم إنقاذ بيل ويلسون، الذي أنشأ مجتمعات المدمنين «AA»، من خلال تجربة الضوء عبر النافذة حيث شعر أنه يقابل الرب. كذلك كانت تجربتي.

ولكن ذلك الشعور الجيد كان مرعبًا. سُئلت ذات مرة عما إذا كنت سأكون سعيدًا في يوم من الأيام، وكدت أن أنتفض بحق الجحيم. (ذات مرة، في دار بروميسيس لإعادة التأهيل، في أثناء جلسة، أخبرت مستشاري النفسي أنني شعرت بالذهول من مدى سعادة كل شخص يتعافى. «يبدون مجموعة من الأشخاص السعداء الذين يعيشون على تل بينما أنا أموت» هذا ما قلته، وقد أوضح لي أن الكثير من هؤلاء الأشخاص لم يفهموا التعافي بعد ولم يفهموا ما كان يحدث لهم وسيعودون في النهاية إلى دار إعادة التأهيل وستكون الأمور أسوأ بالنسبة إليهم في المرة القادمة).

بعد حوالي سبع دقائق (ضع دعابة «سبع دقائق في الجنة» هنا) بدأ الضوء يخفت. تلاشت النشوة. لقد قام الرب بعمله وكان متوقفًا عن مساعدة شخص آخر الآن.

بدأت بالبكاء. أعني، لقد بدأت حقًا في البكاء، هذا النوع من البكاء الذي لا يمكن السيطرة عليه. لم أكن أبكي لأنني كنت حزينًا. كنت أبكي لأنه لأول مرة في حياتي، شعرت أنني بخير. شعرت بالأمان والرعاية. عقود من الكفاح مع الرب، ومصارعة الحياة، والحزن، كان كل شيء يتطهر وينجرف، مثل نهر من الألم ذهب إلى النسيان.

كنت في حضرة الرب. كنت متأكدًا من ذلك. وهذه المرة صليت من أجل الشيء الصحيح: المساعدة. في النهاية هدأ البكاء. لكن كل شيء أصبح مختلفًا الآن. كان بإمكانني رؤية الألوان بشكل مختلف، وكانت الزوايا ذات أحجام مختلفة، والجدران أقوى، والسقف أعلى، والأشجار تلامس النوافذ بشكل أفضل من أي وقت مضى، وجذورها متصلة عبر التربة بالكوكب وتعود إليّ - رابط واحد رائع خلقه إله محب دائمًا - وما وراء ذلك، أصبحت السماء التي كانت من قبل غير محدودة من الناحية النظرية بلا نهاية بشكل غير معروف. لقد كنت متصلًا بالكون بطريقة لم أقم بها من قبل. حتى النباتات في منزلي، والتي لم ألاحظها من قبل، بدت براقًا، أجمل مما كان من الممكن أن تكون، أكثر كمالًا، وأكثر حيوية.

بقيت مقلعًا عن الإدمان لمدة عامين بسبب تلك اللحظة فقط. لقد أراني الرب جزءًا صغيرًا مما يمكن أن تكون عليه الحياة. أنقذني في ذلك اليوم، وفي كل الأيام، مهما كان الأمر. لقد حوّلني إلى ساع، ليس إلى الإقلاع والحقيقة، بل أيضًا إليه. لقد فتح نافذة ثم أغلقها، وكأنه يقول: «الآن اذهب واجن هذا».

الآن، عندما يجلي عليّ الظلام الدامس، أجد نفسي متسائلًا هل هذا بسبب جنون دواء الزاناكس، واستمرارية ظهور ذلك الثعبان الذي كنت متأكدًا من ظهوره؛ فالمخدر يمكن أن يسبب ما تصفه المعاهد الوطنية للصحة بأنه «نوبات ذهانية قصيرة متقلبة». (تعرضت لاحقًا لنوبة صرع هائلة أمام والدي أيضًا، ولم يكن هذا أصعب ما تعرضت له على الإطلاق، ولم يتم نقلي إلى المركز الطبي لجامعة كاليفورنيا بلوس

أنجلوس، الذي اعتقدت في ذلك الوقت أنه بيت للملائكة). لكنني سرعان ما أعود إلى حقيقة الضوء الذهبي. عندما أكون متعافياً، لا يزال بإمكانني رؤيته، وتذكر ما فعله من أجلي. قد يعتبره البعض تجربة قريبة من الموت، لكنني كنت هناك، وكذلك كان الرب. عندما أكون متصلاً بالرب، يظهر لي أنه حقيقي، تلميحاً صغيرة مثل عندما يلتقي ضوء الشمس مع المحيط ويحوله إلى ذلك اللون الذهبي الجميل. أو انعكاس ضوء الشمس على أوراق شجرة خضراء، أو عندما أرى الضوء يعود إلى عيني شخص ما عندما يخرج من الظلام إلى التعافي. أشعر بذلك عندما أساعد شخصاً ما على أن يصبح متعافياً، والطريقة التي يتأثر بها قلبي عندما يقولون: شكراً لك. لأنهم لا يعرفون حتى الآن أنني من يجب أن أشكرهم حقاً. بعد عام، التقيت بامرأة كنت سأبقى معها لمدة ست سنوات. الرب موجود في كل مكان؛ عليك فقط أن تحدد مسارك، وإلا سيفوتك.

أصدقاء بمنافع

ذهبت مونيكا أولاً. وضعت مفتاحها على المنضدة الفارغة. دخل تشاندلر بعد ذلك. ثم جاء جوي - يضحك ضحكة كبيرة لأنه لم يكن من المفترض له أن يحمل مفتاحاً - ثم روس، ثم راتشيل، وأخيراً فيبي. الآن، كانت هناك ستة مفاتيح على المنضدة، ماذا ترون بعد ذلك؟

وقفنا جميعاً في صف واحد طويل. قالت فيبي: «أعتقد أنها النهاية»، وقال جوي: «نعم»، ثم كاد أن يكسر الجدار الرابع عندما نظر للجمهور وأكمل قائلاً: «أعتقد ذلك...».

لكن لم يكن هناك جدار رابع لكسره، في الواقع، لم يكن موجوداً في الأساس. كنا حاضرين في غرف نوم المشاهدين وغرف المعيشة لمدة عشر سنوات. في النهاية، كنا جزءاً لا يتجزأ من حياة كثيرين لدرجة أن ما فاتنا هو أنه لم يكن هناك أبداً جدار رابع لكسره في المقام الأول. كنا ستة أصدقاء مقربين في شقة تبدو كذلك كبيرة جداً، في حين أنها كانت في الواقع بحجم جهاز التلفزيون في غرفة معيشة.

ثم حان الوقت لمغادرة تلك الشقة للمرة الأخيرة. لكن كنا ثمانية الآن؛ الشخصيات الرئيسية الست، بالإضافة إلى توأم مونيكا وتشاندلر في عربة أطفال.

قبل تلك الحلقة الأخيرة، كنت قد أخذت مارتا كوفمان جانباً.

قلت لها: «لا أحد سيهتم بهذا سواي. لذا، هل يمكنني أن أقول آخر جملة في المسلسل من فضلك؟». لهذا السبب بينما كنا جميعاً نخرج من الشقة، اقترحت راتشيل أن نشرب قهوة أخيرة معاً، وكان عليّ أن أسدل الستار على «فريندز».

قال تشاندلر: «بالتأكيد»، وبعد ذلك، في توقيت مثالي، للمرة الأخيرة، قال: «أين؟».

أحب التعبير الذي اعترى وجه شويمر بينما أقول هذه الجملة؛ كان مزيجاً مثالياً بين مشاعر الحب والفكاهة، وهو بالضبط ما قدمه مسلسل «فريندز» دائماً للعالم.

وبهذا، انتهى المسلسل.

الحقيقة أنه كنا جميعاً على استعداد لإنهاء «فريندز». بداية، قررت جينيفر أنيستون أنها لا تريد أن تمثل في المسلسل بعد الآن، وبما أننا كنا جميعاً نتخذ القرارات كمجموعة، كان هذا يعني أنه يتعين علينا جميعاً التوقف. أرادت جينيفر أن تؤدي أدواراً في أفلام؛ وأنا كنت أصور أفلاماً طوال ذلك الوقت وكان فيلم The Whole Ten Yards على وشك العرض، والذي كان من المؤكد أنه سيكون ضربة ناجحة (ضع رأس حمار الآن)، ولكن على أي حال، على الرغم من أنها كانت أعظم وظيفة في العالم، كانت قصص مونيكا، وتشاندلر، وجوي، وروس، وراتشيل، وفيبي قد تطورت إلى حد كبير بحلول عام 2004. ولم يرغب عني أن تشاندلر نضح بشكل أسرع مما كنت عليه. نتيجة لذلك، في الغالب صممت جيني، جينيفر أنيستون، على

ذلك، أن يكون الموسم العاشر قصيرًا. لكن جميع الشخصيات كانت سعيدة في الأساس بهذه المرحلة أيضًا، ولا أحد يريد مشاهدة مجموعة من الأشخاص السعداء يفعلون أشياء سعيدة، ما المضحك في ذلك؟

حدث ذلك يوم 23 يناير 2004. المفاتيح موضوعة على المنضدة، قال رجل يشبه إلى حد كبير تشاندلر بينج: «أين؟». تم تشغيل موسيقى أغنية Embryonic Journey لفريق جيفرسون إيربلين، وانتقلت الكاميرا إلى الجزء الخلفي من باب الشقة، ثم صرخ بين، أول مساعد مخرج لنا، والصديق المقرب جدًا، للمرة الأخيرة، «النهاية»، انهمرت الدموع من الجميع تقريبًا، دموع كثيرة مثل النبع الحار. قدمنا 237 حلقة، بما فيها الحلقة الأخيرة تلك، والتي تسمى بشكل مناسب بما فيه الكفاية The Last One. كانت أنيستون تتحب. بعد فترة، اندهشت من أنه لا تزال هناك مياه متبقية في جسدها. حتى مات لوبلانك كان يبكي، في حين أنني لم أشعر بأي شيء، ولم أعرف هل هذا بسبب البيوبرينورفين الأفيوني الذي كنت أتعاطاه أم كنت ميتًا من الداخل. (لمعلوماتك، البيوبرينورفين هو دواء ممتاز طارد للسموم، يساعدك على البقاء بعيدًا عن الأدوية الأفيونية الأخرى «الأقوى»، وهو لا يغير منك على الإطلاق. ولكن بشكل ساخر، إنه العقار الأسهل على الإطلاق في الانقطاع عنه. لا ينبغي أبدًا استخدام دواء البيوبرينورفين أو سابوكسون لأكثر من سبعة أيام. وخوفًا من الخضوع لعملية تخلص كريمة من السموم مرة أخرى، ظلت أتناوله لمدة ثمانية أشهر).

لذا، بدلًا من البكاء، قمت بجولة بطيئة حول المسرح مع حبيبتي آنذاك - والتي كانت تدعى أيضًا راتشيل - إستوديو 24 في وارنر بروس. في بوربانك (ذلك الإستوديو الذي بعد انتهاء عرض المسلسل أعيدت تسميته إلى «إستوديو فريندز»). ودعنا بعضنا بأشكال مختلفة، واتفقنا على رؤية بعضنا بعضًا قريبًا مثلما يفعل الناس وهم يعلمون أن هذا لن يحدث، ثم توجهنا إلى سيارتي.

جلست في سيارتي بساحة الانتظار للحظة، وفكرت في العشر سنوات السابقة. فكرت في L.A.X. 2194 وفي العرض البالغ قدره 22500 دولار، وكريج بيركو، فكرت كيف كنت آخر شخص في فريق الممثلين، وتلك الرحلة إلى فيجاس، حيث دخلنا كازينو مزدحمًا، ولم يعرف أحد من نحن. فكرت في كل المقالب والمشاهد المزدوجة، والأخوين موراي، وبعض إيفيهاتي الشهيرة/ القريبة جدًا من الحقيقة، مثل Hi, I'm Chandler, I make jokes when I'm uncomfortable «مرحبًا، أنا تشاندلر، أنا ألقى الدعابات عندما لا أشعر بالراحة»، و 'Until I was twenty-five, I thought that the only response to 'I love you' was 'Oh, crap' حتى بلغت الخامسة والعشرين من عمري، اعتقدت أن الرد الوحيد على كلمة «أحبك» كان «أوه، يا للحماقة!» و We swallow our feelings. Even if it means we're unhappy forever. «نحن نبتلع مشاعرنا. حتى لو كان ذلك يعني أننا سنكون غير سعداء إلى الأبد»، و Could she be more out of my league? «هل يمكن أن تكون خارج سيطرتي أكثر من ذلك؟».

فكرت في الصيف بين الموسمين الثامن والتاسع، عندما قضيت فترة في دار إعادة التأهيل، وفكرت في مجلة بيبول عندما وصفتني على غلافها أنني «سعيد، وسليم صحيًا، وجذاب!»، (قالت العناوين الرئيسية: «الفتى المرح في «فريندز» يتحدث عن شائعات مواعيداته»، «الموسم «الأخير»، ومعاناته من أجل التعافي، يقول: «إن الأمر كان مروعًا، لم أكن أريد الموت»»). قضيت ذلك الصيف بالفعل في التعافي ولعب التنس

كثيرًا. فكرت في اليوم الأول في الموسم الرابع، بعد الصيف الذي قضيته في دار إعادة التأهيل علانية. في أثناء جلسة القراءة التدريبية الأولى، كانت العيون كلها موجهة نحوي بوضوح. افتتح صديقي كيفين برايت، أحد المنتجين التنفيذيين للمسلسل، الإجراءات بالقول: «هل هناك أي منكم يريد التحدث عن إجازته الصيفية؟» فاعتنمت الفرصة لكسر الجمود، وقلت بصوت عالٍ ومتعافٍ: «حسنًا! سأبدأ أنا!» وبالتالي تحرر كل التوتر في الغرفة. انفجر الجميع في ضحك وتصفيق لي لأنني قلبت حياتي وأبدو بحالة جيدة ومستعدًا للعمل. ربما حتى يومنا هذا، كانت تلك أذكى مزحة قلتها على الإطلاق.

فكرت كيف كان عليّ أن أتوسل إلى المنتجين حتى لا يدعوني أتحدث مثل تشاندلر في المواسم القليلة الأخيرة (ناهيك عن التخلص من تلك السترات الصدرية). هذا «الإيفيه» بالذات - هل يمكن أن يكون أكثر إزعاجًا؟ - تمت تأديته واستهلاكه كثيرًا لدرجة أنه إذا وضعته في المكان الخطأ مرة أخرى، اعتقدت أنني سأنفجر حينها، لذلك عدت لقول الجمل بشكل طبيعي، بشكل أكبر في الموسم السادس وما بعده.

فكرت في بكائي عندما طلبت من مونيكا أن تتزوجني.

وأنا على المستوى الشخصي، كانت لديّ أفكار سلبية أيضًا.

ما الذي سيحدث لي الآن بعد ألا أعود أمتلك هذه الوظيفة الإبداعية المرححة بجنون للذهاب إليها كل يوم؟

كان «فريندز» مكانًا آمنًا، وسيلتي للهدوء؛ لقد منحني سببًا للنهوض من السرير في كل صباح، كما منحني سببًا لآخذ الأمور بشكل أبسط عن الليلة السابقة. لقد كان أعظم وقت في حياتنا. كان الأمر كما لو تأتينا دومًا أخبار جيدة في كل يوم. حتى أنني كنت أعرف أن وحده المجنون فقط (والذي كان أنا في لحظات عدة) الذي من شأنه أن يضيع وظيفة مثل تلك.

في أثناء عودتنا إلى المنزل في تلك الليلة، مع غروب الشمس، أشرت لراتشيل إلى لوحة إعلانات ضخمة تروج لفيلم *The Whole Ten Yards*. كنت هناك، على ارتفاع خمسين قدمًا، عابسًا مرتديًا بدلة داكنة وقميصًا أرجوانيًا وربطة عنق، أفق بجوار بروس ويليس، كان يرتدي تيشيرت أبيض، وممزّرًا، وشبشبًا على شكل أرنب. والأسماء كتبت كالتالي ويليس... بيري، بأحرف طولها ستة أقدام، فوق الشعار: *They missed each other. this time, their aim is better*. «افتقدوا بعضهم بعضًا. هذه المرة، كان هدفهم أفضل». كنت نجمًا سينمائيًا. (تذكر ما قلته عن رأس الحمار، أليس كذلك؟).

بدا مستقبلي - حتى من دون «فريندز» - ورتديًا بدرجة كافية. كان لديّ فيلم كبير سيعرض؛ كما انتهيت من حلقتين من مسلسل *Ally McBeal* وثلاث حلقات من مسلسل *The West Wing*، لذلك كنت أقوم بتطوير مقاطع تمثيلية جادة بالإضافة إلى الكوميديا (لقد رشحت مرتين لجائزة إيمي لظهوري في الثلاث حلقات في *The West Wing*). كنت قد انتهيت أيضًا للتو من فيلم من إنتاج شركة تي إن تي بعنوان *The Ron Clark Story*، تدور أحداثه حول مدرس مثل الذي نراه في واقعنا يعيش في بلدة صغيرة يحصل على وظيفة في واحدة من أصعب المدارس في هارلم. لم يكن هناك أي شيء مرح في الأمر برمته - لقد دفعني إلى الجنون مدى جدية الأمر - لذا بعيدًا عن الكاميرا، صنعت شخصية تدعى «رون دارك» والذي كان في حالة سُكر ويسب

باستمرار أمام الأطفال. على الرغم من ذلك، نجح الفيلم نجاحًا كبيرًا عندما عُرض أخيرًا في أغسطس 2006. رشحت لجائزة ساج وجائزة جولدن جلوب وجائزة إيمي (خسرتهم جميعًا أمام روبرت دوفال. لم أستطع تصديق ذلك؛ أن أهُزم بمثل تلك الرفسة).

ولكن كما قلت، كان فيلم The Whole Ten Yards بمثابة كارثة؛ لست متأكدًا إذا كان أقرب أفراد عائلتي وأصدقائي حتى قد ذهبوا لمشاهدته. في الواقع، إذا نظرت عن كثب بما فيه الكفاية، يمكنك أن ترى الناس يبعدون نظرهم عن الشاشة في العرض الأول. أعتقد أنه حصل بالفعل على تصنيف «صفر» على موقع Rotten Tomatoes.

وكانت تلك هي اللحظة التي قررت فيها هوليوود عدم دعوة السيد بيرى للمشاركة في الأفلام. كنت قد اتخذت الترتيبات اللازمة لحضور برنامج الاثنتي عشرة خطوة لتحديد مسار العمل للشفاء من الإدمان في اليوم التالي للتسجيل النهائي لمسلسل «فريندز»، مع نية صادقة ببدء حياتي الجديدة على الطريق الصحيح. لكن مواجهة يوم فارغ تمامًا كان صعبًا للغاية عليّ. في صباح اليوم التالي، استيقظت وفكرت: ما الذي سأفعله الآن بحق الجحيم؟

ماذا يمكنني أن أفعل بحق الجحيم؟ لقد كنت مدمنًا للبيوبرينورفين، ولا توجد وظيفة جديدة في الأفق. وهو ما كان سخيًا، مع أنني انتهيت للتو من واحد من أكثر مسلسلات السيت كوم المحبوبة في تاريخ التلفزيون. علاوة على ذلك، كانت علاقتي مع راتشيل متوترة؛ كانت المسافة الجسدية بيننا مشكلة، وكذلك التقارب العاطفي. كانت اللعنة لتنصب عليّ إذا فعلتها، وكذلك إن لم أفعلها. ثم أصبحت أعزب مرة أخرى.

مع عدم وجود ذلك النوع من الوظائف ذي الأجر المرتفع والأشبه بحلم قد تحقق، ومع عدم وجود شخص مميز في حياتي، تراجع الأمور بسرعة؛ في الواقع، لقد كان الأمر أشبه بالسقوط في الهاوية. ومرة أخرى تسلل إلى دماغي المريض جنون تناول أدوية أخرى أقوى. لم يمضِ وقت طويل قبل أن يحدث ما يبدو مستحيلًا مرة أخرى. بدأت في الشرب والتعاطي.

على الرغم من الشكل الذي آل إليه الأمر، لم أكن أبدًا انتحاريًا، حمدًا للرب؛ لم أرغب أبدًا في الموت. في الواقع، كان لديّ دائمًا في جزء في عقلي بعض مظاهر الأمل. ولكن، إذا كان الموت نتيجة للحصول على كمية الأدوية التي أحتاجها، إذا فالموت كان أمرًا سأضطر إلى قبوله. هذا هو مدى انحراف تفكيري؛ لقد تمكنت من الاحتفاظ بهذين الأمرين في ذهني في الوقت نفسه: لا أريد أن أموت، ولكن إذا اضطرت إلى ذلك من أجل الحصول على ما يكفي من الأدوية المخدرة، فعندئذٍ سأؤمن بأن أغيب تمامًا عن الجميع. أستطيع أن أتذكرني على وجه التحديد وأنا أحمل الأقراص في يدي وأفكر: ربما يقتلني هذا، ثم أتناولها على أي حال.

هذا خط جيد جدًا ومخيف جدًا من حياتي. لقد وصلت إلى مرحلة ما في الشرب والتعاطي حيث كنت أشرب وأتعاطى من أجل أن أنسى مقدار ما كنت أشربه وأتعاطاه. وقد تطلب الأمر قدرًا مميّتًا تقريبًا لتحقيق هذا النوع من فقدان الذاكرة.

كنت أيضًا وحيدًا جدًا لدرجة تؤلمني؛ شعرت بالوحدة في عظامي. أما من الخارج، كنت أبدو كأكثر الرجال حظًا على قيد الحياة، لم يكن هناك سوى عدد قليل من الأشخاص الذين يمكنني الشكوى إليهم دون أن يُطلب مني السكوت، وحتى مع ذلك... لم يتمكن أي شيء من أن يملأ الفجوة بداخلي. في فترة ما، اشتريت سيارة جديدة أخرى، استمر حماسي لها لحوالي خمسة أيام. كنت أنتقل بانتظام أيضًا؛ فحماس الحصول على منزل جديد بإطلالة أفضل استمر لفترة أطول قليلاً من السيارة البورش أو البتلي، ولكن ليس كثيرًا. كما أنني استقرت بداخلي على فكرة أن وجود علاقة بها أخذ وعطاء مع امرأة كانت شبه مستحيلة؛ كنت أفضل بكثير في التعامل مع علاقة «الأصدقاء بمنافع» Friends with benefits، لذلك أياً من كنت أواعدها لم تكتشف ذلك التفكير البطيء بداخلي بأنني غير كافٍ في العلاقة بشكل لا رجعة فيه.

كنت تائهاً. لم يكن هناك مكان ألجأ إليه. في كل مكان حاولت الاختباء فيه، أكون كما أنا. المدمنون للكحوليات يكرهون شيئين: الطريقة التي تسير بها الأمور وكيف تتغير تلك الأمور. كنت أعلم أن شيئاً ما يجب أن يتغير - لم أكن أفكر في الانتحار، لكنني كنت أموت - لكنني كنت خائفاً جداً من فعل أي شيء حيال ذلك.

كنت رجلاً في حاجة إلى تجربة الضوء الأصفر (ضوء الشمس الإلهي)، لذلك كنت ممتناً إلى الأبد لأنه حدث ذلك اليوم في منزلي، لأنه منحني فرصة جديدة للحياة. لقد تلقيت هدية التعافي مرة أخرى. السؤال الوحيد كان كالاتي: ماذا كنت سأفعل بها؟ فلم ينجح معي شيء على المدى الطويل من قبل. كنت سأضطر إلى التعامل مع كل شيء بشكل مختلف، وإلا سينتهي أمري. وأنا لا أريد ذلك. ليس قبل أن أتعلم أن أعيش، وأن أحب. ليس قبل أن يصبح العالم أكثر منطقية بالنسبة إليّ.

لو قتلني عادتي، لكنت قد قتلت الشخص الخطأ. لم أكن على طبيعتي تمامًا بعد؛ كنت مجرد أجزاء مني (وليس أفضل الأجزاء أيضًا). يجب أن يبدأ نهجي الجديد في الحياة بالعمل، لأنه يبدو أن هذا هو أسهل طريق للبدء منه. كان احتضان الجهد هو الأمل الوحيد بالنسبة إليّ. خصصت بعض الوقت للتعافي، وعدت أقف على قدمي مرة أخرى. كان لديّ أيضًا عدد قليل من الأشياء التي أشاركها مع «الأصدقاء بمنافع»، لكن أحدها بدأ يتحول ببطء إلى شيء أكبر. ربما أكبر من ذلك بكثير. كنت أعرف كيفية التعامل في علاقة الأصدقاء بمنافع، لكن هذا؟ هذا ما كان أقل وضوحًا بالنسبة إليّ. لقد بدأت أشعر أنني أريدها أن تبقى بعد ممارسة العلاقة. «لماذا لا تبقيين معي ونشاهد فيلمًا؟».

ماذا كنت أفعل؟ كنت أخالف كل القواعد.

كانت في الثالثة والعشرين من عمرها في حين كنت في السادسة والثلاثين عندما التقينا لأول مرة. في الواقع، علمت أنها كانت في الثالثة والعشرين من عمرها لأنني فاجأتها في حفل عيد ميلادها الثالث والعشرين. كان لقاءنا الأول من أجل التقبيل والملاطفة لاحقًا في الجزء الخلفي من سيارة تويوتا فوضوية حقًا (أرى أنني قد أنفقت كل هذه الأموال على سيارات فاخرة وها أنا في المقعد الخلفي لسيارة كورولا ذات لون بيج). عندما انتهينا، قلت: «سأخرج من السيارة الآن. في الغالب لأنني في السادسة والثلاثين من عمري».

لذلك بدأنا عامين من الاتصال الجنسي ربما بدرجة تحطم الرقم القياسي، من دون قيود، كلانا يتبع قواعد الأصدقاء بمنافع بالضبط. كنا متفقين. لم نذهب في موعد لتناول العشاء أبدًا، ولم نتحدث أبدًا عن عائلتنا. لم نناقش أبدًا ما حدث في حياتنا مع الآخرين. بدلًا من ذلك، كنا نتواصل برسائل نصية ونقول أشياء مثل «ماذا لو التقينا ليلة الخميس في تمام السابعة؟».

كانت جامدة المشاعر في البداية. أتذكر حوارًا في وقت مبكر حيث أخبرتها أنني أرتدي بدلة وأعتقد أنني أبدو بهيئة جيدة. فقالت: «أكره البدلات».

كسرت تلك المشاعر الجامدة بها، ولكن تطلب الأمر مني عدة أعوام.

إنه مكتوب في مكان ما في كتيب إرشادات الممثل - في الواقع، ربما يكون في الكتاب الذي أعطاني إياه والدي، وهو الكتاب الذي دعاه بـ«جيل جديد ينطلق إلى السماء» - أنه عليك محاولة القيام بأشياء جديدة وتوسيع إمكانياتك. إذا كنت قد برعت في الكوميديا، فعليك أن تتخذ المنعطف المباشر الصحيح وتصبح ممثلًا دراميًا. لذلك أصبحت هذه هي الخطة. لم أستطع التقاعد، وكان هناك الكثير من الوقت غير ملائم لأن يقضيه رجل بالغ مثلي في لعب ألعاب الفيديو. وكما قالت لي رفيقتي من الأصدقاء بمنافع ذات يوم: «أنت تعيش حياة شخص يشرب ويتعاطى، كل ما في الأمر أنه عليك ألا تشرب وألا تتعاطى» (كانت أيضًا ذكية جدًا، هل ذكرت ذلك؟).

كنت عند مفترق طرق. ماذا تفعل عندما تكون ممثلًا، وغنيًا ومشهورًا، لكنك لست مهتمًا بأن تكون غنيًا ومشهورًا؟

حسنًا، إما أن تتقاعد (وأنت صغير جدًا للقيام بذلك)، وإما أن تقوم بتغيير مسارك.

أبلغت مديري ووكلائي أنني الآن أبحث فقط عن عمل درامي.

خضت ذلك القرار مع نتائج جيدة في The West Wing و Ally McBeal و The Ron Clark Story، لذلك لم يبدأ الأمر نقلة جنونية. قمت بتجارب أداء لبعض الأفلام الجادة، لكنني لم أحصل على أي دور فيها. صورت بعض الأفلام المستقلة التي حاولت جاهدة أن تخرج للنور، لكن ذلك لم ينجح أيضًا. وبعد ذلك، جاءني سيناريو ممتاز بحق.

لم يراودني أبدًا حماس كبير هكذا تجاه مشروع، لقد كان جذابًا. كان المسلسل التلفزيوني Studio 60 on the Sunset Strip، من تأليف آرون سوركين وإخراج توماس شلام، وهو استكمال لمسلسلهم الصغير The West Wing. وبين العمليين حصلنا على ترشيح لحوالي خمس عشرة جائزة إيمي، لذلك أثار مشروعهم الجديد حالة جنون في خريف 2005 على عكس أي شيء آخر. لم أشاهد مطلقًا مشروعًا كان وراءه الكثير من القوة من قبل حتى أن يبدأ. تصارعت شبكتنا إن بي سي وسي بي إس مثل المصارعين الرومان للحصول على هذا المسلسل، وفازت شبكة إن بي سي في النهاية بما يصل إلى 3 ملايين دولار تقريبًا مقابل الحلقة. كل ذلك في الخريف، أينما استدرت، تجد شخصًا يتحدث عن Studio 7 on the Sunset Strip (اسمه الأصلي). كنت في نيويورك أنتهي من The Ron Clark Story وأقيم في فندقي المفضل في العالم، ذا جرينيتش، في منطقة تريبيكا.

أردت حقًا قراءة هذا السيناريو المثير. ولأنني كنت على الساحل الشرقي، لن يصل السيناريو إلى فندقي حتى الساعة 10:00 مساءً، لذلك انتظرت.

غيرَ آرون وتومي نظرة أمريكا تجاه مسلسلات التلفزيون مع مسلسل The West Wing، وغيرت أنا الأسلوب الذي تتحدث به أمريكا الإنجليزية من خلال تعليقات تشاندلر بينج. بدا وكأنه مزيج قوي. بحلول الساعة 11:30 مساءً، كنت قد قرأت السيناريو وقررت العودة إلى شبكة التلفزيون.

كانت الشخصيات الرئيسية مات ألبي، الكاتب الأساسي لـ Studio 7 (والدور الذي بدا أن آرون كتبه معي في عقلي)، وداني تريب، زميله في المسلسل، والذي سيلعب دوره اللطيف والرائع برادلي ويتفورد، وكلاهما جاء مرة أخرى ليجعل المسلسل المسمى Studio 60 on the Sunset Strip يشبه SNL.

قبل أن يتم البدء في تصويره، بدا العمل وكأنه مكتوب عليه «عمل عظيم مرشح للفوز بجائزة إيمي». كان به سوركين وشلام وأنا. ما الذي يمكن أن يحدث بشكل خاطئ إذا؟

كانت المشكلة الأولى هي الأجر. كنت أجني مالاَ وفيراَ من «فريندز» وأدركت أنني سأجد صعوبة في الحصول على هذا الرقم مرة أخرى، ولكن مع ذلك، الحقيقة أن كل شخص في هذا العمل الجماعي جاء من عرض تلفزيوني كوميدي كان يُطلب منه قبول الأجر نفسه... ذهبت المحادثة إلى شيء من هذا القبيل (فكر في هذا بطريقة حديث سوركين):

أنا: أريد حقًا أن أؤدي هذا الدور.

مدير أعمال: حسناً، لا أحد يقوم بهذا النوع من الأدوار أفضل من سوركين.

أنا: هكذا ستكون عودتي إلى التلفزيون؛ تلك هي وسيلتي للرجوع.

مدير أعمال: المشكلة الوحيدة هي العرض المقدم.

أنا: العرض؟ ما هذا؟

مدير أعمال: ما ستحصل عليه أجزًا في كل حلقة...

أنا: أعرف ذلك، شكرًا لك. ما قصدته هو ما الرقم؟

مدير أعمال: 50000 دولار في الحلقة الواحدة.

أنا: لقد حصلت على أكثر من مليون دولار في الحلقة الواحدة في «فريندز». ألا يمكننا أن نزيد المبلغ؟

مدير أعمال: لا يبدو الأمر كذلك. يريدون أن يكون هذا المسلسل عملاً جماعياً وهذا ما سيعرضونه على الجميع.

أنا: لا أستطيع أن أصدق أنني يجب أن أتنازل عن أفضل سيناريو تلفزيوني قرأته على الإطلاق.

لم يستسلم مدير أعمال، باركه الرب. وأشار إلى المنتجين أنه على الرغم من أن Studio 60 on the Sunset Strip قد تم تخيله بالفعل كمسلسل جماعي، بمجرد أن أظهر في الإستوديو سيدور الأمر كله حول شخصيتي، وهو ما حدث في النهاية. مع وضع هذه الحجة في الاعتبار، بعد حوالي ستة أسابيع من المفاوضات، جعلناهم يتراجعون عن فكرة الجماعة تلك. كان من المقرر أن أكون نجم المسلسل، وحصلنا

منهم على ما يصل إلى 175000 دولار. بدا حينئذ أن هذا مبلغ مذهل من المال ليُدفع أسبوعيًا، ولكن على بعد ثلاثة إستوديوهات أخرى، كان مات لوبلانك يتقاضى 600000 دولار في الأسبوع لدوره في مسلسل Joey. لكن في النهاية، الكتابة هي ما تنتصر (كل ممثل يبحث فقط عن مادة جيدة)، وقبلت الأجر المنخفض (وقد استأجروا صديقتي العزيزة أماندا بيت لإكمال طاقم الممثلين).

صورنا الحلقة التجريبية، كنت أهتم بتلك الحلقة التجريبية أكثر من أي حلقة أخرى صورتها في حياتي، سارت بشكل جيد. كانت هناك طاقة في أثناء العمل، أحدثت ضجة نادرة في التليفزيون، وقد أحبه المشاهدون أيضًا. إطلاقه كان ضخماً. (كل المسلسلات التي صورتها بعد «فريندز» كان إطلاقها ضخماً ثم فجأة لم تعد كذلك). ثم جذبت الحلقة الثانية من Studio 60 حرفياً نصف عدد المشاهدين الذين جذبتهم في الحلقة الأولى. لم يهتم أحد بالمسلسل. استغرق الأمر مني سنوات لمعرفة السبب.

كان هناك عيب فادح في Studio 60 on the Sunset Strip، عيب لا يمكن إصلاحه بأي قدر من الكتابة الجيدة أو الإخراج الجيد أو التمثيل الجيد. وفي The West Wing، كانت المخاطر كبيرة بقدر ما يمكن أن تتخيل: قنبلة نووية موجهة إلى أوهايو وعلى الرئيس أن يصلح هذا الهراء؟ كان الناس في أوهايو يجتمعون في عمل كهذا فقط لمعرفة ما يمكن أن يحدث بالضبط إذا تمت دعوتهم ليلمعهم بصاروخ قاذف عابر للقارات.

القليل جداً يعلمون - بمن فيهم أنا - أنه بالنسبة إلى قطاع صناعة المسلسلات، إيجاد الدعاية المناسبة هو مسألة حياة أو موت. هؤلاء الناس موهوبون وغريبو الأطوار. لكن الناس في كانتون بأوهايو، الذين يشاهدون Studio 60 on the Sunset Strip ربما فكروا هكذا: إنها مجرد مزحة، لماذا لا يهدأ الجميع؟ إنه ليس بالأمر الجلل، ما خطبكم جميعاً؟ لم يكن هذا أشبه بمسرحية مجموعة «مونتي بايثون» الكوميديا التي تدور حول «إرنست سكريلير» الذي كتب مزحة مضحكة للغاية لدرجة أنها قتلت النازيين. (أما البريطانيون فهم محصنون من قوة هذه المزحة لأنهم لا يتحدثون الألمانية. والألمانية الحقيقية التي قيلت بها المزحة القاتلة هي مجرد ترثرة، وهو المضحك أيضاً). ربما كانت هناك مجموعة متفانية من المشاهدين في مبنى روك سينتر أو يعملون على باب النادي الكوميدي ذا كوميدي ستور أون صنسيت، ولكن ما عدا ذلك، لم يصل المتوقع في الأساس من المسلسل إلى مستوى الرهانات على حصص عدد المشاهدين. لم تفلح أبداً محاولة ربط The West Wing بمسلسل كوميدي.

على مستوى محبب، وجدت أيضاً أن بيئة عمل Studio 60 on the Sunset Strip تختلف تماماً عن «فريندز»، أو حتى The Whole Nine Yards. يدير آرون بيئة عمل ضيقة ومحبكة للغاية - وهذا ما يحبه تماماً - لدرجة أنه كان هناك شخص ما في موقع التصوير معه السيناريو للتأكد إذا كان النص الأصلي يقول «إنه غاضب» وأنا، أو شخص آخر، جعله «هو غاضب». كان علينا إعادة تصوير المشهد بأكمله؛ فقد كان يجب أن يتم ذلك تماماً كما هو مكتوب. (لقد أطلقت على مساعدة الإنتاج التي كانت وظيفتها ذلك التصحيح «الصقر»، وبصراحة، يا لها من وظيفة مزعجة، حيث كان عليها أن تكون مراقبة في القاعة لمجموعة من المبدعين الذين يمثلون بكل ما لديهم من موهبة). مع الأسف، كان الأداء المختلف قليلاً الخارج عن النص هو الأفضل

للجميع، ولكن لا يزال الذي تم استخدامه هو الكلمة المثالية في المشهد، وليس الأفضل تمامًا. في نظام آرون سوركين ككاتب وتومي شلام كمخرج، لم يكن الممثل هو المحور مطلقًا، لذلك كان الأمر يتمثل أكثر في الوصول إلى النص الصحيح، كما لو كانا شكسبير. في الواقع، لقد سمعت أحدهم يقول في موقع التصوير إن هذا أشبه بـ«شكسبير»...

كان لدي أيضًا وجهة نظر مختلفة عن العملية الإبداعية بشكل عام؛ كنت معتادًا على طرح الأفكار، لكن آرون لم يلتفت لأي منها. كانت لدي أفكار أيضًا حول مسار شخصيتي، لكن لم يُرحب بها. المشكلة هي أنني لست مجرد رأس يتحدث. لدي عقل وفكر، وخاصة في الكوميديا. آرون سوركين كاتب أفضل مني بكثير، لكنه ليس أكثر مرحًا مني (كان قد قال ذات مرة إن «فريندز» كان مسلسله المفضل). وفي Studio 60، كنت أَلعب دور كاتب كوميدي. اعتقدت أن لدي بعض الأفكار المضحكة، لكن آرون رفضها جميعًا بنسبة 100 بالمائة. هذا حقه، وليس من قبيل الصدمة أنه يجب أن تعمل مجموعته بهذه الطريقة. كنت فقط خائب الأمل (أخبرني توم هانكس أن آرون فعل الشيء نفسه معه).

اعتقد أنني كنت محظوظًا لأنني تعلمت بالفعل أن التواجد في مسلسل تليفزيوني ناجح لم يصلح أي شيء. عرض المسلسل وحقق نجاح البدايات، حيث نجحت الحلقة الأولى في حصد ثلاثة عشر مليون مشاهد وأربعة عشر كحصة أرباح، وهو ما يعد حصة قوية. كما كانت المراجعات والآراء إيجابية أيضًا. قالت مجلة فارايتي: «من الصعب عدم التسمر أمام مسلسل Studio 60 on the Sunset Strip، عمل يجمع بين حوار آرون سوركين الصاخب والاستعداد لطرح الأفكار الكبيرة من خلال فريق عمل يتخطى النجوم. أما صحيفة شيكاغو تريبيون فقالت ما هو أبعد من ذلك، فكتبت لي رسالة حب قائلة: «Studio 60 ليس جيدًا فحسب، بل من المحتمل أن يصبح عملاً كلاسيكيًا للشاشة الصغيرة».

لكن ظلت المشكلة قائمة: لقد كانت محاولة لأن يكون مسلسلًا حقيقيًا عن الكوميديا والعمل التليفزيوني الجيد، كما لو أن هذين الأمرين لهما الأهمية نفسها للسياسة العالمية. قرأت مؤخرًا نقدًا بناءً حقًا حول Studio 60 على موقع Onion's A.V. Club في عامود. كتب مؤلفه، ناثن راين، بعد سنوات قليلة من بث المسلسل، يوافق على أن الحلقة الأولى كانت عملاً خاصًا ومميزًا.

مع الكثير من الجمهور، شاهدت الحلقة الأولى في حالة من الترقب المحموم في ليلة عرضه الأول في 18 سبتمبر 2006. عندما انتهى، لم أستطع الانتظار لمشاهدة ما سيحدث بعد ذلك. أعدت مشاهدته... قبل بضعة أشهر [و] أكثر ما تجاوبت معه بعمق عند تكرار المشاهدة هو الإحساس اللامتناهي بالاحتمالات القوية. كان من المقدر لـ Studio 60 النجاح في أي وقت. يمكنه أن يصل إلى أي شيء. ويمكنه ذلك مع أحد أبرز الممثلين في الذاكرة الحديثة. لا تزال الحلقة الأولى بـ Studio 60 تشع باحتمالية «الفرصة الثانية»، حتى لو كان العمل محكومًا عليه بعدم الشهرة بشكل قاتل.

لكن راين يشير أيضًا إلى أن المسلسل ربما أخذ نفسه على محمل الجد، مع أنه كان من المفترض أن يكون حول المزاح والكوميديا، كما أن سيطرة سوركين المطلقة على المسلسل لم تترك مجالًا لأي شخص آخر.

امتدت غطرسة المسلسل إلى قيام آرون سوركين بكتابة كل حلقة. بالتأكيد نال فريق الكتاب فرصة وضع جملة «قصة من تأليف فلان» بين حين وآخر، لكن Studio 60 كان في النهاية عملاً يديره رجل واحد. يهيمن عليه صوت سوركين... بطريقته الغربية الخاصة، يحمل Studio 60، على الرغم من كونه ملحمة رائعة، حماقة رائعة منقطعة النظير أكثر من كونه عملاً رائعاً.

لقد تغير الزمن أيضاً. جاء بثنا في الوقت الذي تحول فيه التلفزيون إلى شكل آخر مختلف. إذ بدأت فكرة «حجز موعد عرض على التلفزيون»، مثل «فريندز» أو The West Wing، في الانهيار. كان الناس يسجلون المسلسلات لمشاهدتها لاحقاً؛ أثر هذا على نسب المشاهدة والتقييم، والتي أصبحت أهم شيء في المسلسل، أكثر أهمية من المسلسل نفسه، وهو ما كان جيداً.

بحلول نهاية الموسم الأول والوحيد، كان المشاهدون يميلون إلى الاتفاق مع تقييم راين، وانخفض عدد مشاهدنا إلى أربعة ملايين، و5 بالمائة فقط من أجهزة التلفزيون التي كانت مهتمة بعرض المسلسل. لقد حُكم علينا بالفشل.

لم أشعر بالحزن بسبب عدم النجاح؛ فكما قلت، لقد أدركت أنه ليس بوسع المسلسل التلفزيوني النجاح أن يملأ روحي. وعلى أي حال، كان هناك شيء آخر يملأ روحي.

عامان من علاقة «الأصدقاء بمنافع» تحولت إلى حب. كانت تلك الفترة واحدة من أكثر الفترات «الطبيعية» في حياتي. صحيح أنني في بعض الأحيان كنت أقع في بعض الهفوات، فربما أتناول قرصين من الأوكسيكوتنين، والذي بسببها أضطر بعد ذلك إلى القيام بعملية تخلص من السموم لمدة ستة أيام، لكن العلاقة تعمقت لدرجة أنه أصبح هناك الآن سؤال كنت بحاجة ماسة لطرحة عليها.

قلت ذات يوم: «أعتقد أننا يجب أن نتوقف عن خداع أنفسنا. نحن نحب بعضنا بعضاً»، ولم تختلف معي في الرأي. لقد أحببتها كثيراً. هذا يعني أنه كان بالإمكان تجاوز أي مسائل حميمية لدينا من خلال حقيقة أننا كنا في الواقع مغرمين وعلاقتنا تستمر في التطور. لكن ظل خوفي من أن تهجرني في مكانه أيضاً، ومن يدري؟ ربما كانت خائفة من أن أهجرها كذلك.

ومع ذلك، جاءت اللحظة.

في عيد الميلاد، دفعت مبلغاً كبيراً لفنان ليرسمنا نحن الاثنين. لطالما كانت علاقتنا تعتمد على الجنس والرسائل النصية - على الأقل خلال السنوات الأربع الأولى - وعلمت من مدير أعمالي أننا تبادلنا ما يقرب من 1780 رسالة نصية. لذلك، في اللوحة، في الزاوية اليمنى السفلية، كانت هناك، جالسة مع نسخة من صحيفة نيويورك تايمز وبعض المياه المعبأة، كما فعلت دائماً، وفي الزاوية اليسرى السفلية، كنت أرتدي تيشيرت طويل الأكمام وتيشيرت نصف كم آخر فوقه، وهو ما كنت أرتديه دائماً، وأحمل ريد بول وأقرأ صحيفة سبورتنس إلاستريتيد... وطوال الوقت، كنا نراسل بعضنا بعضاً. أضاف الفنان 1780 قلباً، واحداً لكل نص، ودمجها جميعاً لتكون قلباً واحداً ضخماً. لم أنفق هذا الكم من المال على هدية من قبل. لقد أحببت هذه المرأة، وأردت أن تعرف ذلك.

كانت خطتي أن أعطيها اللوحة ثم أطرح السؤال المعتاد. تعلمون ذلك السؤال. لست بحاجة إلى إخباركم كيف تسير الأمور، خاصة لأنه... حسناً، لم أطرح هذا السؤال من قبل أبداً. قدمت لها الهدية، وقد تأثرت بها حقاً قائلة: «ماتي، قلبي الصغير، ما الذي تفعله بقلبي الصغير؟».

ثم حان الوقت. كل ما كان عليّ فعله هو أن أقول: «عزيزتي، أنا أحبك. هل تقبلين...؟» لكنني لم أقل. تسللت إليّ كل مخاوفي مثل الأفعى، الأفعى التي كنت أخشى أن تأتي إليّ في العام السابق قبل أن ألتقيها، الوقت الذي رأيت فيه الرب ولكنني تعلمت منه بشكل غير كافٍ. تحولت على الفور إلى وضع تشاندلر بينج اللعين.

قلت لها إثر ذعرها: «مهلاً، تريشي! انظري إلى هذا!» واستحضرت أسلوب تشاندلر اللعين مرة أخيرة. أضعت اللحظة. ربما كانت تتوقع ذلك، من يدري؟ كنت على بعد ثوانٍ؛ ثوانٍ، ثم حياة أبدية. غالباً ما أفكر أنه إذا كنت قد سألتها، لكان لدينا الآن طفلان ومنزل بلا إطلالة، من يدري؟ لن أحتاج إلى الإطلالة وقتها، لأنني سأنظر إليها هي، وإلى الأطفال أيضاً. بدلاً من ذلك، أنا الآن شخص أحمق يعيش بمفرده في منزله في الثالثة والخمسين من عمره، وينظر إلى الأسفل إلى المحيط غير الهادئ...

لذلك لم أطرح السؤال. كنت خائفاً للغاية، أو مكسوراً، أو منهزماً. ظللت مخلصاً لها تماماً طوال الوقت، بها في ذلك العامين الماضيين، وهما عامان لم أعد أرغب فيهما لسبب ما في ممارسة الجنس معها، عامان لا يمكن فيهما لأي قدر من العلاج للأزواج أن يفسر سبب عدم طرحي ذلك السؤال اللعين، ولماذا أنظر إليها الآن على أنها أفضل صديقة لي فقط. صديقتي؛ أعز أصدقائي. ولم أكن أريد أن أفقد أعز أصدقائي، لذلك حاولت أن أجعل تلك العلاقة تستمر لمدة عامين.

لم أكن أعرف وقتها لماذا انتهى الجنس، لكنني أعلم الآن: الخوف الزاحف، المزعج، الذي لا نهاية له من أنني إذا اقتربت، ستري حقيقتي، وتتركني. كما ترى، لم أكن أحبني كثيراً في ذلك الوقت. أيضاً، أصبح فارق السن بيننا مشكلة. لطالما أرادت الخروج والقيام بعدة أمور بينما كنت أتوق أنا إلى المزيد من الحياة المستقرة.

لكن كانت هناك مسائل أخرى أيضاً. كان تفكيرها الأحادي يتركز حول حياتها المهنية وهو ما اختلف عن نظرتي للحياة في ذلك الوقت، وهو ألا أفعل شيئاً تقريباً. كنت متقاعداً رسمياً، لم أعتقد حقاً أنني سأعمل مرة أخرى. كنت ثرياً بجنون، لذا لعبت ألعاب الفيديو فقط واستمتعت بوقتي مع نفسي.

ماذا سأفعل الآن؟

بذل الجهد.

كُتبت وأنتجت مسلسلاً تليفزيونياً بعنوان Mr. Sunshine. أؤيد النظرية القائلة بأن الحياة تدور حول الرحلة وليس الوجهة، وما لم أفعله بعد هو الكتابة، لذا كان هذا بداية جهدي. كتابة مسلسل لشبكة تليفزيونية حول ما تريد بالفعل أن تكتب عنه يكاد يكون مستحيلًا. فهناك الكثير من الطهارة في ذلك المطبخ - المديرين التنفيذيين والكتاب الآخرين الذين يصرون جميعاً على أن يكون لهم رأي - لدرجة أن حقيقة ظهور رؤيتك الفعلية على الشاشة تقتصر فقط على أشخاص مثل سوركين.

يتمحور Mr. Sunshine حول شخصيتي، رجل يدعى بين دونوفان، يدير ساحة رياضية في سان دييجو؛ وأليسون جاني تؤدي دور رئيستي. إحدى نقاط الضعف الرئيسية لدى بين هي عدم قدرته على أن يكون متاحًا لكل النساء... وقد تمكنت حتى من أن أدس دعاية خفية بعد الحصول على الاعتمادات: كانت شركة الإنتاج الخاصة بي تسمى Anhedonia Productions، واللوجو الذي صممناه كان يحمل رسمًا كارتونيًا لي وأنا أتهد من الملل على لعبة قطار الموت. ولكن على الرغم من أنني وضعت نفسي بالكامل فيه، فقد حقق المسلسل نجاحًا كبيرًا لمدة أسبوعين تقريبًا قبل أن يقرر العالم بأكمله أنهم لا يريدون مشاهدته.

لكنها كانت تجربة قيّمة للغاية، لأنني تعلمت كيفية بدء مسلسل تلفزيوني من الألف. إنه من أحد تلك الأشياء التي قد تبدو سهلة ولكنها في الواقع صعبة للغاية، مثل الرياضيات، أو إجراء محادثة حقيقية مع شخص آخر. لقد استمتعت، لكنها كانت محاولة ماراثونية، وأنا عدا. وسرعان ما تحولت فيها من رجل متعافٍ وثري يلعب ألعاب الفيديو إلى رجل مشغول بشكل لا يصدق، والذي لم يكن فكرة رائعة. في الواقع، سرعان ما أصبح للمسلسل أولوية على التعافي، ونتيجة لذلك انتكست، مرة أخرى.

استمررت في العمل على مسلسل آخر (هكذا كان يدعى العمل: Go On) حول إذاعي رياضي يحاول التغلب على وفاة زوجته. كانت شبكة إن بي سي تدفع هذا العمل بقوة، حتى أنها قامت ببثه خلال دورة الألعاب الأولمبية، وشاهد ستة عشر مليون شخص العرض الأول. لكن أن تصنع عملاً كوميديًا عن التعافي من الحزن؟ بالنسبة إلى الحلقة الأخيرة، في أبريل 2013، شاهدته نسبة ضئيلة تبلغ مليونين ونصف. مرة أخرى، مسلسل أقوم ببطولته يبدأ بشكل ضخم ثم يتم إلغاؤه. مع عدم وجود شيء لأفعله، ولا شخص أحبه، انتكست مرة أخرى. انجرفت بسرعة هذه المرة، ومن هنا دخلت دار إعادة التأهيل في ولاية يوتا.

هناك التقيت بمستشار نفسي يدعى بيرتون، شخصية تشبه يودا من فيلم حرب النجوم أخبرني أنني أحببت الدراما والفوضى التي تسببت فيها مشكلة إدماني. قلت: «عما تتحدث؟ لقد دمر الإدمان حياتي. لقد سلّبتني كل شيء جيد كان لدي».

كنت غاضبًا منه حقًا.

لكن ماذا لو كان على حق؟

فاصل الجيوب

كنت أجلس في غرفتي في مركز العلاج بنيويورك، أسعى للحصول على مواد أفيونية. لم تنجح عملية التخلص من السموم، وكان جسدي يصرخ طلبًا للمخدرات. أخبرت الطبيب، وأخبرت المستشار النفسي، دون الحاجة حقًا لإخبارهما بأي شيء؛ فكنت أتحرك وأرتجف، وأنسحب بوضوح. لم يفعلوا شيئًا. كنت ضائعًا، مريضًا. حان الوقت لاتعامل مع الأمور بنفسني. التقت الهاتف وقمت ببعض الترتيبات.

كانت القاعدة أنه إذا غادرت المبنى، فعليك إجراء اختبار البول فور عودتك. فخرجت، وقابلت السيارة، وسلمت بعض النقود، واستلمت بعض الأقراص، وغادروا. وعدت إلى مركز العلاج وتوجهت مباشرة إلى الحمام، وقمت باختبار البول، ثم ابتلعت الثلاثة أقراص. عبقرني، أليس كذلك؟ لا تحكموا سريعًا.

بمجرد أن بدأ مفعول الأقراص، بدأ جسدي في الشعور بالدفء مرة أخرى، في تلك اللحظة التي توقف فيها جسدي عن الارتجاف، سمعت دقًا على بابي.

أوه تبا. اللعنة، تبا، يا للهول!

جاء المستشار ومعه إحدى الممرضات.

وقال: «اتصل أحدهم، وأبلغ أنه رأى ترويجًا للمخدرات خارج الدار، أريد تفقد معطفك». سحقًا!

«حقًا؟» قلتها بعينين متسعيتين مدعيًا الاندهاش. «حسنًا، لن تجد أي أقراص معي، أنا على ما يرام». قلت ذلك وأنا أعلم بالفعل أنهم سيجدون أقراصًا معي، وأنني لم أكن على ما يرام، ولا حتى بنسبة قريبة. من المؤكد أنه كانت هناك أقراص في جيبي (وضعتها به). أخذوا الأقراص معهم وأخبروني أنهم سيتعاملون مع هذا الأمر في الصباح. هذا يعني أنني سأظل منتشيًا لمدة أربع ساعات أخرى، ولكن سيكون هناك جحيم سأدفع ثمنه في اليوم التالي.

في الساعة 10:00 من صباح اليوم التالي، تجمعت كل القوى العاملة الموجودة في هذا المكان الفظيع ووقفوا في دائرة. كانت رسالتهم بسيطة: أنت مطرود.

قلت: «هل تطردونني؟ لا أستطيع أن أصدق أذني اللعنتين. هذه دار إعادة تأهيل من تعاطي المخدرات، أليس كذلك؟ لماذا أنتم جميعًا مندهشون للغاية من تعاطي أحدهم المخدرات هنا؟ أخبرت اثنين منكم أنني مريض ولم تفعلوا شيئًا؛ ماذا كان من المفترض أن أفعله بحق الجحيم؟ ورجاء، من أجل محبة الرب، أزيلوا

تلك النظرات المصدومة عن وجوهكم. أنا مدمن مخدرات، وتعاطيت بعض المخدرات، وهذا ما يفعله المدمنون!».«

أجريت بعض المكالمات الهاتفية، وتم إرشادي إلى دار إعادة تأهيل أخرى غير معروفة في بنسلفانيا. ولكن هناك تم نقلي إلى ولاية أخرى مثل كرة تقذفها آلة الكرات. ماذا عن المكان الذي انتقلت إليه؟ كان يسمح بالتدخين. بعد لحظات من وصولي، دخنت أول سيجارة لي منذ تسعة أشهر، وشعرت بحالة جيدة للغاية.

ولكن كانت هناك مشكلة صغيرة: لقد كنت مدمناً لستة مليجرامات من مادة الأتيفان في ذلك الوقت، ولم يكن هذا المكان الجديد يقدم الأتيفان، وهو شيء ربما كان من الممكن أن تتأكد منه تلك الدار في نيويورك قبل إرسالهم، لكنهم لم يفعلوا ذلك. قادتني تجاربي الخاصة وسنوات من المحادثات مع مدمنين آخرين إلى الاعتقاد بأن معظم هذه الأماكن عبارة عن هراء تام على أي حال. اللعنة، إنهم يعزمون بشدة على الاستفادة من المرضى المحتاجين وصرف أموالهم. النظام برمته فاسد ولعين تماماً.

خذها مني. أنا خبير. لقد أنفقت ملايين الدولارات في هذا «النظام».

هل ساعدني المال، أم أذاني؟ لا يوجد سبيل يجعل أموالني تنفذ بسبب تعاطي المخدرات أو الكحوليات. هل هذا يجعل الأمر أكثر صعوبة؟ أنا سعيد لأننا لن نعرف أبداً.

الأوديسة

بعد مسلسل «فريندز»، وبعد الأفلام، وبعد تلك العلاقة التي دامت ست سنوات، أسقط وأنهض مجددًا وأنهض وأسقط - بعد كل شيء - خلال السنوات الست التالية وجدت نفسي مرتبطًا برحلة ملحمية مثل الأوديسة. على عكس ما قد يبدو عليه الأمر، لم أكن رجلاً لديه الكثير من المال وليس لديه الكثير ليفعله؛ في الواقع، كان عليّ أن أعمل أكثر من أي وقت مضى. لا، بل كنت رجلاً يسقط من على سفح الجبل، يضيع في نهر هائج، على أمل العثور على مأوى على أي صخرة آمنة وجافة.

بين Go On و Mr. Sunshine، توجهت إلى سيرك لودج، في منطقة صن فالي بولاية يوتا؛ دار إعادة التأهيل رقم ثلاثة، إذا كنت تسجل ورائي في المنزل. يقع لودج عند قاعدة جبل تيمبانوجوس، في جبال روكي بيوتا. لست رجلاً محبًا للطبيعة بشكل كبير - من حيث المواقع الهادئة، أفضل المحيط، أو على الأقل إطلالة على المحيط - لكن هذا المكان كان مذهلاً. كان الهواء رقيقًا وحقيقيًا، وحادًا كالسن، ومطهرًا. هناك ديوك رومي في كل مكان، تلتهم بشراسة إلى أن صارت منتفخة (تطير من حين لآخر أيضًا، من كان يعلم أن الديوك الرومي يمكنها الطيران؟)، وكذلك وجدت النسور الذهبية، وفي بعض الأيام، رأيت حيوان الموظ يتجول، بثقل وبطء (لا، بالفعل كان هناك موظ؛ لم أكن أهذي).

بالإضافة إلى جمال المكان، كان سيرك لودج يفتخر أيضًا بموظفيه المحترفين؛ فقد كانوا يعرفون ما يفعلونه. انتهى بي المطاف مع مستشاري بيرتون (الذي إذا كان وجهه أخضر، سأقسم أنه شخصية يودا) الذي كان متعاونًا للغاية معي في كل من المشكلات الحقيقية التي أحضرتها معي، والمشكلات التي خلقتها طوال الوقت. (إنه واحد من بين الرجال الذين قلت لهم «أنا أحبك»). وصلت هناك خائفًا للغاية (وهو شعور مسبق لدخول أي دار إعادة تأهيل، شعور بعدم الارتياح الشديد)، فجعلني صوت بيرتون الهادئ أشعر بتحسن بسيط على الفور.

كان شعار «اكتشف، واكتشف، وتجاهل» من الشعارات الرئيسية في سيرك لودج كالماترا، كنت متحمسًا للاعتقاد أنه بإمكانني على الأقل فعل تلك الخطوة الأخيرة بالشعار؛ لقد حان الوقت للتخلص من كل هذا الهراء، مرة واحدة وإلى الأبد. في هذه المرحلة، كنت خبيرًا في برنامج الاثنتي عشرة خطوة (وكل شيء آخر يميلون إلى التركيز عليه في دار إعادة التأهيل)... لدرجة أنني في أثناء تواجدي في سيرك لودج، قضيت الكثير من وقتي في مساعدة المبتدئين ومحاولة الحصول على القليل من المرح. أحضرت طاولة بينج بونج و اخترعت لعبة تدور حول كرة حمراء قمنا برميها ذهابًا وإيابًا، وكل ذلك أبقى زملائي متحمسين لساعات متتالية وأعطوني دفعة قوية. كنت أرغب في المساعدة كثيرًا؛ كنت جيدًا في هذا.

كان لديّ انطباع بأنه خلال هذه الإقامة كنت سأضطر إلى القيام بعمل عميق يخص صدماتي النفسية، والعودة إلى طفولتي، والتخلص من كل ذلك الألم القديم وشعور الوحدة، وبالتالي بدء العملية المؤلمة للغاية

المتمثلة في ترك كل هذه الأشياء تذهب لحالها. كانت فكرة العلاج هي أنني إذا تجاوزت هذه الأحداث الصادمة، فلن أشعر بالحاجة إلى تغطيتها بالمخدرات والكحوليات.

لكن بيرتون رأى الأمور بشكل مختلف. اتهمني بإعجابي بالدراما الناتجة عن إدماني وسألني كيف يمكنني الاستمتاع كثيرًا في أثناء تواجدي في سيرك لودج، مع شعوري بالقلق الشديد من كل ما حدث تقريبًا في العالم الحقيقي.

كان هذا السؤال مسيئًا لي على الفور. هل أحببت كل هذا؟ كيف يمكن لبيرتون أن ينظر إلى عقود من الإدمان والرعب، وافتقاري إلى السيطرة، وتعذيبي الداخلي الواضح، ويقول إنني أحببت كل هذا؟ خلال أسبوع العائلة والأصدقاء بالدار، من الطبيعي أن يقوم المرضى بدعوة الناس للحضور والزيارة، لكنني قاومت ذلك بشدة. زارني والدي في دار هيزلدين، وأمي في دار بروميسيس ماليبو، وكانت صديقتي آنذاك قد أمضت ساعات لا حصر لها وهي تشاهدني بينما أتخلص من السموم مع عدد لا يحصى من ممرضات المنزل والرفاق المتعافين. لم أريد أن أضعهم في هذا الموقف مرة أخرى. كان مؤلمًا جدًا، صعبًا جدًا، غير عادل تمامًا. كنت أريدهم أن يأخذوا استراحة؛ هذا أقل ما يمكنني أن أفعله لهم. لقد أوقعت نفسي في هذه الفوضى، لذا سأخرج نفسي.

ولكن ذات يوم في أحد أيام أسبوع الأصدقاء والعائلة، وجدت نفسي جالسًا بالخارج، وحدي، على أمل أن يظهر حيوان الموظ أو يقوم الديك الرومي بعمله المزعج في الأشجار. كان اليوم شديد البرودة، تحت الصفر، لكنني ما زلت بحاجة إلى التدخين، لذلك لم يكن هناك ما أفعله سوى أن أحتضن نفسي وأدفعها... بينما جلست هناك أدخن مارلبورو، بدأ ثلج خفيف في التساقط، وجلب معه صمتًا شديدًا، كما لو أن الكون كان يستمع بصبر إلى رأسي وقلبي.

ترى ما الذي سمعه الكون؟

بدأت أفكر في سبب عدم رغبتني في أي زائر خلال هذه الإقامة، وصدمني شيء عميق... لماذا أعفي عائلتي وأحبائي من الاضطرار إلى المرور بهذا الجحيم، ولا أفعل ذلك مع نفسي؟

بهذه الفكرة، أدركت أن مقولة بيرتون كانت صحيحة؛ لقد أحببت الفوضى. حان الوقت لأمنح نفسي استراحة. لم تعطني الأدوية المخدرة ما كنت بحاجة إليه لفترة طويلة، ومع ذلك ظللت أعود إليها وأخاطر بحياتي من أجل... ماذا؟ الهروب؟ الهروب من ماذا؟ كان أسوأ شيء اضطررت إلى الهروب منه هو إدمان الكحوليات والإدمان، ولهذا تعاطيت المشروبات الكحولية والمخدرات للقيام بذلك... حسنًا، يمكنك أن ترى اللامنطقية هنا. لم يكن أي من هذا منطقيًا على الإطلاق. كنت ذكيًا بما يكفي لرؤية ذلك؛ القيام بشيء حيال ذلك... كان ذلك مستوى آخر من الحسابات الرياضية الذي لم أكتشفه بعد. لا يزال التغيير مخيفًا، حتى عندما تكون حياتك على المحك.

لكن على الأقل كنت في النهاية أطرح أسئلة جيدة، حتى لو لم تكن الإجابات واضحة تمامًا. كنت أعرف في أعماقي أن الحياة تدور حول المتع البسيطة المتمثلة في رمي كرة حمراء ذهابًا وإيابًا، ومشاهدة الموظ يجري ويقفز على الأرض مقطوعة الشجر. كنت بحاجة إلى أن أترك نفسي بعيدًا عن كل الأشياء التي تسبب

الضرر، مثل الاستمرار في الغضب من والديّ، وعدم وجود مرافقين طوال تلك السنوات الماضية، وكوني غير كافٍ، والخوف من الالتزام بالعلاقات لأنني كنت مرعوبًا من نهاية ذلك الالتزام بالعلاقة.

كنت بحاجة إلى أن أتذكر أن والدي غادر لأنه كان خائفًا، ووالدي كانت طفلة تبذل قصارى جهدها. لم يكن خطأها أنها اضطرت إلى تخصيص الكثير من الوقت لرئيس الوزراء الكندي اللعين؛ لن تكون وظيفة من الساعة التاسعة إلى الخامسة، حتى مع وجود طفل في المنزل. لكنني لم أستطع رؤية كل هذا آنذاك، وها نحن هنا...

كنت بحاجة إلى المضي قدمًا، وإلى الأعلى، وإدراك أنه كان هناك عالم كبير ولم ينبذني. في الواقع، لم يكن للعالم أي رأي عني. لقد كان مثل الحيوانات والهواء شديد الحدة؛ الكون كان محايدًا وجميلاً، واستمر معي أو من دوني.

في الواقع، كنت على قيد الحياة في عالم تمكنت فيه - على الرغم من حياديته - من إنشاء مكان مهم وذو معنى لنفسي. كنت بحاجة إلى إدراك أنه عندما أموت، أريد أن يكون إنجاز مسلسل «فريندز» في أسفل قائمة الأشياء التي أنجزتها. كنت بحاجة إلى تذكير نفسي بأن أكون لطيفًا مع الناس؛ فعندما يقابلني أحدهم تكون تجربة سعيدة، وليست تجربة تملأني بالضرورة بالرهبة، كما لو كان هذا هو كل ما يهم. كنت بحاجة إلى أن أكون لطيفًا، وأن أحب جيدًا، وأن أستمع بشكل أفضل، وأن أعطي دون قيد أو شرط. لقد حان الوقت للتوقف عن أن أكون أحق خائفًا وإدراك أنه مع ظهور المواقف، سأكون قادرًا على التعامل معها، لأنني قوي.

في النهاية تباطأ الثلج، وخرج من الظلام الدامس الموظ يسير بصمت في الحدائق. كانت أنثى، بذاك الوجه الطويل الهادئ، وكأنها رأت كل شيء مرة واحدة على الأقل ولم يزعجها أي شيء. فكرت: هناك درس في ذلك. خلفها، كان هناك زوج من العجول يواكبان حركتها، ممتلئين بتلك الطاقة التي لا يمتلكها سوى الأطفال. نظرت الحيوانات إليّ جميعًا، وأنا أجلس هناك في الشفق، ثم استدارت وتجولت بعيدًا. ربما كان هذا هو الدرس الذي كان الكون يرسله. أنا لست مهمًا، لست بأي معنى شخصًا عظيمًا. أنا مجرد إنسان آخر يدور في دوائر الكون اللانهائية.

ومعرفة ذلك كانت كافية. أطفأت السيارة المارلبورو وعدت إلى الداخل مرة أخرى لبدء جولة جديدة من لعبة الكرة الحمراء.

خرجت من سيرك لودج نحيفًا وسعيدًا ومستعدًا لمواجهة العالم، ومستعدًا لأن أكون مع صديقتي إلى الأبد. لكن صديقتي في ذلك الوقت لم يعجبها كثيرًا ماتي الجديد؛ شعرت أنها لم تقدر ذلك لأنني كنت بحاجة إليها أقل من ذي قبل. ربما خلقت لها مشكلاتي إحساسًا بالأمان. هذا الرجل لن يتركني أبدًا وهو منغمس في مشكلاته الخاصة. لم يعجبها أنني كنت أفضل. وهذه الحقيقة المؤسفة كانت نهايتنا المحتومة. بعد المحاولة الجادة لجعل الأمور المختلفة تتلاءم مع بعضها، اعترفنا بالهزيمة وانفصلنا. كان أمرًا حزينًا جدًا بكل الأحوال. كانت الشخص المفضل لديّ على وجه الكوكب، لكن لم يكن من المقدر لها أن تكون كذلك. كان انفصالنا هو القرار الصحيح، لكن هذا لا يعني أنه لم يكن حزينًا.

ماذا الآن، مرة أخرى؟

ملأت الفجوة في البداية بالنشاط، لكن لأفعل ذلك سافرت حتى صرت قريباً جداً من الشمس وتمكنت من فقدان آخر مظاهر البراءة.

بالعودة إلى عام 2001، كنت قد أمضيت بعض الوقت في دار إعادة تأهيل تسمى بروميسيس، في ولاية مالبينو (مباشرة بعدما قرأت كتاب

The Big Book of Alcoholics Anonymous لأول مرة في مارينا ديل راي). هناك، التقيت برجل اسمه إيرل هايتاور. كان يدير محاضرة في بروميسيس، وقد أحببته على الفور. كان مضحكاً ولديه معرفة واسعة بشكل لا يصدق عن مدمني الكحوليات. كان لديه العديد من العملاء المشهورين الآخرين أيضاً، والذين كانوا يبلون بلاء حسناً، لذلك اعتقدت أنه سيكون شخصي المفضل وطلبت منه دعمي (قال إنه لم يحتس مشروباً واحداً منذ عام 1980). في أثناء تناول القهوة، اعترفت أن أحد المخاوف التي ساورتني هو أنه في يوم من الأيام سيمرر لي نصاً لأقرأه. قال: «حسناً، هناك نص بالفعل، لكنني لن أفعل ذلك بك...».

هكذا بدأت علاقتنا. عملت معه على تحقيق خطوات التعافي، في الواقع، كنت أطارده لأقوم بها. كنت بحاجة ماسة إلى الانخراط في البرنامج والبقاء متعافياً لدرجة أنني كنت أتصل به يومياً وأطلب منه عملاً لأؤديه. صارحني أنه لم يطارده أحد مثلي، وعلى مدى السنوات العشر التالية، أصبح يحتل مكانتين؛ كان داعمي، وصديقي المفضل أيضاً. لقد تواصلت معه واستمعت إليه. كان لدينا حس الفكاهة نفسه. تجاهلت حقيقة أنه كان مشهوراً نوعاً ما في عالم إعادة التأهيل، العالم الذي يجب أن يكون كل شيء فيه مجهول الهوية. لكن خطئي الأكبر هو أنني جعلته نوعاً ما قوتي العليا. إذا كانت لدي مشكلة في العلاقة، إذا كانت لدي مشكلة مع أي شيء، كنت أتصل به، فيتعامل مع المشكلة بذكاء. وصل الأمر إلى المرحلة التي إذا قال فيها «أنا آسف يا ماثيو، ولكن عليك الانتقال إلى ألاسكا والوقوف على رأسك»، سأحجز تذكرة على الفور إلى أنكوريج بألاسكا. إذا قال: «لا يمكنك أن تأكل شيئاً سوى حلوى إم أند إمز من اللون الأخضر للأشهر الثلاثة القادمة»، اطمئن تماماً إلى أن برازي سيكون باللون الكاكي.

على الرغم من ذلك، كنت أعرف جيداً في داخلي أنه أن تجعل داعمك أفضل صديق لك كان فكرة سيئة، لكن إيرل كان كل شيء بالنسبة إليّ. لقد أصبح والدي، ومرشدي. كنت أذهب لمشاهدته وهو يتحدث (لقد كان متحدثاً مرحاً وكفوفاً للغاية)؛ كنا نذهب إلى السينما معاً، وأعاني الانتكاسات فيساعدني في العثور على مراكز العلاج. لا أبالغ إن قلت إنه أنقذ حياتي عدة مرات.

وبعد ذلك، تحولت صداقتنا إلى صداقة شراكة تجارية. نعم، بدأت عملاً تجارياً مع داعمي، وهو خطأ فادح لعين.

أنشأ إيرل شركة لتأسيس دور استشفاء من الإدمان في أرجاء لوس أنجلوس ليديرها بعد ذلك. استثمرت 500000 دولار في الشركة وحولت منزلي في مالبينو إلى دار استشفاء وسميته «بيري هاوس». بناءً على طلب رجل عظيم يُدعى ويست هدلستون، رئيس الرابطة الوطنية لمكافحة المخدرات، توجهت أنا وإيرل عدة مرات إلى واشنطن العاصمة، للقاء المشرعين لندفع جهود محاكم المخدرات إلى الأمام. تهدف محاكم

المخدرات إلى إلغاء تجريم المدمنين غير العُنف، وتقديم الرعاية والعلاج لهم بدلاً من فترة عقوبة السجن. في مايو 2013، منحني جيل كيرليكوفسكي، «قيصر المخدرات» ومكافحها في البيت الأبيض فترة أوباما، «جائزة بطل التعافي» من مكتب إدارة السياسة الوطنية لمكافحة المخدرات لأوباما. مزحت مع صحيفة ذا هوليوود ريبورتر في ذلك الوقت قائلاً: «لو تم اعتقالي، لكنت قد قبعت في السجن في مكان ما ورسمت وشماً على وجهي».

تمت استضافتي أيضاً لأقدم برنامج «بيرس مورجان لايف» في الشهر نفسه، واستضفت كلاً من ليزا كودرو ولورين جراهام وتحديث إليهما مركزاً على قضايا الإدمان والتعافي. كنت أحاول معرفة ما أريد أن أفعله للمضي قدماً، وشعرت بالراحة في أثناء تقديم البرنامج. بدأت الحلقة بقولي إنني لست بيرس مورجان، ويمكنكم معرفة ذلك بالتأكيد بأنني «ليس لديّ لكنة بريطانية، وليس لديّ اسم أول ثقيل للغاية»، ما دفع ليزا إلى القهقهة بصوت عالٍ. فكرت: ربما هذا هو مستقبلي؟ حتى أنني كنت أمزح أن سيرتي الذاتية القادمة ستدعى ما زلت فتى.

عذراً!

في كلتا الحالتين، كنت الآن مقدماً لبرنامج حوارى ومدمنًا حائز على جائزة. كيف حدث ذلك بحق الجحيم؟

كان من المقرر في الأصل أن يظهر إيرل معي في برنامج بيرس مورجان، لكنه اعتذر في اللحظة الأخيرة. ومع ذلك، توجهنا لاحقاً إلى أوروبا لحث سلطة محاكم المخدرات هناك، وناقشت هذه القضية في برنامج إخباري على البي بي سي في وقت متأخر من الليل يدعى «نيوزنايت». كان هناك المحاور، رجل غريب الأطوار يُدعى جيريمي باكسمان والذي اشتهر بوقاحته مع الضيوف. وكان ضيوف الحلقة البارونة ميتشر، التي كانت لاحقاً رئيسة المجموعة البرلمانية لجميع الأحزاب في المملكة المتحدة والمعنية بإصلاح سياسة المخدرات، والتي كانت في صفي بشدة، مع شخص آخر مغرور يدعى بيتر هيتشينز.

لا أستطيع أن أتخيل كيف يكون الحال عندما يكون لديك شقيق يعشقه الجميع وتكون أنت الأخ الأبله الذي يكرهه الجميع، لكنني أعتقد أن بيتر يمكن أن يكون قادرًا على الشعور بذلك. لا يزال صدى فقدان شقيق بيتر الرائع كريستوفر هيتشنز يتردد؛ إنه شخص لا مثيل له، وكاتب، ومُجادل، وحيوي، ولا يزال العالم حزيناً على وفاته، بعد أكثر من عقد من موته القاسي بسبب السرطان. للأسف، لا يزال شقيقه الأصغر بيتر يقدم وعظه في أشياء يجهلها تماماً، ويمزج بين أيديولوجية اليمين بنوع من الأبوية والمعارضة الأخلاقية.

ظهر هيتشنز في برنامج نيوزنايت لشرح آرائه الغريبة بأن تعاطي المخدرات هو مجرد حالة من «الأخلاق الضعيفة» (قال ساخراً: «هناك» موضحة» كبيرة في الوقت الحالي لجعل الناس يفقدون السيطرة على حياتهم، ولإبداء الأعدار لهم»، يبدو وكأنه عمة كبيرة مجنونة تناولت العديد من كؤوس النبيذ). والأكثر غرابة من ذلك أنه «جادل» لاحقاً بأن الإدمان ليس شيئاً حقيقياً حتى. أظن، وقد أحببت ذلك، أن كلاً من البارونة وأنا كنا أفضل منه بكثير، وبصراحة، لم يكن ذلك صعباً. فبصرف النظر عن الإشارة إلى أنني اعتقدت أنه سيظهر مرتدياً سروالاً كبيراً للمقابلة، ولكن من الواضح أنه لم يفعل ذلك، تمكنت أيضاً من الإشارة مراراً

وتكرارًا إلى أن الجمعية الطبية الأمريكية شخصت الإدمان على أنه مرض في عام 1976 وأنه الشخص الوحيد تقريبًا على هذا الكوكب الذي لا يوافق على هذا التشخيص. لم يعجبه هذا، وفي النهاية انتهت المقابلة مع باكسمان والبارونة ميتشر وهما يضحكان بصوت عالٍ ببساطة على هيتشنز الغبي والقاسي: هيتشنز: كيف يمكن للناس في أي وقت الإقلاع عن الإدمان إذا كان ما تقوله صحيحًا؟ أنا: حسنًا، بابا نويل...

هيتشنز: نعم، هذا رد ذكي للغاية، لكنه موضوع خطير جدًا، وأنت تتعامل معه باستخفاف كبير... هذا تأكيد على أنني أعتقد أنه لا يعرف شيئًا عني أو عن الموضوع الذي يقدم الوعظ فيه. في هذه الأثناء، على الرغم من أنني جعلت بيتر هيتشنز يبدو أحمق، ودافعت عن محاكم المخدرات في جميع أنحاء أوروبا، وفي الولايات المتحدة، كان بيرري هاوس في حالة مربكة. إذ لم يحضر عدد كافٍ من الناس؛ كان ببساطة باهظًا للغاية، لذا اضطررت إلى تقليص خسائري وبعث ذلك العقار. عندما تناولت الغداء مع إيرل، طلبت استرداد نقودي، وأنا ما زلت بانتظارها. كان يتحدث عن أشياء مجنونة، مثل أن يصبح ممثلًا. كان هناك شيء ما غريب، صرت مذعورًا جدًا من الوضع برمته، حسنًا، ذهبت حينها إلى المنزل وتعاطيت. لم يكن هذا خطأ أي شخص سواي، ولكنني فقدت شيئين بشكل حاسم إلى الأبد: براءتي وثقتي في إيرل هايتاور.

في النهاية، انتقل إيرل إلى أريزونا دون أن يخبرني حتى، وانتهت صداقتنا. بين مشاركتنا لحياتنا معًا وعلاقة الصداقة المقربة وإثارة الجدل حول محاكم المخدرات وبناء دار استشفاء للتعافي من الإدمان، خسرت نصف مليون دولار، وأقرب حليف لي، وهذه البراءة التي كنت أعترضها طوال تلك السنوات. يا لحسرة القلب! كنت أكتب أعمالًا تليفزيونية لسنوات ولكن دائمًا مع شريك. في اليوم الذي تلا كارثة هايتاور، كنت أشعر بعدم ارتياح وأني لست على ما يرام، وتذكرت أن رجلًا حكيمًا أخبرني ذات مرة أنه في أوقات كهذه يجب أن أكون مبدعًا. لذلك، فتحت الكمبيوتر المحمول الخاص بي وبدأت في الكتابة. لم أدر ما كنت أكتبه، لكنني واصلت الكتابة وحسب. فبدأ واضحًا أن ما كنت أكتبه هو مسرحية. كنت بحاجة إلى هذا؛ لقد تخليت مؤخرًا عن مبادئتي بشكل رهيب، وكنت مصممًا على العودة إلى الوراثة، إلى شيء أشبه بالتأمل أمام المرأة.

كنت غاضبًا من نفسي بسبب ما حدث في مسلسل The Odd Couple على شبكة سي بي إس. لفترة طويلة، كنت من أشد المعجبين بنسخة هذا المسلسل التي كتبها نيل سيمون وأردت دائمًا عمل نسخة تليفزيونية جديدة منه. تحقق حلمي في عام 2013 عندما أعطت شبكة سي بي إس الضوء الأخضر للفكرة أخيرًا. أما مسلسل Go On الذي قدمته قبل The Odd Couple فلم ينجح، لكنني شعرت بثقة أكبر في الأخير. كانت مادة النسخة الأصلية رائعة، كذلك طاقم الممثلين، كل شيء كان كافيًا ليحقق نجاحًا. ومع ذلك، طاردني الاكتئاب، وعاد إدماني بكامل قوته. بناء على ذلك، أشعر بالخرج التام بسبب سلوكي في أثناء تصوير The Odd Couple. فعلاوة على الاكتئاب الرهيب، كنت أتأخر في الحضور طوال الوقت، ومنتشياً، وفي النهاية

فقدت كل قوتي في المثول أمام المسؤول عن إدارة العمل. لكنني أتحمّل المسؤولية الكاملة عما حدث وأود أن أعتذر ليس فقط لزملائي في فريق التمثيل ولكن أيضًا لجميع المعنيين بهذا العمل.

مع تلك الكارثة التي حدثت في الخلفية، كان لديّ ما كنت أهرب إليه على الأقل. فمع الشعور بعدم الراحة ذاك، وهذا الانزعاج الذي يخرج من جسمي، كنت عادة ما أتعاطى الأدوية لاستبدالهما، لأمنح نفسي الراحة. لكنني تعافيت، لذلك علمت أنني لا أستطيع فعل ذلك؛ كان عليّ أن أجد شيئاً آخر. كنت أكتب لمدة عشر ساعات يومياً على مدى عشرة أيام متتالية حتى أكملت المسرحية. كانت جيدة بالفعل، وفقاً لآراء عدد قليل جداً من الأشخاص الذين سمحت لهم بقراءتها. سميتها The End of Longing، وعلى الرغم من أن الأمر استغرق عشرة أيام فقط لكتابتها، أمضيت عاماً آخر في تحسين عناصرها.

لقد ألهمتني - وعندما أقول إنني ألهمت، أعني أنني كنت أحاول التغلب على ذلك - مسرحية Sexual Perversity in Chicago، وكنت سعيداً بما حققته. كنت سأواجه تلك المسرحية الجيدة في أي يوم. وصفت ما كنت أحاول القيام به لصحيفة ذا هوليوود ريبورتر قائلاً: «هناك فكرة شائعة جداً مفادها أن الناس لا يتغيرون، لكنني أرى الناس يتغيرون كل يوم، وأردت نشر هذه الرسالة في أثناء إضحاك الناس». بناءً على ذلك، تجد في المسرحية أربعة أصدقاء في حانة يحاولون اكتشاف الحب؛ تبدأ المسرحية بشخصيتي، التي تدعى جاك، شخص مغرور يصبح مدمناً للكحوليات، ثم تزداد الأمور سوءاً.

بما أنني كنت أجسد نفسي في الكتابة، لم أكن راضياً عن كتابة مسرحية فقط؛ قررت أنها بحاجة إلى العرض على مسرح وأن أؤديها. بعد أشهر، عرضت مسرحية The End of Longing لأول مرة في منطقة ويست إند المسرحية المقدسة في لندن. أحببت أن أكون الكاتب المسرحي وكذلك البطل؛ إذ يمكنني تغيير الأشياء عندما أجدتها لا تسير بالشكل الصحيح. وعلى الرغم من أنني كنت أعلم أنني سأكره القيام بمشهد الشخص المخمور للغاية في كل ليلة - لكنني كنت على يقين من أنه سيكون مُحفّزاً لي للغاية - فإنني كنت أعرف أيضاً أنه عليّ أن أبيّن إلى أي مدى يمكن أن يصل الأمر بالشخص التعميس.

بدأنا العرض الأول في مسرح بلاي هاوس، مكان يتسع لثمانائة مقعد، وسرعان ما كانت التذاكر تنفد. في الواقع، كنا نسجل نسب مبيعات ضخمة في شباك التذاكر، ولكن أيضاً، جاءت التقييمات السيئة. كي أوثق التاريخ بدقة، كانت هناك سبعة تقييمات أساسية وستة منها كانت تسيء للعمل. لم يعجب المُقيّمون للعمل في لندن بفكرة ذهاب ممثل هوليوودي إلى هناك والقيام بمسرحية. على الرغم من ذلك، نجحت نجاحاً كبيراً، وصرت كاتباً مسرحياً وأحببت هذه الفكرة.

أيضاً، شخص واحد لم يحضر إلى المسرحية، مع أنني توصلت إليه.

كانت المرأة التي واعدتها لمدة ست سنوات تواعد حينها شاباً بريطانياً، ويقضيان نصف العام في لندن، والباقي في لوس أنجلوس. كنا لا نزال أصدقاء حتى أننا تناولنا الغداء مرتين معاً وراسلنا بعضنا كتابة عدة مرات. عندما علمت أنها في لندن، دعوتها لحضور مسرحيتي The End of Longing، لكنها ردت عليّ بأنها مشغولة للغاية. كتبت: «سأراك في الولايات المتحدة!». أجبت بأنني تأملت قليلاً لأنها لم تستطع الحضور -

لقد كانت المسرحية تعرض في البلد نفسه بحق الإله! - وبعد ذلك بفترة وجيزة، تلقيت منها رسالة بريد إلكتروني تخبرني أنها ستتزوج وأنها لم تعد لديها مساحة في حياتها للأصدقاء. لم أرد على هذا البريد الإلكتروني مطلقاً، ولم نتحدث أبداً منذ ذلك الحين. لقد كانت طريقة قاسية جداً لتعلمني بخبر زواجها، وهو ما لا يمكن أن أفعله أبداً مع أي شخص، ولكن ها قد حدث هذا معي. ومع ذلك، سأظل إلى الأبد داعماً لها. أنا سعيد لأنها تزوجت ولأنها سعيدة. لا أريد شيئاً سوى الأفضل لها، إلى الأبد.

انتقلت المسرحية من لندن إلى نيويورك. لم يكن الأمر ممتعاً. في البداية، كان عليّ أن أخفف من حدة اللغة والألفاظ - لم يهتم البريطانيون بحدة الألفاظ، لكن مسرح برودواي يظل مسرح برودواي، لذلك كان عليّ أن أتخلى عنها، وليس اللغة فقط - كان عليّ أن أحذف بعضاً من الجمل المضحكة في النص أيضاً. لذا، لم تلق استحساناً أو إعجاباً في نيويورك. دمرت صحيفة ذا نيويورك تايمز المسرحية، واصفة إياها بأنها «مصطنعة»، أيًا كان معنى ذلك، وانتهى بي الأمر بجني 600 دولار طوال جولة نيويورك. هذا ليس خطأ مطبعياً. (لقد ربحت ضعف ذلك بألف مرة - بالجنيه الإسترليني، والشلن، والبنس الإنجليزي - في أثناء عرض المسرحية في لندن). على الأقل كانت صحيفة ذا هوليوود ريبورتر لطيفة في تقييمها: «يوضح بيري على الأقل أن تجربته الكوميديّة التليفزيونية الواسعة قد انتهت. تتميز المسرحية بالعديد من الحوارات الفردية الممتعة (معظمها، كما هو متوقع، يؤديها المؤلف)... يعرض بيري توقيت الكوميدي المحترف والمألوف في توصيله الرسالة». لكن ذكر كلمة «على الأقل» كان محطماً قليلاً، وأدرت أن The End of Longing لن تكون محبوبة بما يكفي لترسيخ مستقبل مثل الكاتب المسرحي ديفيد ماميت. ولكن لا يزال هناك وقت!

فاصل

معسكر الصدمة

هناك ما يدعى بـ«معسكر الصدمة»، ونعم، لقد حضرته، ونعم، لقد ابتكرت له هذا الاسم. كان في فلوريدا - وهل يوجد مكان آخر؟ - وقضيت هناك تسعين يومًا، إذ أخذت أبوح بصدمة حياتي وعشتها مجددًا، مشهدًا تلو الآخر. فعلت ذلك في إطار حوار جماعي، في حين تفاعل الآخرون بالمثل مع صدماتهم حتى أصيب الجميع بالإغماء والتقيؤ والارتجاف. ذات مرة، طُلب مني رسم جميع صدماتي على هيئة أشكال، ثم طُلب مني أن أظهر للجميع ما رسمته وأصفه. عندما حاولت أن أشير إلى أحد الرسوم، بدأت أصابعي ترتجف، وبعدها ارتعش جسمي بالكامل، ولم يتوقف عن الارتعاش لمدة ستة وثلاثين يومًا. كنت مثل الماعز الذي كان على موعد مع دب؛ رحل الدب، لكن الماعز ظل يرتجف.

في نهاية العلاج بالصدمة، بمجرد عودتك إلى الصدمة وعيشها من جديد، من المفترض أن يقوم المعالجون بـ«الإغلاق عليك» حتى تشعر بكل شيء، وتحرر ما بداخلك، وتتعلم كيفية إخراج الصدمة في شكل قصة، وليس كشيء حي في روحك، فلا يصبح لها سلطان عليك كما فعلت.

أوه، ومن المفترض أن تبكي.

لم يغلقوا عليّ بشكل صحيح، وكذلك لم أبك. كنت خائفًا. شعرت وكأنني عدت إلى المسرح. كونك شخصًا مشهورًا يقيم في دار إعادة تأهيل ليس مثلما تتخيل تمامًا؛ فالآخرون في الدار لديهم الكثير للتعامل معه، لذا من يهتم إذا كنت ماثيو بيرري؟ لاحقًا، في ولاية بنسلفانيا، ذهبت إلى دار إعادة تأهيل مع ستة أشخاص آخرين كانوا جميعًا في السبعينيات من العمر، من بينهم ديبى، أو سمها «لعنة وجودي في العالم». كانت ديبى هي المدخنة الأخرى الوحيدة، لذلك كنت مضطرًا إلى أن أقابلها طوال الوقت في الخارج. وكان لديها ذاكرة معدومة.

كانت تقول: «مهلاً، هل التقينا من قبل؟».

فأقول: «لا يا ديبى، لم نتقابل من قبل، ولكنني كنت في مسلسل «فريندز». ربما تعرفيني بسبب ذلك».

«أوه! أحب هذا المسلسل».

وبعد مرور خمس دقائق، تصمت ديبى قليلًا، وتدخن سيجارتها، وتلتفت إليّ.

«حسنًا، هل ذهبنا إلى المدرسة معًا؟».

فأرد بكل لطف قدر الإمكان: «لا يا ديبى، أنت أكبر مني بسبعة وعشرين عامًا، ولكنك غالبًا تعرفيني من مسلسل «فريندز»...».

فتكرر: «أوه! أحب هذا المسلسل» ونعيد الحوار مرة أخرى.

«ثلاثة» لا يُشكّلون صُحبة،

«ثلاثة» قد يدمرون كل شيء

عندما يطلب مني رجل أو امرأة مساعدته/ها في الإقلاع عن الشرب، أقوم بذلك، وأراقب النور بينما يعود ببطء إلى أعينهم، فهذا كل شيء بالنسبة إليّ. وعلى الرغم من أنني على علاقة بالرب، وأنني ممتن له في كثير من الأحيان على الرغم من كل شيء حدث لي، فإنني في أحيان أخرى أريد أن أقول له: «اذهب إلى الجحيم» لأنه صَعَّب عليّ طريقي للغاية.

عندما أكون نظيفاً ومتعافياً، يبدو الأمر كما لو أحاط بي النور، الذي يمكنني مشاركته مع شخص يائس يحتاج إلى المساعدة في التوقف عن الشرب. إنه النور نفسه الذي يطل على المحيط وسط ضوء الشمس الساطع، حيث تتلألأ المياه الذهبية الجميلة. هذا هو كل شيء بالنسبة إليّ. (كذلك تجده في الليل عندما يطل ضوء القمر على المياه، يا إلهي! يكاد يسرق إحساسي كل مرة. تماماً الشعور نفسه لذلك الصبي البالغ من العمر خمس سنوات الذي يسافر جواً عبر قارة بمفرده ليرى أضواء مدينة لوس أنجلوس وهو يعلم أنه على وشك أن يكون له أب... حسناً، إنه الشعور نفسه بالضبط).

لماذا أصبح من الصعب للغاية أن أظل متعافياً، بينما أرى باقي زملائي يقومون بذلك بسهولة؟ لماذا امتلأ طريقي بالصعاب؟ لماذا تصارعت مع الحياة بهذه الصعوبة؟ لماذا أصبح الواقع «ذوقاً مكتسباً»؟ ولماذا كان من الصعب عليّ أن «أكتسبه»؟ لكن عندما أُعِين ذلك الشخص على التعافي أو حتى أساعد الآلاف في التعافي في نهاية الأسبوع سواء في مكان روحي أو في مؤتمر، سرعان ما تتلاشى كل تلك الأسئلة. الأمر أشبه بوقوفي تحت شلال في هاواي حيث تغمرني المياه الجميلة الدافئة. هناك يوجد كل شيء، ثق بي تماماً في ذلك.

أنا لست قديساً - ولا أحد منا كذلك - ولكن بمجرد أن تكون على عتبة باب الموت ولا تموت، ستشعر أنك غارق في الراحة والامتنان. لكن هذا ليس كل شيء على الإطلاق، بدلاً من ذلك، تنظر إلى الطريق الصعب الذي أمامك لكي تتحسن فتعرض للكرب. شيء آخر يحدث أيضاً، أن تُبتلى بهذا السؤال المزعج: لماذا نجوت؟ بينما الأشخاص الأربعة الآخرون المتصلون بجهاز الأكسجة ودعم الحياة خارج الجسم في عداد الموتى. لا بد أن هناك سبباً.

جزء من الإجابة بالنسبة إليّ هو عشرات آلاف الساعات من الخبرة في حضور اجتماعات مدمني الكحول ومساعدة الناس على التعافي والإقلاع. ذلك خفف عني وميزني، في الواقع، أشعر بقليل من ذلك الضوء الذهبي الذي دخل من مطبخي.

ولكن لا بد أن هناك سبباً أكبر؛ إنه الرب. لماذا جعلتني أنجو يا إلهي؟ أنا مستعد، فقط أرني الطريق، وسأتبعه. عندما سأل وودي آلن هذا السؤال بعينه لكائن فضائي في فيلم Stardust Memories، أجاب الكائن

الفضائي: «قل دعابة مضحكة أكثر من ذلك» ولكن لا تجري الأمور كذلك. في كل الأحوال أنا مستعد. وأسعى يوميًا للإجابة، أنا ساع، أنا ساع وراء الرب. مع ذلك، كانت حياتي العاطفية مسألة أخرى. لقد ارتكبت أخطاء في حياتي العاطفية أكثر مما فعلت إليزابيث تايلور. أنا شخص رومانسي، وشغوف. سعيت وراء الحب، إنه لطفة بداخلي لا أستطيع شرحها بالضبط.

بمجرد بلوغي عامي الأربعين، تغيرت القواعد. مارست الجنس مع الكثير من الأشخاص أكثر من حاجتي. كنت أبحث حينها عن شريك حياة، ورفيق درب، شخص يمكنني أن أشاركه حياتي. لطالما أحببت الأطفال كذلك. أعتقد لأنني كنت في العاشرة من عمري عندما ولدت أختي كاتيلين. ثم جاءت إيميلي، ثم ويل، وبالنهاية مادلين. أحببت اللعب معهم جميعًا، ومجالستهم، والقيام ببعض الألعاب التافهة معهم. لا يوجد صوت على وجه الأرض أعظم من صوت ضحكة طفل.

لذا، مع بلوغي الأربعينيات، كنت في أوج نشاطي، كنت أرغب حقًا في صديقة حميمة، شخص يمكنني الاعتماد عليه، والذي بدوره يمكنه الاعتماد عليّ. ذات ليلة، كنت مع بعض الأصدقاء في الخارج للاحتفال بأبني قضيت عامًا من التعافي مرة أخرى. عرّفتني ديفيد بريسمان الذي لا يزال صديقي العزيز على أخت صديقتي لورا. ذهبنا جميعًا لمشاهدة مباراة لدودجرز معًا، لكن بالنسبة إليّ لم تكن هناك مباراة، ولا إستاذ، ولا بائع هوت دوج، وبدلاً من ذلك، انحسر العالم إلى وجه جميل تحت قبعة بيسبول. حاولت أن ألقى عليها سحر بيرى القديم؛ أي شيء يجعلها تلاحظني، لكنها كانت مشغولة جدًا في استعراض شخصيتها الرائعة وذكاؤها للآخرين. لم تكن متأثرة بأبني صاحب دور تشاندلر، وعلى الرغم من أنها كانت لطيفة للغاية بالنسبة معي، شعرت أنني لم أبادها الشعور نفسه.

وبينما قدت سيارتي عائداً إلى المنزل، قلت لنفسي خطاباً.

«نعم، أنت محبط، ولكن لن تعجب بك كل فتاة تقابلها يا ماتي» تخطيت الأمر، ولكنني لم أنسها. بالتأكيد ستتقاطع طرقنا مرة أخرى. وقد حدث.

في تلك المرة قررت مجموعة الأصدقاء نفسها أن تخرج للعب كرة الطاولة في فندق ذا ستاندارد في وسط مدينة لوس أنجلوس. لم أكن مثل فوريسست جامب، ولكنني كنت أعرف كيف ألعب كرة الطاولة؛ في الحقيقة، إذا كنتم قد شاهدتم الحلقة الأخيرة في الموسم التاسع من مسلسل «فريندز»، ستعرفون أنني جيد بما يكفي لأن أهزم بول رود⁽²³⁾. سمعت أن لورا ربما تحضر، لذا لعبت كرة الطاولة بعين واحدة فقط في حين كانت العين الأخرى موجهة نحو الباب.

وها قد أتت أخيراً. جاءت إلى النادي مصطحبة معها جلبتها؛ كانت تلقي الدعابات ومليئة بالطاقة. قالت لورا: «كل من هنا من الأفضل له أن يذهب إلى الجحيم»، يا للصدمة! كتلة من الاهتمام اصطدمت بوجهي، لكنني كنت مستعداً هذه المرة. بدأت معها ليلة ملحمية مليئة بالمزاح. واتضح لي أن شغفي الجديد

أن أكون كوميديان «ستاند-أب» وكاتبًا تليفزيونيًا ناجحًا. صار جليًا من المزاح المتواصل بيننا أننا لن تنضب منا الدعابات لنقولها لبعضنا بعضًا.

كان موعدنا الغرامي الأول في ليلة رأس السنة. كان أحد الأصدقاء يقيم حفلة بيجامة ودعوت لورا للذهاب معي. بعد ذلك، تطورت علاقتنا ببطء. كانت مهمة بالعلاقة، وأنا كذلك على استعداد للقيام بكل ما يتطلبه الأمر. تعمقت عواطفنا. كان كل شيء على ما يرام... آه، لكن ليس كل شيء على ما يرام في عالمي، أتذكر هذا؟

دخلت روم حياتي. كنت متعافياً ونشطاً في اجتماعات المدمنين لمدة عامين، وبصحة جيدة، وأساعد الناس، وأكتب مسلسلاً تليفزيونياً. كنت سعيداً، ونمت لدي عضلات، أعترف بذلك. (سأجرؤ على القول إنني كنت أذهب إلى صالة الألعاب الرياضية وهكذا!). طلب مني مشاركة قصتي في اجتماع المدمنين في ويست هوليوود، إذ لا يُسمح لك برفض طلب ذلك الاجتماع. كانت الغرفة مكتظة، غرفة للوقوف فقط (أعتقد أن هناك من نوه أنني أتحدث). لم تصل قصتي في ذلك الوقت إلى أعماق السنوات القليلة الماضية، لذا بالإضافة إلى حكي كل شيء مررت به بالتفصيل، تمكنت أيضاً من الحصول على نصيبي من ضحك الناس. في لحظة ما، نظرت إلى المطبخ ولاحظت امرأة تُخرج رأسها من النافذة / الفتحة، متكئة على مرفقيها لتمدد جسمها قليلاً وتتمكن من النظر. كانت تشبه دمية بورسلين رائعة وجميلة بشكل مذهل. فجأة، لم أر سوى شخصين في الغرفة. أصبحت مشاركتي في اجتماعات المدمنين موجهة فقط إلى روم مباشرة. وقد انتهى الأمر بكونها من أفضل المشاركات التي قدمتها على الإطلاق، لأن جمالها المميز كان أسراً للغاية لدرجة أنني أردت منها أن تعرف كل شيء عني. أردت منها أن تعرف كل شيء.

بعد ذلك، عندما تجتمعنا بالخارج لتدخين السجائر، بدأنا نتحدث ونتغازل.

قالت: «إذا ما الذي ستفعله حالياً؟».

قلت: «سأذهب إلى المنزل لأكتب. فجأة، أصبحت كاتباً».

قالت روم: «حسناً، لا بد أنني ملهمة ممتازة».

قلت: «أراهنك على ذلك»، واستدرت ومشيت بعيداً مندهشاً تماماً من تلك الشخصية الغامضة.

وفي طريقي إلى المنزل، تحدثت مع نفسي.

ولكن ماذا عن لورا؟ نعم، بالطبع، لورا رائعة، يزداد حبي لها يوماً بعد يوم. ولكن الآن لدي روم. ماذا عليّ أن أفعل؟ انسَ أمر روم واستمر في اكتشاف علاقتك بلورا والتي تسير على ما يرام. أليس كذلك؟ هذا ما يفعله الشخص الطبيعي في مثل هذه الحالة.

لكن روم أَلقت بتعويذتها عليّ.

على الرغم من حديثي الإيجابي عن نفسي، فإنني ارتكبت خطأ فادحاً وقاتلاً. لم أكن أعلم أنه كان خطأً في ذلك الوقت، تُرى هل يعلم أي منا أننا نرتكب أخطاء في أثناء ارتكابها؟ إذا كنا كذلك، فربما لم نكن لنتكبتها من الأساس؟

هكذا كان الخطأ، وهكذا كان غير طبيعي بالمرّة: لقد واعدت المرأتين في الوقت نفسه.

لا أرجح هذه الخطوة لأي شخص تحت أي ظرف من الظروف، خاصة لو كنت مكاني. أقنعت نفسي أنه ما دمت لم أخبر أيًا من لورا أو روم أنني في علاقة جادة معها، فإنني لست وغدًا إذًا، ولكن كان هناك جزء صغير مني يعلم أنني أقوم بشيء غير عادي، لأنني اهتممت بهما الاثنتين، وبعيدًا عن مظهرهما، لم أرد بشكل عام أن تجرح مشاعر أي منا، حتى أنا. لذا كنت أخرج مع لورا لحضور مباريات فريق الكينجز، ونضحك، ونحظى بوقت رائع، الذي كان يمر بكل أدب إلى حد ما. ثم سارت المواعدة مع كلتا المرأتين ببطء، لكن بشكل تدريجي بدأت كل منهما تخرج من إطار التعفف الجنسي، فصرت متورطًا تمامًا مع امرأتين مختلفتين في الوقت نفسه. كان الأمر رائعًا ومحيرًا تمامًا ويدفعك للجنون.

هل ذكرت من قبل أنني وقعت في حب كلتاها بجنون؟ لم أكن أعتقد أنه من الممكن حتى حدوث ذلك. حتى أنني بحثت على الإنترنت، وقرأت بعض المقالات، وعلمت أن هذا شيء يحدث بالفعل. المشاعر التي انتابتنني تجاه هاتين المرأتين كانت حقيقية وفقًا لما قرأته. بعد ذلك، صارحنا أنا ولورا بعضنا بأننا الآن في علاقة، حبيب وحبيبة، أما أنا وروم فلم يحدث ذلك بشكل كافٍ؛ لكنني كنت لا أزال في ورطة.

ماذا كنت سأفعل حينها؟ لقد استمتعت بوقتي مع كلتاها على حد سواء. أحببتهما. استمر هذا الحوالي ستة أشهر قبل أن أعود إلى رشدي وأقرر أن عليّ اختيار واحدة. كان عليّ أن أوقف هذا الهراء وأختار واحدة منها. كانت روم شغوفة ومثيرة ومضحكة وذكية، لكنها بدت أيضًا مفتونة بالموت وهو ما أربكني. في حين تحدثت لورا عن الأفلام وأشياء وطأها أخف؛ كان هناك شعور معها وكأنني في منزلي، وهو ما لم أشعر به مع روم.

اخترت لورا.

أجريت المكالمات الصعبة مع روم. في البداية، كانت هادئة، ثم لم تعد كذلك، بدأت في الصراخ المتواصل عليّ لمدة ساعتين في ساحة انتظار السيارات في متجر بارني بينري في سانتا مونيكا بوليفارد عندما حاولت تعويضها. ستبذل مجهودًا شاقًا كي تجد شخصًا أكثر غضبًا مما كانت هي معي ذلك اليوم.

لكنك تعرفني الآن؛ تعلم أنني لا أستطيع أن أتعامل في الاقتراب أكثر فأكثر من شخص ما، وهذا ما كان يحدث مع لورا. كان الخوف يداعبني. فالانفصال عن لورا سيكون جنونياً لأنها امتلكت كل شيء. كنا نتمتع بكل شيء. كنا مقربين للغاية من بعضنا بعضًا. لكن العلاقة الحميمة كانت تخيفني. عرفت مرة أخرى أنها إذا عرفتنني بشكل أفضل فسوف ترى ما كنت أو من به بالفعل عن نفسي: كما هو الحال دائمًا، لم أكن كافيًا. أنا لا أهم. وسرعان ما سترى هذا بنفسها وستركني. هذا من شأنه أن يقتلني، ولن أتعافى أبدًا.

كان هناك خيار آخر. يمكنني أن أبقى في العلاقة، لكنني سأعود إلى المخدرات وأحاول الحفاظ على تعاطيها بجرعة معتادة منخفضة، وهو ما قد يحميني من الخوف، ويسمح لي بإسقاط جدرانتي وأن أصبح أكثر حميمية معها.

لكن العودة إلى المخدرات لم تؤدِ إلا إلى الفوضى. ومع ذلك، وبشكل لا يمكن تصوره، اخترت أن أفعل ذلك مرة أخرى للتعامل مع وضع لورا. بدأت في تناول قرص واحد في اليوم فقط من أجل البقاء في العلاقة. لقد نجح الأمر بشكل رائع في البداية، ولكن كما هو الحال مع المخدرات، فإنها تفوز دائمًا. بعد ستة

أشهر كنا غارقين في المعاناة. كنت في حالة يرثى لها. انفصلت لورا عني، وعدت لتعاطي عقار السابوكسون مرة أخرى والمكوث في دار استشفاء. كنت أخشى من أنني سأموت مرة أخرى. كانت روم لا تزال تصرخ في وجهي كلما سنحت لها الفرصة، أما لورا فشعرت بالقلق وجُرحت، أوه ثم رحلت إلى الأبد. أوه، هناك شيء آخر قالته المجلات عن أن يكون الشخص في علاقتين في آن واحد. دائمًا ما ينتهي الأمر بالطريقة نفسها.

تخسرهما الاثنتين.

هأنا إذاً أعيش في دار ماليبو للاستشفاء لأعالج من تعاطي 8 ملليجرامات من السابوكسون. على الرغم من أنه عقار قوي للتخلص من السموم - الأقوى - كما قلت مرارًا وتكرارًا، فإنه أصعب عقار على هذا الكوكب للتخلص منه. في الواقع، لقد جعلني انتحاريًا كي أتخلص منه. ربما لم يكن هذا دقيقًا تمامًا؛ لقد انتابتنى مشاعر انتحارية، لكنني كنت أعلم أيضًا أنه كان مجرد دواء، لذا لم أكن انتحاريًا تمامًا، إذا كنت قد فهمتني. كل ما كان عليّ فعله هو تجنب الأيام التي شعرت فيها برغبة في الانتحار، وعدم القيام بأي شيء حيال ذلك، وأن أعلم أنه في مرحلة ما سأشعر بالتحسن ولن أرغب في قتل نفسي بعد الآن.

للتخلص من السابوكسون، عليك أن تتخلص من ملليجرام واحد منه في الأسبوع حتى تصل إلى صفر ملليجرام. والقيام بذلك سيجعلك مريضًا بجنون لمدة يومين، ثم ستعتاد على المرحلة الجديدة - وفي تلك الحالة تصبح متعاطيًا 7 ملليجرامات - وبمجرد استقرارك، تنتكس مرة أخرى. والمشاعر الانتحارية لا تبدأ حتى تصل إلى مستوى ملليجرامين.

لذا في مستوى الملليجرامين، قمت بأكثر شيء أناني فعلته في حياتي. كنت مذعورًا مما كنت على وشك أن أشعر به، ولم أرد أن أشعر به وحدي. لذا، اشتريت زهور بقيمة 300 دولار، ووقدت إلى منزل لورا، وتوسلت إليها كي أعود لها. جلسنا على الأريكة في غرفة المعيشة، وناقشنا تفاصيل ما قد يعنيه رجوعي لها. ومن كثرة انسيابي وراء الخوف، قلت لها إنني أرغب في الزواج منها، وربما أرغب في إنجاب طفل منها. ثم حدث شيء مستحيل. فبينما نحن جالسان، سمعت مفتاحًا يفتح الباب الأمامي بهدوء... ثم دخلت روم.

من التي دخلت هذه؟

كيف من الممكن أن تكون هاتان المرأتان واقفتين في الغرفة نفسها؟ قد أدفع أي شيء من أجل أن أحصل على آلة الرجوع بالزمن، وأعود بها إلى تلك اللحظة، وأقول لهم: «ما رأيكم في علاقة جنسية ثلاثية الآن؟» ولكن لم تكن اللحظة مناسبة وقتها للمزاح. كان فكي مفتوحًا على مصراعيه من الدهشة لدرجة قد يلمس فكي السفلي الأرض.

قالت روم: «سأذهب لري الزرع» وصعدت السلم واختفت.

قالت لورا: «أعتقد أنني لا بد أن أطمئن عليها»، وتركتني في غرفة المعيشة. عندما أدركت أنها لن تعود، عدت بإدماي للمليجرامين إلى ماليبو.

اتضح أن روم ولورا تقابلتا في أحد اجتماعات المدمنين، وتعرفتا على بعضهما وما حدث معهما وسرعان ما أصبحتا صديقتين. أنا متأكد أنك تتخيل الآن أن كل الأحاديث التي دارت بينهما كانت عن كم أنا شخص حقير.

أما بالنسبة إليّ، لم أقدر على البقاء في لوس أنجلوس، لذا قفزت في طائرة خاصة إلى مركز كولورادو للتعافي، إذ قالوا إنهم يمكنهم تخليصي من إدمان السابوكسون دون أن أشعر بأحاسيس انتحارية. حسناً، كان كلاماً مبالغاً فيه. فقد شعرت برغبة في الانتحار لمدة ستة وثلاثين يوماً على التوالي، ثم سافرت إلى نيويورك وظهرت في برنامج ديفيد ليرمان، محاولاً إخفاء أنني كنت مدعوماً بشريط لاصق بطريقة ما، نجحت في إجراء المقابلة.

بعد سبع سنوات، بعد أن تعلمت الكثير عن نفسي، قمت بتعويضات حقيقية لروم ولورا، وكلاهما قبل اعتذاري. صدق أو لا تصدق، نحن الثلاثة أصدقاء الآن. لورا متزوجة من رجل جميل يدعى جوردون، وروم تعيش مع رجل جميل بالقدر نفسه يدعى إريك.

مؤخراً، تناولنا نحن الخمسة العشاء معاً في منزلي، وقضينا جميعاً وقتاً ممتعاً. ثم في حوالي الساعة 10:00 مساءً، غادر كل زوج في سيارتهما الخاصة. سمعت صوت المحركات ينحسر في الوادي باتجاه المدينة. بالخارج، كنت أنتظر أن يأتي شيء إليّ، أي شيء قد يجعل الأمور أفضل، لكنني بدلاً من ذلك سمعت صوت الذئب مرة أخرى.

كلا، كان هذا صوتي، وحدي، وأواجه شياطيني لليلة أخرى جديدة. لكنهم انتصروا. علمت أنني خسرت المعركة عندما اتجهت إلى غرفة نومي بالأعلى وحيداً لأصد عني تلك الشياطين، ومفاوضة النوم مرة أخرى. ممثل أمريكي، أدى دور مايك، حبيب شخصية فيبي وزوجها في نهاية المسلسل (المراجعة).

فاصل

عنف في هوليوود

لست رجلاً عنيفاً، لكنني كنت كلاً من الضحية ومرتكب العنف في الوقت نفسه يوماً ما في حياتي. منذ عدة سنوات، بعدما انفصلت كاميرون دياز عن جاستن تيمبرليك، تم ترتيب موعد عاطفي معها. آنذاك، كنت أعمل كثيراً، وقد طورت من عملي. جهزت نفسي للموعد بتأنٍ، مشمراً عن ساعدي حتى تبرز عضلاتي التي اكتسبت لونها برونزياً من الشمس (نصيحة مسبقة: عندما تكتسب ذلك اللون، ستبدو عضلاتك أكبر). نعم، لقد أكسبت لون السمرة لذراعي من أجل ذلك الموعد. كان الموعد في حفل عشاء مع مجموعة من الأشخاص الآخرين. بمجرد أن رأني كاميرون دياز، ثملت على الفور؛ كان واضحاً أنها ليست مهتمة بي على الإطلاق. ولكن الحفلة استمرت مع ذلك، ولعبنا جميعاً، كانت لعبة تخمين الصور على ما أظن. وبينما كانت كاميرون ترسم لنا، قلت شيئاً خبيثاً، مما دفعها لقول: «أوه، كفى!» ثم تحركت لتلكزني في كتفي.

أو هذا ما كانت تنوي فعله على الأقل. فهي لم تصب كتفي، بل جاءت اللكمة في جانب وجهي. «هل تمزحين معي بحق الجحيم؟» قلت ذلك بعد أن أدركت أنني أخذت لكمة في وجهي للتو من كاميرون دياز وذراعي الكبيرتان لم تساعداني على الإطلاق. حدث هذا منذ خمسة عشر عاماً، ولكنها ربما تتصل بي. ألا تظنون ذلك؟ ثم جاءت تلك المرة الأخرى.

في عام 2004، سافرت إلى أكاديمية كريس إيفرت في فلوريدا من أجل حفل خيري برعاية كريس إيفرت وبنك أمريكا لمحترفي التنس الكلاسيكي من المشاهير. كان هناك وجود حقيقي لمشاهير هوليوود، لكنني كنت مهتماً أكثر بشيفي تشيز.

لطالما كان شيفي بطلي. في الحقيقة، أدائه في فيلم Fletch غير حياتي إلى الأبد. في إحدى الليالي الباردة في لوس أنجلوس، ذهبت أنا وصديقي المقرب مات أوندري لمشاهدة العرض الأول لفيلم Fletch، وقد وصلنا في مرحلة ما أننا كنا نتدحرج في الممرات من كثرة الضحك. كان لدى شيفي ما يقرب من ثلاثمائة دعابة في هذا الفيلم، وقد قيل كل منها بشكل مثالي. لاحقاً، بينما جلست أنا ومات في محطة الحافلات ننتظر حافلتنا إلى المنزل، أتذكر بوضوح أنني استدرت إليه وقلت بجديّة شديدة: «مات، لقد قررت أن أتحدث بهذه الطريقة لبقية حياتي»، وقد فعلت، وهو ما سيجعل القصة التالية مؤلمة على وجه التحديد لي ولشيفي. ربما مؤلمة أكثر لشيفي.

على أي حال، في تلك الليلة السابقة لمباراة التنس، في الحفلة الخيرية، سار شيفي نحوي وقال: «أريدك فقط أن تعلم أنني من كبار معجبيك». كان هذا رائعاً.

قلت له: «يا إلهي، أنا لا أفعل شيئاً سوى أنني أسرق منك» واستطردنا في حديث مدحي متبادل ولطيف. في اليوم التالي، كان موعد مباراة التنس.

في ذلك الوقت يمكنني الاعتراف أن مهاراتي بالتنس قد أصابها الصداً. فأنا لم ألعب منذ سنوات، وضربات الصد تحتاج إلى الكثير من الجهد. ولكنني كنت لا أزال أمتلك ببراعة مهارة ضربات الاستقبال؛ في الواقع، في مباراة التنس تلك، كانت لديهم عداد سرعة، وقد سجلت 111 ميلاً في الساعة. مشكلتي الوحيدة هي أنني كنت لا أعلم إلى أين أرسلها بالضبط، وهو أمر عادي في اللعب العادي اليومي بملعب عام، ولكن ليس أمام ألفي متفرج. حتى الرئيس الأمريكي الأسبق جورج بوش الأب كان حاضراً...

بدأت المباراة. كنت سأبدأ في الإرسال، وشريكي في اللعب في الجزء الأيسر من الملعب، وأمامي بالجهة المقابلة شيفي، يلعب أيضاً بالجهة اليسرى من الملعب أمام الشبكة، وشريكه في اللعب يقف على خط الأساس حيث سأرسل إليه الكرة مباشرة. قذفت الكرة عالياً، أرجعت مضربي حول ظهري، وضربت كرة التنس بأقصى قوة ممكنة، راقبتها في رعب، وبدلاً من أن تعبر الكرة عبر الملعب لشريك شيفي، سارت بشكل مستقيم، واتجهت إلى شيفي تشيز. كان واقفاً على خط الإرسال الذي يقع بالضبط على بعد ستين قدماً من حيث ضربت الكرة. هذا الخط، من قبيل الصدفة، هو المسافة الدقيقة نفسها من منطقة «التل» إلى «اللوحة الرئيسية» في لعبة البيسبول، لذلك يمكنني أن أخبرك بثقة أنه إذا تم ضرب الكرة بسرعة حوالي 100 ميل في الساعة، فهذا يعني أنها كانت تتحرك بسرعة حوالي 146.7 قدماً في الثانية، ما يعني أنه كان لدى السيد تشيز 0.412 ثانية ليتعد عن الطريق.

لكن السيد تشيز لم يتعد عن الطريق.

بل بشكل أدق، لم تتعد خصيته عن الطريق. لقد أرسلت كرة تقترب من سرعة إرسال المحترفين، تماماً نحو شيفي تشيز، إذا فهمتم ما أعنيه.

إليكم ما حدث بعد ذلك: ظهر على وجه شيفي تعبيرات مرحة - تماماً كما فعل في فيلم Fletch عندما أراد الطبيب أن يفحص البروستاتا لديه - ثم سقط على الأرض (تذكروا، كل هذا حدث أمام ألفي متفرج).

انتهت المباراة، تطلّب الأمر أربعة مسعفين للاندفاع إلى الملعب، وربطه بنقالة، ونقله إلى أقرب مستشفى. إذا كان هذا هو ما أفعله بأبطالي، فمن الأفضل أن يحتمي كل من مايكل كيتون وستيف مارتين.

وبهذا أختتم ذلك القسم العنيف من هذا الكتاب.

الشيء الرهيب

تحيل هذا: أن يتعين عليك أن تعود مرة أخرى إلى مكان حيث تغوطت حرفياً عندهم على السرير من قبل ولعدة أسابيع. لقد خرجت منه، تتلعثم في حديثك، وتتخذ قرارات سيئة. ثم تذهب إلى نيويورك، وعلى الرغم من أنه ليس لديك رفيق واحد معافى بل اثنين، تتصل بخدمة الغرف في الفندق، وتقول بصوت مرتجف، محاولاً أن تتخلص من السموم: «من فضلك ضع زجاجة فودكا في حوض الاستحمام في غرفتي. نعم، حوض الاستحمام. قم بإخفائها هناك».

وبعد ذلك، عندما ينتهي اليوم، تعود إلى غرفة الفندق اللعينة، وتشرب زجاجة الفودكا، وتشعر أخيراً أنك بخير مرة أخرى، ربما لثلاث ساعات، ثم يتعين عليك القيام بذلك مرة أخرى في اليوم التالي. ترتجف وتظاهر أنك لست في مشكلة خطيرة عندما تتحدث إلى أي شخص. تستخدم الصوت المرتجف ذاته، وتتصل بالفندق وتطلب منهم إحضار زجاجة الفودكا في حوض الاستحمام مجدداً.

ربما هذا شيء يصعب دائماً على «العادي» فهمه؛ هكذا نحن المدمنون نسميكم أيها المحظوظين غير المدمنين للكحوليات. سأحاول شرح ذلك: عندما تشرب زجاجة كاملة من الفودكا، تمرض للغاية في اليوم التالي. لذا فاحتساء القليل في الصباح يساعدك، لكنني كنت أنال البطولة آنذاك في فيلم داخل إستوديو عملاق، لذلك لم أستطع الشرب في الصباح. جسدي مريض وترتجف، وتشعر أن كل جزء داخلك يحاول الضغط على جسمك. وهكذا يمر اليوم بأكمله؛ طوال أربع عشرة ساعة في اليوم.

الطريقة الوحيدة لتحديد مدى مرضك هي شرب الكمية نفسها بالضبط، أو أكثر بقليل، في الليلة التالية. سيقول «العادي»: «لا تشرب إذًا». نحن مدمنو الكحوليات نشعر وكأننا سنصاب بالجنون حرفياً إذا لم نشرب، ناهيك عن أن المدمن للكحوليات سيكون أكثر مرضاً وسيبدو أكثر مرضاً إذا لم يشرب الزجاجة. «لكن ماذا عن الفيلم؟».

لا يهم؛ عليّ أن أشرب.

«ماذا عن أخذ استراحة الليلة؟»

غير ممكن.

السؤال التالي؟

لذا، ذهبت إلى دالاس، أتناول الميثادون، وربع جالون من الفودكا يومياً، والكوكايين، والزاناكس. في كل يوم كنت أذهب إلى الإستوديو، وأسقط مغشياً عليّ على كرسي، ثم أستفيق لأؤدي مشهداً، ثم أتعثر في الإستوديو، ثم أصرخ في الكاميرا لمدة دقيقتين. وأعود إلى مقعدي لأخذ قبولة أخرى.

في تلك المرحلة من حياتي، كنت من أبرز المشاهير في العالم؛ في الواقع، كنت أحترق من شعلة الشهرة الساخنة. لذلك، لم يجرؤ أحد على الإفصاح بأي شيء عن هذا السلوك المروع. أراد صناع الفيلم أن يكتمل

عمل الفيلم، وأن يضعوا اسمي على ملصق الفيلم الإعلاني، وأن يجنوا 60 مليون دولار. أما بالنسبة إلى مسلسل «فريندز»... حسنًا، في «فريندز» كان الأمر أسوأ؛ فلم يرغب أحد في العبث بما كينة ضخ الأموال تلك.

في مرحلة ما في أثناء تصوير فيلم Serving Sara، اعتقدت أن بعض الفاليوم سيساعدني بطريقة ما. وصل طبيب إلى غرفتي «الدوبلكس» في الفندق ليعطيني بعضًا منه. في الليلة التي سبقت زيارته، شربت زجاجة فودكا من الحجم الكبير المناسب للحفلات، تلك التي معها حامل. عندما نظر الطبيب في أرجاء الغرفة، رأى الزجاجة وقال بصوت منفعل: «هل شربت كل ذلك؟».

قلت: «نعم، هل يمكنني تناول الفاليوم كل أربع ساعات، وليس كل ست ساعات؟». عندما قلت ذلك، استدار وركض بأقصى سرعة أسفل الدرج الحلزوني وخرج من الباب، تحسبًا أنه لن يكون في الغرفة بالفعل إذا مات ماثو بيرري.

لكنني ذهبت إلى دار إعادة تأهيل بعد أن أخبرتني جايمي تارسيس أنني هزيل وكأني سأختفي، وعدت في النهاية لإنهاء الفيلم. هكذا كان حالي في أثناء تصوير Serving Sara. كنت في حالة يرثى لها. شعرت بالذنب الشديد، واعتذرت للجميع، وأرى بإيجابية أنني أبلت حسنًا خلال الأيام الثلاثة عشر الأخيرة من التصوير. حاول الجميع أن يكونوا لطفاء حيال ذلك، وكانوا يبذلون قصارى جهدهم، لكنهم كانوا مستائين؛ فالمخرج كان غاضبًا؛ لقد دمرت فيلمه، كذلك إليزابيث هيرلي، التي شاركتني البطولة، كانت غاضبة (لم تتمكن أبدًا من تصوير فيلم آخر).

كنت بحاجة إلى القيام بتعويضات حقيقية؛ وهذا جزء مما يعلمه لك برنامج مدمني الكحول. لذا، أعدت تسجيل أجزاءي التي تلعثت فيها في الفيلم بأكمله - ما يعني أنني قمت بإعادة تصوير الفيلم بأكمله - على مدى عدة أيام في إستوديو الصوت. ثلاث صفارات في الإستوديو ثم أقول جملتي بما يتطابق مع حركة فمي. كنت بارعًا في ذلك، وعلى الأقل حصلنا على أقل تشتت يمكن أن يحدث في الفيلم. ثم التزمت بالقيام بأكبر قدر ممكن من المقابلات الصحفية في تاريخ الصحافة، أبذل أقصى ما في وسعي لمحاولة تصحيح الأمور. كنت على غلاف أي شيء، وحاضرًا في أي برنامج حوارى تتخيله.

بالطبع فشل الفيلم على أي حال. لقد تكبدت 3.5 مليون دولار لإنهاء الفيلم وتمت مقاضاتي بسبب وقف الفيلم، على الرغم من أنها كانت مشكلة صحية. على طاولة الوساطة، حقق معي فريق من التأمين، لذا كتبت لهم شيكًا بمبلغ 650 ألف دولار.

أتذكر أنني كنت أفكر: يا إلهي، لم يعلمني أحد قواعد الحياة». كنت في حالة يرثى لها تمامًا لأي شخص؛ كنت أنانيًا ورجسيًا. كل شيء يجب أن يدور حولي، وقمت بمطابقة ذلك مع عقدة نقص معقولة حقًا، كم هو مزيج شبه قاتل! كنت أركز في نفسي بشدة منذ أن كنت في العاشرة من عمري، منذ تلك اللحظة عندما نظرت حولي وقلت: كل شخص يركز على مصلحته. كان عليّ أن أركز بشدة على نفسي لأبقى متماسكًا.

لكن اجتماعات مدمني الكحول ستعلمك أن هذه ليست طريقة للعيش.

من بين الأشياء التي تقوم بها في برنامج الاثنتي عشرة خطوة في اجتماعات مدمني الكحول هو القيام بجرد أخلاقي شخصي (وهي الخطوة الرابعة). في أثناء ذلك، تدون كل أسماء الأشخاص الذين تشعر بالجنون تجاههم ولماذا. (كان لديّ ثمانية وستون اسمًا، ثمانية وستون!) ثم تدون كيف أثر ذلك عليك، ثم تقرأه لشخص ما (تلك هي الخطوة الخامسة).

ما تعلمته من هذه العملية - ومن رعاية وحب الداعم العظيم الذي قرأت له قائمتي - هو أنني لست مركز الكون. من المريح تعلم ذلك. هناك أشخاص آخرون حولنا ممن لديهم احتياجات واهتمامات ولا يقلون أهمية عني.

(إذا كنت تهز رأسك الآن، فاستمر، وواجهه. «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً»).

أصبح التعافي من الإدمان حينها أهم شيء في حياتي، لأنني تعلمت أنه إذا وضعت أي شيء في مواجهة التعافي، فسوف تفقد ذلك الـ«أي شيء» على أي حال إذا شربت حتى الثمالة.

قرأت قائمتي لداعمي في أحد أيام الربيع الجميلة، في مركز للتأمل رائع في لوس أنجلوس يسمى ذا سيلف-رياليزيشن فيلو شيب ليك شراين. كنت أجلس على تل يطل على المحيط الهادئ، المكان هادئ حقًا، توجد به بحيرة وحدائق ومعابد وحتى وعاء به بعض رماد المهاتما غاندي، الجزء الوحيد المدخر منه خارج الهند.

عندما انتهيت من قراءة قائمتي، أدركنا أن هناك حفل زفاف على وشك البدء في الحدائق. شاهدت الزوجين بيتسمان لبعضهما بعضًا، والعائلات في أفضل ملابسهم، والكاهن القائم بالزفاف بيتسم، ينتظر كي يبدأ بعدها في إلقاء كلام معسول حول المرض والصحة إلى أن يفرقهما الموت. لم أحضر أيًا من هذه الطقوس من أجل أي شخص لفترة طويلة، لقد كان إدماني هو أعز أصدقائي ورفيقي الشرير ومعاقبي وحبيبي، كل ذلك في شيء واحد. إنه ذلك الشيء الرهيب الخاص بي. لكن في ذلك اليوم، هناك مع ذلك المنظر - لا بد أن يكون هناك دائمًا منظر بالطبع - ومع العروسين الجديدين، وغاندي في مكان ما بالقرب، شعرت بصحوة، أنني هنا لسبب أكبر من ذلك الشيء الرهيب، أنني يمكنني مساعدة الناس، ومبادلتهم الحب، لأنني تراجع كثيرًا، لديّ قصة لأروها، قصة بمقدورها أن تساعد الناس حقًا. لذا أصبحت مساعدة الآخرين هي الحل بالنسبة إليّ.

في 19 يوليو 2019، ظهرت على الصفحة الأولى لصحيفة نيويورك تايمز أخبار عن دونالد ترامب، وستورمي دانيلز، وحريق قاتل في إستوديو للرسوم المتحركة في كيوتو، والبورتوريكيين الذين «اكتفوا من الوضع» حسبما قال العنوان الرئيسي.

لم أكن أعرف أي شيء عن هذا، ولم أعلم شيئًا عما حدث في الأسبوعين المقبلين: فلم أعرف أن حياة إل تشابو تخطت الثلاثين عامًا؛ ولا أن مجهولًا يبلغ من العمر تسعة عشر عامًا قتل ثلاثة أشخاص بالرصاص في مهرجان للثوم في جيلروي بكاليفورنيا (ثم قتل نفسه)؛ ولا أن بوريس جونسون أصبح رئيس وزراء المملكة المتحدة.

عندما استفتت من غيبوتي، كنت أصرخ. كانت والدتي معي. سألتها ماذا حدث. أخبرتني أن قولوني انفجر.

قالت: «إنه لأمر مدهش أنك ما زلت على قيد الحياة، مقاومتك لا تصدق. ومع بعض التغييرات في نمط الحياة، ستكون على ما يرام. ويمكنهم إزالة كيس فغر القولون في حوالي تسعة أشهر». فكرت: لديّ كيس فغر القولون؟ رائع. ستجده الفتيات أمرًا جذابًا بالتأكيد. وقلت: «شكرًا جزيلاً».

ثم تقلبت، ولم أتحدث أو أتحرك بالفعل لمدة أسبوعين. لقد كنت على بعد مسافة قليلة من الموت بسبب شيء فعلته. كنت متصلًا بخمسين جهازًا، وكان عليّ أن أتعلم المشي مرة أخرى.

كرهت نفسي. كدت أن أقتل نفسي. كان من الصعب تحمل العار والوحدة والندم في آن واحد. استلقت هناك وحسب، محاولًا التعامل مع كل ذلك، لكن لم يكن هناك أي تعامل مع ذلك، فقد حدث ما حدث. كنت خائفًا من الموت، وهو ما كان يتعارض بشكل مباشر مع أفعالي.

لكن الأمر انتهى. ألغى «عرض ماثيو بيرى» بفضل المواد الأفيونية. في بعض الأحيان، كنت أتمكن من الانتباه إلى ما يحدث في الغرفة، لكن هذا كان كل شيء. بالتأكيد لم أشارك في أي شيء. زارني أعز أصدقائي كريس وبرايان موراي. وبعد حوالي ثلاثة أسابيع، جاءت ماريما، شقيقتي من أبي، لرؤيتي.

وقالت: «هل أنت مستعد لسماع ما حدث؟».

أومأت برأسي (بصعوبة).

«بعد أن انفجر قولونك، وضعوك على جهاز الإنعاش، والذي تقيأت عليه. فوصل القيء والخراء المقرف إلى رئتيك. ثم وضعوك على جهاز الأكسجة الغشائية خارج الجسم، وبشكل ما نجوت من الأمر. وظللت في غيبوبة لمدة أربعة عشر يومًا».

بعد ذلك، أعتقد أنني ظللت لا أتحدث لمدة أسبوع آخر لأنني أدركت أن خوفي الأكبر قد تحقق، وهو أنني فعلت ذلك في نفسي. كان هناك جانب واحد إيجابي مع ذلك؛ الغيبوبة لمدة أربعة عشر يومًا تجعل الإقلاع عن التدخين أمرًا سهلًا للغاية.

كنت أتعاطى الأفيون، وأتوقف عن تعاطيه لمدة، ثم أعود لتعاطي أنواع مختلفة منه لمدة طويلة لدرجة أنني عانيت شيئًا يحدث لعينة من البشر. يتسبب الأفيون في الإصابة بالإمساك، ياله من أمر شاعري! كنت مملوءًا بالغائط وكدت أموت بسببه.

أيضًا، أصبت بحالة مرضية في الأمعاء.

آخر ما قلته لإيرين قبل الغيبوبة، بينما كنت أتقلب على الأرض من الألم، وقبل أن أفقد الوعي تمامًا هو «لا تركيني». كنت أعني هذا وقتها فقط، لكنها - مثل بقية أصدقائي وعائلي - فعلتها بالمعنى الحرفي. لقد قامت بوردية مسائية على مدى خمسة أشهر في ذلك المستشفى.

عندما أعود بالذاكرة إلى تلك الفترة، أشعر بالامتنان الشديد أن كل هذا حدث قبل فترة الكورونا، لأنني كنت سأبقى في تلك الغرفة وحيداً لمدة خمسة أشهر. فما حدث هو أنني لم أكن وحيداً يوماً في تلك الغرفة. كان ذلك حباً من الرب، متجسداً في البشر، بلحم ودم.

أصبحنا أنا وأمي خبراء في أزمة ما الآن. كنت أرغب دائماً في إخبارها عن عملي بذلك المسلسل «الصغير» «فريندز»، وماذا عن جميع المسلسلات والأفلام الأخرى؟ لقد فعلت ذلك في الأساس لجذب اهتمامها. ومع ذلك، كانت هي الشخص الوحيد الذي لم أحصل على اهتمامه حقاً بعد مسلسل «فريندز». ذكرت الأمر في بعض الأحيان، لكنها لم تكن تفتخر بما أنجزه ابنها.

لكن لا أعتقد أنه من المحتمل أن يكون هناك سبيل يجعلها تفتخر بما كنت أحتاج إخبارها به. وإذا كنت ستلقي باللوم على والديك على الأشياء السيئة، فعليك أيضاً أن تنسب إليهم الفضل في الأشياء الجيدة. كل الأشياء الجيدة. لم يكن بإمكانني لعب دور تشاندلر لو لم تكن والدتي هي والدتي تلك. لم أكن لأجني 80 مليون دولار لو لم تكن أمي هي أمي تلك. فتشاندر كان مجرد رداء خفياً للألم الحقيقي. هل هناك شخصية أفضل من ذلك من أجل مسلسل سيت كوم؟! أن تلقي دعابة وحسب على كل شيء، لذلك ليس علينا التحدث عن أي شيء واقعي، هكذا بدأ تشاندلر. في الوصف المبدئي لشخصيات المسلسل، كان من المفترض أن يكون تشاندلر «مراقباً لحياة الآخرين». لذا كان من المفترض له أن يكون شخصية تلقي بعض الدعابات في نهاية المشهد، ويعلق على ما حدث للتو؛ مثل شخصية المهرج في مسرحية الملك لير، يتحدث بالحقيقة غير الموجودة. لكن انتهى الأمر بإعجاب الجميع بتشاندر لدرجة أنه تحول إلى شخصية رئيسية. وانتهى المطاف لأن محل هذا محل ما فعلته أنا بالفعل في الحياة الواقعية - الزواج وإنجاب الأطفال - حسناً... بعض الأشياء التي لا أستطيع التحدث عنها جيداً.

خلاصة القول هي أنني هجرت والدتي وأنا في الخامسة عشرة من عمري، تماماً كما تخلت عنها والدي. لم أكن طفلاً سهل التحمل، وكانت هي نفسها مجرد طفلة. كانت دائماً تبذل قصارى جهدها وكانت معي في غرفتي بالمستشفى لمدة خمسة أشهر بعد الغيبوبة.

عندما ينفجر قولونك بسبب الإفراط في استخدام المواد الأفيونية، فإن الشيء الحكيم الذي يجب عليك فعله هو عدم طلب المواد الأفيونية لحل الموقف... وهو بالطبع ما فعلته.

أعطوني إياها.

كنت مكتئباً تماماً وكالعادة أردت أن أشعر بتحسن. كما أن الثقب الموجود في بطني، الذي كان بإمكانك وضع كرة بولينج فيه، كان عذراً كافياً للحصول على مسكنات للألم. وكما تابعت معي وعلمت، لقد كنت على بعد مسافة بسيطة من الموت بسبب المواد الأفيونية وطلبت من الأطباء حلاً لهذه المشكلة باستخدام... المواد الأفيونية! لذا، لا، حتى بعد هذا الحدث الكارثي، لم أنه من الأمر. لم أتعلم أي شيء. ما زلت أرغب في التعاطي.

عندما خرجت من المستشفى بعد الانفجار، كنت أبدو بحالة جيدة حقاً. فقدت الكثير من وزني، لكنني كنت مصاباً بجروح شديدة لدرجة أنهم لم يتمكنوا من إجراء عملية جراحية لاستبدال الكيس لمدة تسعة

أشهر أخرى على الأقل. لذلك، عدت إلى شقتي، وكذبت على الجميع بشأن شدة الألم للحصول على مسكنات للألم. لم أكن أتألم بالفعل. كان الأمر مجرد انزعاج أكثر مما هو ألم. لكن الأطباء صدقوا الكذبة وأعطوني أطنانًا من المواد الأفيونية، ومن الواضح أنني بدأت التدخين مرة أخرى. وهكذا كانت حياتي.

ودعونا لا ننسى: كيس فغر القولون يتمزق باستمرار وبانتظام - خمسين مرة على الأقل - فيتركني في حالة من القذارة تملأني.

أعزائي صناع كيس فغر القولون: اصنعوا واحدًا لا يتمزق، أيها الحمقى! هل أضحككتك في «فريندز»؟ إذا كانت الإجابة نعم، فلا تضع القرف على وجهي.

عندما يتناول المدمن قرصًا، فإنه يشعر بالبهجة. لكن بعد فترة وجيزة، سيتوقف القرص عن ضخ هذا الشعور لأن اعتياد الجسم على الجرعة قد تراكم. لكن المدمن لا يزال يريد حقًا أن يشعر بالبهجة مرة أخرى، لذلك يتناول قرصين كي يحظى بالشعور نفسه الذي أعطاه له القرص الأول.

ثم يصبح القرصان غير كافيين، فيلجأ إلى ثلاثة.

في الماضي، كنت ألع تلك اللعبة الصغيرة حتى وصل العدد إلى خمسة وخمسين قرصًا في اليوم. (شاهد فقط النصف الثاني من الموسم الثالث من «فريندز»). كنت ضعيفًا ونحيفًا ومريضًا. كان ذلك جليًا، لكن لم يقل أحد أي شيء عن هذا).

كانوا في مستشفى جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس يعطونني موادًا أفيونية لألم بطني الزائف، لكنني كنت بحاجة إلى المزيد، لذلك اتصلت بتاجر مخدرات. لكنني كنت في الطابق الأربعين من ذلك المبنى في سينشري سيتي، وهذا يعني أنه كان عليّ أن أجد طريقة لنزول أربعين طابقًا، وإعطاء التاجر المال في علبة سجائر فارغة، والحصول على أقراص. ثم اضطررت إلى العودة للطابق الأربعين دون أن يلاحظني أحد، أخذت الأقراص، ثم شعرت براحة لبعض الوقت.

الآن أنا مضطر لفعل ذلك مع رفيق متعافٍ، وممرضة، وإيرين، الذين يعيشون معي في الشقة. واتضح أنني فاشل جدًا في التخفي؛ لقد حاولت أربع مرات، وفضح أمري في كل مرة. لم يكن الأطباء في مستشفى جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس راضين عن كل هذا، وقرروا أنه يجب أن أذهب إلى دار إعادة تأهيل.

لم يكن لدي خيار؛ كنت أدمن أي شيء يقدمونه لي. لو قلت: «لا، تبًا لكم، ابتعدوا عني» لكانت لحظة مجيدة، لكن تقديم المخدرات سيتوقف بعد ذلك، وسأصاب بجنون التوقف عن التعاطي المرضي. وضعوني في موقف غريب إلى حد ما، أن أختار المكان الذي سأحسب فيه لأشهر، بين نيويورك أو هيوستن. ربما يجب إسناد هذا القرار لشخص آخر مؤهل أكثر مني؟ نظرًا لأنني الأقل أهلية لاتخاذ أي قرارات، اخترت نيويورك.

كنت منتشيًا مثل طائرة ورقية عالية، أدعي الألم في معدتي بمجرد وصولي لمركز العلاج في نيويورك. مع أن المكان يشبه السجن، كان الناس هناك بشوشين للغاية.

سألت: «تبًا، لماذا أنتم سعداء هكذا يا رفاق؟». (كان لدي ميل لأن أكون غاضبًا بعض الشيء). كنت أتناول 14 ملليجرامًا من الأتيفان و60 ملليجرامًا من الأوكسيكوتين. كان لدي كيس لفغر القولون. سألت أين يمكنني أن أدخن وقيل لي إنه لن يكون هناك تدخين هنا.

قلت: «لا يمكنني البقاء هنا إذا لم أستطع التدخين». «حسنًا، لا يمكنك التدخين هنا».

«نعم، لقد سمعت ما قلته. كيف يفترض بي الإقلاع عن التدخين ناهيك عن أي شيء آخر؟». «سنمنحك لاصقة لمنع التدخين».

«لا تلموني إذا دخنت تلك اللاصقة اللعينة».

تم الاتفاق على أنهم سيقونني على الأتيفان، ويمنحونني السابوكسون، ويمكنني أن أدخن في أثناء عملية التخلص من السموم، ولكن ليس عندما أكون في الوحدة الرئيسية. هذا يعني أنه يمكنني التدخين لمدة أربعة أيام فقط. عندما أرغب في التدخين، كان الموظف يصطحبني إلى الخارج ويقف بجواري بينما أنفخ الهواء بعيدًا.

كان ذلك مريحًا.

مرت ثلاث ليالٍ، ثم قابلت ممرضة جميلة جدًا وذكية للغاية. لقد اعتنت بي جيدًا، غازلتها بقدر ما يمكنك أن تغازل شخصًا يغير كيس فغر القولون الخاص بك على السرير. كان يلوح في الأفق اليوم المخيف الذي كنت سأضطر فيه إلى الإقلاع عن التدخين، لذلك سُمح لي بالخروج مع الممرضة الرائعة لتناول القهوة. بذلك تحسن مزاجي قليلًا. ألقيت لها الدعابات، وغازلتها، بطريقة «نحن جميعًا في دار إعادة تأهيل لذا لا يوجد أي شيء يمكن أن يحدث»، وعدنا.

عندما عدنا إلى المركز، قالت الممرضة: «أريدك أن تقوم بشيء من أجلي».

قلت لها: «أي شيء تريدينه».

«أريد منك أن تتوقف عن محاولة مضاجعة الممرضة الجذابة».

كانت تقصد نفسها.

رباه!

قلت: «ظننت أننا كنا نتغازل في منطقة آمنة وأنه لن يحدث أي شيء».

مكثت هناك لأربعة أشهر، ولم أغازلها مرة أخرى أبدًا. وكذلك هي لم تغازلني بدورها مقابل توقعي، ربما لأنها رأته مغطى بغائطي عدة مرات.

انتقلت بعد ذلك إلى وحدة العلاج النفسي، وهناك قابلت المعالج النفسي - بروس، أو ويندي، لا يهم - ولم أرغب في أي شيء منه. كل ما أردته هو التدخين، أو الحديث عن التدخين، أو التدخين في أثناء الحديث عن التدخين.

بدا الجميع أمامي وكأنهم سيجارة ضخمة.

نادراً ما كنت أترك غرفتي. ظل كيس الفغر يتعرض للتمزق. اتصلت بأمي، وطلبت منها أن تأتي لتتنقذي. قالت إنني سأدخن إذا خرجت من الدار، وهو ما سيؤدي إلى نتائج وخيمة في العملية الجراحية المقبلة. حادثت معالجتي، توسلت إليها لتخرجني. أجابت بالرد نفسه الذي قالته أمي. كنت محبوساً، ووضعي لعين.

استقر الرعب بي. كيسي كان ممتلئاً. لم يكن هناك ما يفرق بيني وبين نفسي. شعرت وكأنني طفل صغير خائف من الوحوش في الظلام. ولكن هل كنت أنا الوحش؟ وجدت ذلك السلم. أين الممرضة؟ لم يكن هناك أثر لها. ماذا عن العلاج؟ تباً للعلاج. ضربت تلك الجدران برأسي بالقوة نفسها التي استخدمها جيمي كونورز في ضرب ضرباته الأمامية على الخط. الكثير من الضربات العالية مع الدوران، مباشرة على الخط اللعين. إنها السلام.

في كل يوم أكون قريباً من الموت.

ليس هناك سبيل آخر للتعافي بداخلي. إذا رحلت، فلن أتمكن من العودة أبداً. وإذا رحلت، فسأرحل بقوة. سأضطر إلى الرحيل بقوة لأن قوة تحملي عالية للغاية.

قصتي ليست مثل قصة إيمي واينهاوس، حيث كانت متعافية لفترة طويلة، ثم قتلها على الفور أول مشروبات تحتسيها بعدئذ. لقد قالت شيئاً في ذلك الفيلم الوثائقي ينطبق عليّ أيضاً. كانت قد فازت للتو بجائزة جرامي وقالت لصديق لها: «لا يمكنني الاستمتاع بهذا إلا إذا كنت في حالة سُكر».

فكرة أن أكون مشهوراً، وأن أكون ثرياً، وأن أكون على وضعي هذا، كل ذلك لا يمكنني الاستمتاع بأي منه إلا إذا كنت منتشياً. ولا يمكنني التفكير في الحب من دون الرغبة في أن أكون منتشياً. أفتقر إلى الاتصال الروحي الذي يحميني من هذه المشاعر. لهذا أنا مجرد ساع.

في المرة الأولى التي وصلت فيها إلى تعاطي خمسة وخمسين قرصاً في اليوم، مثل شخصية بيتسي مالوم في مسلسل Dopesick، لم أكن أعرف ما الذي يحدث. لم أكن أعرف أنني مدمن. أنا من أوائل المشاهير الذين ذهبوا لدار إعادة التأهيل ومن أوائل الناس الذين يعرفون مكاناً كهذا. في عام 1997، كنت مشاركاً في المسلسل التلفزيوني رقم واحد في أمريكا وذهبت إلى دار إعادة التأهيل وتصدر هذا غلاف المجلات. لكن لم يكن لديّ أي فكرة عما كان يحدث لي. كانت بيتسي مالوم في Dopesick تتعاطى الهيروين، ثم ماتت؛ تراها توميء بإيحاء بسيطة ثم تبسم وبعدها تموت. لكن تلك الابتسامة هي الشعور الذي أريده طوال الوقت. لا بد أنها شعرت بحالة جيدة، لكنها قتلتها. لكن تلك اللحظة الرائعة شيء ما زلت أسعى إليه، فقط من دون جزء الموت. أريد ارتباطاً. أريد هذا الارتباط بشيء أكبر مني لأنني مقتنع بأنه الشيء الوحيد الذي سينقذ حياتي حقاً.

لا أريد أن أموت. أنا أخشى الموت.

لست جيداً حتى في العثور على المخدرات. قدمني شخص ما عملت معه يوماً لطبيب مشبوه. كنت أدعي أنني أعاني الصداع النصفي - في الواقع، كان لديّ ثمانية أطباء يعالجون الصداع النصفي المزيف - وأجلس

ليتم الكشف عليّ من خلال التصوير بالرنين المغناطيسي لمدة خمس وأربعين دقيقة فقط للحصول على الأدوية. في بعض الأحيان، عندما كانت الأمور سيئة حقًا، كنت أذهب إلى منازل تجار المخدرات. تولت ممرضة ذلك الطبيب المشبوه الأمر بعد وفاته. كانت لديها كل الأقراص، وتعيش في وادي سان فيرناندو، وكلما أردت الحصول على أقراص، كنت أذهب لرؤيتها. كنت مذعورًا طوال الوقت. كانت تقول: «ادخل!».

فأصرخ قائلاً: «لا! سيتم القبض علينا، فقط خذي المال ودعيني أخرج من هنا». لاحقًا، أرادت أن أجلس وأتعاطى معها الكوكايين. أخذت منها الأقراص، ولأنني كنت مذعورًا، تناولت ثلاثة أقراص على الفور، وقررت إلى المنزل متشيًا لأتخطى حاجز الخوف، ما جعلني عرضة بشكل أكبر للقبض عليّ.

بعد ذلك بوقت طويل، عندما كنت أعيش في سنشري سيتي، كنت أحاول أن أجد أعذارًا لتأليف أربعين قصة للحصول على المخدرات. كنت مريضًا للغاية والجرح كبيرًا في الوقت نفسه؛ فلم يغلقوا بطني بعد، وكنت وحيدًا خلال فترة الكورونا... كانت لديّ ممرضة تعطيني الأقراص، لكنني لم أعد أنتشي منها، لذا كنت أتصل بتاجر مخدرات وأحصل على المزيد من الأوكسيكوتين. بهذه الطريقة، كنت أتعاطى أدوية مخدرة إضافية عن تلك التي وُصفت لي حتى أشعر بمفعولها. كانت تكلفة الأقراص في الشارع حوالي 75 دولارًا للقرص، لذلك كنت أعطي الرجل 3000 دولار في كل مرة، لعدة مرات في الأسبوع.

ولكن تم ضبطي في مرات أخرى أكثر من مرات نجاحي بتلك المهمة. طُفح كيل طبيب مستشفى جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس المسؤول عن حالتي وقال إنه لن يستطع مساعدتي أكثر من ذلك. لم أستطع إيلايه؛ فالجميع كانوا مرعوبين من وجود الفيتانيل في الأقراص وأنني قد أموت منها (عندما وصلت إلى مركز العلاج، بالتأكيد أثبت التحليل إيجابية وجود الفيتانيل).

هذا المرض... ذلك الشيء الكبير المروع، الإدمان الذي دمر الكثير من حياتي وهو ليس بالأمر المضحك، لقد دمر علاقتي. دمر فكرة أن أكون على سجيتي كل يوم. لديّ صديق ليس لديه أي نقود، يعيش في شقة يتحكم بها الإيجار. لم ينجح أبدًا كممثل، وهو مصاب بداء السكري، ودائمًا قلق بشأن المال، ولا يعمل. قد تتبادل الأدوار في ثانية. في الواقع، بإمكانني أن أتخلى عن كل المال، وكل الشهرة، وكل شيء، للعيش في شقة يتحكم بها الإيجار؛ بإمكانني أن أقبض هذا الإدمان بكوني قلقًا بشأن المال طوال الوقت حتى لا أصاب بهذا المرض.

وأنا لا أعاني هذا المرض وحسب، بل حالتي فيه سيئة. في الواقع، أنا مصاب به بأسوأ قدر ممكن. إنه موقف صعب للغاية محاصر فيه طوال الوقت. إنه سيقتلني (أعتقد أن شيئًا ما يجب أن يقتلني). تحدث روبرت داووني جونيور ذات مرة عن إدمانه قائلاً: «يبدو الأمر كما لو كان لديّ مسدس في فمي وإصبعي على الزناد، معجبًا بطعم المعدن». تفهمته تمامًا؛ أنا أعني ما قاله هذا. حتى في الأيام الجيدة، عندما أكون متعافيًا ومتطلعًا إلى الأمام، يظل معي طوال الوقت، يظل ذلك المسدس موجودًا.

لحسن الحظ، أعتقد أنه لم يعد يوجد ما يكفي من المواد الأفيونية في العالم لتجعلني متشياً. أنا في هوة سحيقة تمامًا. مُقدّر للأشياء أن تصبح فظيعة حقًا - لا بد أن تصبح كبيرة ومروعة - قبل أن ألق عن أي شيء. عندما كنت أعمل في مسلسل Mr. Sunshine، كنت أقوم بإدارته بشكل أساسي؛ أكتبه وأقوم ببطولته. ثم، في المنزل، كنت أعمل على ملاحظات على سيناريو لكتاب ما. كان لدي زجاجة فودكا بجواري. أعددت لنفسي ثلاثة عشر وأربعة عشر مشروبًا، لكن المشروبات كانت منزلية، لذا ضاعفت تركيزها ثلاث مرات. وبعد المشروب الرابع عشر، لم أشعر بالثألة. لذلك، أفلعت عن الشرب.

أعتقد حاليًا أنني وصلت إلى المرحلة نفسها مع المواد الأفيونية. فهي لم تعد كافية. تناولت 1800 ملليجرام من الأفيون في سويسرا يوميًا ولم أنتش. لذا، ماذا سأفعل؟ هل أتصل بتاجر مخدرات وأطلب منه كل المخدرات؟ الآن عندما أفكر في عقار الأوكسيكودونين، يومض ذهني مباشرة بالحصول على كيس لفغر القولون مدى الحياة. وهو شيء لا أستطيع التعامل معه. لهذا السبب أعتقد أنه سيكون من السهل جدًا بالنسبة إليّ الاستمرار في التخلص من المواد الأفيونية؛ فقد فقدت فعاليتها. ويمكنني الاستفاقة من عملية جراحية أخرى - أجريت بالفعل أربع عشرة عملية أخرى بعد الجراحة الأولى - مع كيس فغر القولون ثابت.

حان الوقت لاكتشاف شيء آخر. (كما يقال، إن المرحلة التالية هي الهيروين، وأنا لن أخوضها). بالمناسبة، إقلاعي عن الشرب والمواد الأفيونية ليس له أي علاقة بأني أتخلى بالقوة، الأمر فقط أنها لم يعد لديها مفعول. إذا جاء شخص ما إلى منزلي الآن وقال: «إليك مائة ملليجرام من الأوكسيكودونين»، سأقول: «هذا لا يكفي».

ومع ذلك، تظل المشكلة قائمة: أنا كما أنا أينما ذهبت. أحمل معي المشكلات والسوداوية والقرف، لذلك في كل مرة أترك فيها دار إعادة التأهيل، أقوم بتغيير جغرافي وأشتري منزلًا جديدًا لعينًا وأعيش فيه. أول ما أفعله عندما أتفقد المنازل - وهي هواية بالنسبة إليّ - هو الذهاب إلى خزانات الأدوية الخاصة بأصحاب المنازل لمعرفة ما إذا كان لديهم أي أقراص يمكنني أن أختلسها. ومع ذلك، لا يمكنك أن تكون غيبًا في هذا الأمر، عليك أن تأخذ كمًا بسيطًا. فلا يمكنك أن تأخذ الكثير وإلا سيعرفون. لذا، تحقق من التاريخ المدون على زجاجة الدواء، فأنت تريد دواء منتهي الصلاحية نوعًا ما. إذا مر على الدواء وقت طويل، يمكنك أن تأخذ كمًا كبيرًا منه. أما إذا كانت زجاجة جديدة تمامًا، فيمكنك أن تأخذ قرصين فقط. كنت أتفقد خمسة منازل مفتوحة⁽²⁴⁾ في يوم الأحد، وهو ما يستغرق يومي كله.

أحيانًا، عندما كنت أتناول خمسة وخمسين قرصًا في اليوم، كنت أستيقظ وأضطر بطريقة ما إلى العثور على تلك الخمسة والخمسين قرصًا. كان الأمر أشبه بوظيفة بدوام كامل. كانت حياتي كلها قائمة على الحسابات. أحتاج إلى ثمانية أقراص لأعود إلى المنزل، ثم سأملك هناك لمدة ثلاث ساعات، لذا أحتاج إلى أربعة أقراص أخرى. ومن بعدها عليّ أن أذهب إلى حفل العشاء ذاك، لذا أنا بحاجة إلى سبعة أقراص... كل هذا بمجرد الحفاظ على نفسي حتى لا أمرض، ولأتجنب ما لا مفر منه وهو التخلص من السموم.

أتخيل أصحاب المنازل أولئك وهم يعودون بعد عرض منزلهم المفتوح للبيع، وفي لحظة، يفتحون خزانة الأدوية الخاصة بهم.

«هل من الممكن أن يكون تشاندلر هو من فعلها... لا، ليس تشاندلر. بالتأكيد ليس تشاندلر بينج!».
وبعدها، بدلاً من المنازل المفتوحة، بنيت واحداً. بدأت تلك العملية لأنه منذ حوالي ثمانية عشر شهراً، لم أستطع إكمال جملة واحدة. أصبح كلامي غير واضح على الإطلاق، الأمور كانت مروعة جداً بالنسبة إليّ. حضر الأطباء، وجاءت أمي، وكذلك الجميع واعتنوا بي لأنني لم أستطع التحدث. كنت عاجزاً تماماً عن أي شيء، وكان عليّ أن أفعل شيئاً حيال هذا.

كانت لديّ شقة بنتهاوس تقدر بـ 20 مليون دولار في سينشري سيتي، حيث كنت أتعاطى المخدرات وأشاهد التلفزيون وأمارس الجنس مع صديقتي لبضعة أشهر.

ذات ليلة، فقدت الوعي وكذلك فقدت هي الوعي وعندما استيقظنا، كانت والدتي وكيت موريسون عند حافة سريرتي. فكرت: هل أنا في حلقة من برنامج Dateline «ديت لاين»؟ وإذا كنت كذلك، فلماذا أمي فيه أيضاً؟

نظرت والدتي إلى صديقتي وقالت: «أعتقد أنه حان الوقت لتغادري». وهو ما أنقذ حياتي.

أنقذ والدي أيضاً حياتي عدة مرات.

عندما ساعدني في الذهاب إلى دار مارينا ديل راي (بعدها قالت جايمي تارسيس إنني أتلاشي أمام عينيها)، كنت خائفاً للغاية من أنني لن أستمتع مجدداً لآخر عمري. بعد ثلاثة أسابيع، اتصلت بهارتا كوفمان وديفيد كرين لأبلغهما أنني تعافيت ويمكنني العودة لتصوير «فريندز».

قالا: «متى ستعود؟ نريدك أن تعود. سيكون عملك مكثفاً للغاية. علينا أن نبدأ في غضون أسبوعين، وإلا فلن تتمكن من القيام بذلك».

لكنني كنت لا أزال مريضاً جداً. كان والدي قد تصنّت على مغزى المحادثة واتصل بهارتا وديفيد مرة أخرى.

قال أبي: «سأخرجه من مسلسلكم التلفزيوني إذا واصلتما التصرف معه بهذه الطريقة».

كنت ممتناً جداً لكونه أبي وبتصرفه الأبوي في ذلك الموقف، ولكنني لم أرغب في أن أسبب مشكلة. فقد كانا يؤديان عملهما فحسب؛ أصبح عملهما المسلسل رقم واحد في قائمة العرض التلفزيوني، واثان من الشخصيات الرئيسية في المسلسل كانا على وشك الزواج في الأحداث. لا يمكنني الاختفاء. أردت أن يجري كل شيء على ما يرام. لذا انتقلت من مارينا ديل راي إلى دار بروميسيس في ماليبو، حيث قيل لي إنني سأحتاج أكثر من ثمانية وعشرين يوماً، ربما أحتاج شهوراً لأتحسن.

وبعدها بأسبوعين، نقلني مختص من الدار بماليبو إلى موقع تصوير «فريندز». عندما وصلت هناك، قابلتني جينيفر أنيستون وهي تقول: «أنا حقاً غاضبة منك».

قلت لها: «عزيزتي، إذا علمت ما كنت أمر به، ما كنت لغضبت مني».

بعدها احتضننا بعضنا، وانتهيت من العمل. تزوجت مونيكا⁽²⁵⁾ وتم توصيلي إلى مركز العلاج - في عز مجدي في «فريندز»، وعز مجدي وشهرتي في حياتي المهنية، ووسط هذا الحدث الأيقوني في ذلك المسلسل الأيقوني - في سيارة «بيك أب» يقودها مختص من الدار.

أردت فقط أن أعلمكم أنه لم تكن كل الأضواء خضراء في صانسييت تلك الليلة. لا يمكنني أن أكون مفيداً في علاقة لأنني أحاول التمسك بها وأكون في خوف شديد من أن يتم التخلي عني. وهذا الخوف ليس حقيقياً حتى، لأنه في عامي الثالث والخمسين من عمري، من بين كل صديقاتي الرائعات، لم تتركني سوى واحدة، منذ سنوات عدة. قد تعتقد أن هذا لا يعادل كل اللاتي تركتهن... ومع ذلك كانت كل شيء بالنسبة إليّ. الرجل الذكي بداخلي يرى ذلك بوضوح: كانت في الخامسة والعشرين من عمرها فقط، تحاول فقط الاستمتاع بوقتها، تواعدنا لبضعة أشهر، لكنني أزلت كل ما لديّ من حدود. قررت فجأة وإلى الأبد أن أكون على سجيتي فقط.

ثم هجرني. لم تعدني بأي شيء. كنت أشرب كالمخبول أيضاً، لذا لا ألومها. قابلتها منذ عامين في جلسة قراءة لمسرحية؛ كانت تقوم بدور زوجتي. قالت قبل القراءة: «كيف حالك؟» وتظاهرت أنني بخير، لكنني كان بداخلي جحيم، فكرت: اخرج حالاً، لا تنخرط معها. فقط تظاهر أن كل شيء على ما يرام. قالت: «لديّ طفلان مع شريكي الآن، والحياة تسير بشكل جيد، هل أنت مرتبط؟». قلت: «لا، ما زلت أبحث».

أتمنى لو أنني لم أقل هذا، لأنني بدوت وكأنني ما زلت أبحث منذ أن هجرني. لكن تلك كانت الحقيقة، أنا ما زلت أبحث. ثم انتهت جلسة قراءة المسرحية، ولم تعد زوجتي، وخرجتُ من ذلك الجحيم، وبدت هي بالهيئة نفسها، لم تتغير.

في هذه الأيام، لديّ إيمان بالرب، لكن في كثير من الأحيان، يبدو هذا الإيمان، حسناً، سبباً مسدوداً. ولكن بعد ذلك، يصبح كل شيء مسدوداً بسبب الدواء الذي أتناوله.

في هذه الأيام أيضاً، أطرح هذا السؤال: هل أنني علاقتي بشيء أقوى بتعاطي السابوكسون؟ من بين مشكلاتي الكبرى، والسبب في أنني على مر السنين واجهت الكثير من المتاعب لأتعافى، هو أنني لم أترك نفسي أبداً لأشعر بعدم ارتياح لفترة طويلة كافية لأن أقوم باتصال روحي. لذا، كنت أصلح هذا بالأقراص أو بمشروب كحولي قبل أن يتدخل الرب ويصلحني.

حضرت فصلاً للعمل على التنفس مؤخراً. لمدة نصف ساعة تتنفس بهذه الطريقة العميقة للغاية وغير المريحة للغاية. تبكي، وترى أشياء، ثم تشعر نوعاً ما بالارتياح. بالنسبة إليّ كان هذا كالهديّة المجانية الترويجية، أفضل نوع. لكن السابوكسون أعاق حتى هذا الشعور... يقول نصف الأطباء الذين تحدثت إليهم إنني يجب أن أتعاطى السابوكسون لمدة عام على الأقل، ولكن ربما لبقية عمري. يقول لي أطباء آخرون

إنني عملياً لست متعافياً وأنا لا أزال أتعاطاه (من الصعب جداً التخلص منه في كلتا الحالتين، وهو أمر مثير للسخرية لأنه دواء يستخدم لإبعادك عن الأدوية الأخرى. مؤخراً، عندما تم حقني بوصلة وريدية منه، كانت الجرعة التي تلقيتها أقل بمقدار 0.5 مما كان من المفترض أن يكون، وهو ما أصابني بالمرض والخوف لدرجة أنني اضطررت إلى أخذ دفعة أخرى. إنك تشعر بالفزع عندما تتوقف عن تناوله).

عندما تتناول الهيروين، يضرب الدواء مستقبلات الأفيون الخاصة بك، وبعد ذلك تكون منتشياً، ثم يتلاشى ولا تصطدم بالمستقبلات الأفيونية بعد الآن، ثم تكون متعافياً لبعض الوقت، وبعدها ربما في اليوم التالي تضرب مستقبلات الأفيون الخاصة بك مرة أخرى، ومن ثم تصبح منتشياً، وهكذا دواليك. لكن السابوكسون يعمل بشكل مختلف، فهو يلف نفسه حول المستقبل، ولا يتلاشى، ما يعني أنه في الأساس يدمر مستقبلاتك على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع.

لذا، فإن إحدى النظريات التي لديّ حول صراعي مع السعادة هي أنني أتلفت هذه المستقبلات. لقد تم استبدال الدوبامين الخاص بي بالسابوكسون. شعور الدوبامين هو ما تحصل عليه عندما تستمتع بشيء ما: مثل النظر إلى غروب الشمس، أو لعب التنس وتسديد ضربة جيدة، أو الاستماع لأغنية تحبها. لكنني على ثقة تامة من أن مستقبلات الأفيون لديّ قد تعرضت لأضرار بالغة، وربما وصلت إلى نقطة اللاعودة. لهذا السبب أشعر دائماً بالضيق قليلاً.

تماماً مثل التهاب البنكرياس، ربما إذا تركت المستقبلات الأفيونية الخاصة بي بمفردها لفترة طويلة، فستصلح نفسها بنفسها وسأكون سعيداً مرة أخرى.

لقد رأيت الرب في مطبخي، من بين كل الأماكن، لذلك أعرف أن هناك شيئاً أكبر مني (بداية، أعلم أنني لا أستطيع أن أزرع نبتة). أعلم أن هناك حباً وقبولاً منتشرًا في كل مكان ما يعني أن كل شيء سيكون على ما يرام. أعلم أن هناك شيئاً ما يحدث عندما تموت. أعلم أنك تنتقل إلى شيء رائع.

المدمنون للكحوليات والمخدرات مثلي يريدون الشرب لغرض وحيد وهو الشعور بالتحسن. حسناً، هذا صحيح على الأقل بالنسبة إليّ: كل ما أردته هو أن أشعر بتحسن. لم أشعر أنني بحالة جيدة؛ لذا تناولت مشرويين وشعرت بتحسن. ولكن مع تقدم المرض، يتطلب الأمر المزيد والمزيد للشعور بالتحسن. إذا ثقبت غشاء التعافي، سيخرج إدمان الكحول ويتحرك قائلاً: «أهلاً، هل تتذكرني؟ جميل أن أراك مرة أخرى. الآن، أعطني القدر نفسه الذي تناولته في المرة السابقة وإلا سأقتلك أو أدفعك للجنون». وبعد ذلك يبدأ هاجس عقلي، ولا يمكنني التوقف عن التفكير في الشعور بتحسن، وهو ما يتماشى مع ظاهرة الرغبة الشديدة، وما يتبقى لك هو كدمة تبدأ بشكل ما ولا تتحسن أبداً. لا أحد لديه مشكلة في الشرب يتوقف ثم يشرب في مناسبة اجتماعية وهذا لا بأس به. المرض فقط يستغل الفرصة.

يقول كتاب The Big Book of Alcoholics Anonymous إن الكحول ماكر ومخير وقوي... ولكن أود أن أضيف أيضاً أنه صبور. بمجرد أن ترفع يدك وتقول: «لديّ مشكلة»، يبدو الأمر كما لو أن الإدمان يقول: «حسناً، إذا كنت ستتحديث عن الأمر بغباء، فسوف أرحل بعيداً لفترة...». أمكث في دار إعادة تأهيل لمدة ثلاثة أشهر، وأفكر: حسناً، سأتعاطى عندما أخرج من هنا، لكن يمكنني الانتظار لمدة تسعة أيام أخرى

للقيام بذلك. المرض يقرع أصابعه فقط. غالبًا ما يُقال في اجتماعات المدمنين إنه عندما تكون في اجتماع، فإن مرضك يقوم بتمارين الضغط بيد واحدة في الخارج، فقط في انتظارك لتغادر.

كنت أموت عدة مرات، وكلما قل حجم معاناتي (معلوماتك، الموت هو أقل شيء ستعرض له)، يزداد عدد الأشخاص الذين يمكنك مساعدتهم. لذا، عندما كانت حياتي تنطلق وتزدهر مجددًا، يصبح لدي أشخاص أراهم وأدعمهم، يتصلون بي لمساعدتهم في حياتهم. كان العامان من 2001 إلى 2003 أسعد عامين في حياتي؛ لأنني كنت أساعد الناس، ومتعافياً، وقويًا.

كانت هناك آثار جانبية جيدة أخرى للتعافي. كنت أعزب أيضًا لبعض الوقت، لذا أذهب إلى الملاهي الليلية، لكنني لم أرغب في الشرب؛ لقد حدثت لي المعجزة. واسمحوا لي أن أخبركم أنه لا يوجد من هو أكثر شهرة من شخص متعافٍ في الساعة 2:00 صباحًا في الملهي الليلي يقول: «مرحبًا، كيف حالك؟» لامرأة. لا أعتقد أنني أقمت علاقات حميمة أكثر مما فعلت في هذين العامين.

لكن المرض صبور. تتوقف ببطء عن حضور جميع الاجتماعات التي من المفترض أن تذهب إليها. لست بحاجة حقًا للذهاب إلى ذلك الاجتماع ليلة الجمعة...! وبعد ذلك، في الوقت الذي تتعمق فيه في هذا النوع من التفكير، يأتي إدمان الكحول من أجلك، محيرًا وقويًا وصبورًا. فجأة، لا تحضر أي اجتماعات مجددًا، وتقتنع نفسك أنك تفهم كل شيء. الآن لست بحاجة لفعل هذا. فأنا أفهم كل شيء.

المدمنون ليسوا أشخاصًا سيئين. نحن مجرد أشخاص نريد أن نشعر أننا أفضل، لكننا نعاني هذا المرض. عندما أمر بشعور سيء، أفكر: أعطني شيئًا يجعلني أفضل. الأمر بتلك البساطة. سأظل أحب تعاطي المخدرات وشرب الكحوليات، ولكنني لا أفعل بسبب العواقب ولأنني أصبحت في مرحلة متأخرة قد تقتلني.

قالت لي أمي مؤخرًا إنها فخورة بي. كتبتُ فيلمًا وقرأته هي. هذا ما أردت منها أن تقولها طوال عمري. وعندما أشرت إلى هذا، قالت لي: «ماذا عن القليل من التسامح؟». «أنا حقًا أسامحك».

أتساءل أنا أيضًا إن كان بإمكانها أن تسامحني على كل شيء ورطتها فيه... إذا كان شخص أناني وكسول لعين مثلي يمكنه التغيير، إذًا بوسع أي شخص أن يتغير. لا يمكن لسر أن يصبح أسوأ لمجرد أنه تم إفشاؤه. في هذه المرحلة من حياتي، كلمات الامتنان تنبثق من فمي لأنني كان من المفترض أن أكون ميتًا، وبشكل ما، هذا لم يحدث حتى الآن. لا بد أن يكون هناك سبب لذلك. ببساطة، لا أستطيع أن أستوعب الأمر إن لم يكن هناك سبب.

لم أعد أؤم ببذل مجهود أقل في أي شيء. فالطريق الذي يسير بأقل قدر من المقاومة ممل، أما الندبات فهي مثيرة؛ إذ بوسعها أن تحكي قصة حقيقية، وهي تثبت أن هناك معركة ما صارعنا فيها، وفي حالتني، انتصرت فيها بصعوبة.

لدي العديد من الندبات الآن.

في أول مرة خلعت فيها قميصي في الحمام بعد عودتي من المستشفى وقد أجريت العملية الجراحية الأولى، انفجرت في البكاء. كنت منزعجًا جدًا من المنظر. ظننت أن حياتي انتهت. وبعد مرور نصف ساعة، لملت شتات نفسي لأتصل بتاجر المخدرات الذي أتعامل معه والذي بدأ يسألني ما الخطب، وكأنه أخصائي اجتماعي أو كاهن، وليس تاجر مخدرات.

قبل ثلاثة أيام، أجريت الجراحة الرابعة عشرة؛ بعد أربع سنوات منذ ذلك الموقف السابق. بكيت مرة أخرى. مع هذا، يجب أن أتعلم كيف أعتاد على الأمر، لأنه سيكون هناك دائمًا المزيد من العمليات الجراحية، لن أنتهي منها أبدًا. سأعيش دائمًا بأمعاء رجل في التسعينيات من عمره. في الواقع، لم تمر عليّ جراحة من دون البكاء بعدها، ولا مرة.

مع هذا، توقفت عن طلب تجار المخدرات.

هناك الكثير من الندبات على بطني لدرجة أن كل ما عليّ فعله هو النظر إلى أسفل لأعرف أنني خضت حربًا، حربًا ذاتية. ذات مرة، في أحد حفلات هوليوود - كانت القمصان مسموحًا بها، لا، بل أصروا عليها في الواقع، حمدًا للرب - التفت مارتن شين نحوي وقال: «أتعرف ما يقوله القديس بطرس لكل من يحاول الوصول إلى الجنة؟» عندما نظرت بتركيز، قال الرجل الذي كان رئيسًا في يوم من الأيام⁽²⁶⁾: «قال بطرس: «أليس لديكم أي ندوب؟» وعندما كان معظم الناس يردون بفخر، يقول لهم بطرس: «لا، لا أرى هذا فخرًا، ولم لا؟ ألم يكن هناك أي شيء يستحق القتال من أجله؟»».

(مارتن شين مثل آل باتشينو، وشون بن، وإلين ديجينيرز، وكيفن بيكون، وشيفي تشيز، وروبرت دي نيرو، كل هؤلاء أعضاء زملاء في «نادي المشاهير» الذي صادفته، وهو مكان صغير غير رسمي تنضم إليه عندما تكون في مطار أو في مناسبة ويظهر منهم شخص مشهور ويقول لك: «مرحبًا» وكأننا نعرف بعضنا بعضًا).

مع ذلك، تلك الندبات، يا لها من ندبات... يبدو بطني وكأنه خريطة طبوغرافية للصين. إنها مؤلمة بحق الجحيم. مع الأسف، يضحك جسدي في هذه الأيام بمجرد تعاطيه 30 ملليجرامًا من الأوكسيكودونين. والأدوية عن طريق الفم لا تعمل على الإطلاق. الشيء الوحيد الذي يساعد قليلًا هو الدواء الذي يصل مباشرة إلى الوريد، ومن الواضح أنني لا أستطيع أخذ ذلك في المنزل، لذا أذهب وأعود إلى المستشفى.

في يناير 2022، كان لدي شق بطول ست بوصات مدعمًا بدبابيس معدنية. هذه هي حياة شخص أنعم عليه بالشيء الرهيب. وهم لا يسمحون لي بالتدخين. سيكون يومًا جيدًا إذا تخطيت مسألة عدم التدخين ولم يحدث شيء مجنون. عندما لا أدخن، يزداد وزني أيضًا، في الواقع، اكتسبت مؤخرًا الكثير من الوزن لدرجة أنني عندما نظرت في المرآة، اعتقدت أن شخصًا ما يتبعني.

عندما تصبح متعافيًا، يزداد وزنك. وعندما تقلع عن التدخين، يزداد وزنك. تلك هي القواعد. بالنسبة إليّ، قد أتبادل وضعي مع أي شخص من أصدقائي - بريسمان، أو بيركو، أيًا منهم - لأنه لم يحدث لأي منهم ذلك الشيء الرهيب ليتعاملوا معه. لم يتصارع أي منهم مع هذا الأمر طوال حياتهم مع

عقل وُجد ليقتلهم. قد أضحى بكل ما لديّ لكي لا يحدث لي هذا مجددًا. لا يصدقني أحد في ذلك، لكنها الحقيقة.

لم تعد حياتي في أوجها. أتجراً على قول ذلك خلال كل هذا الاضطراب. لقد نضجت. أنا أكثر واقعية وصدقًا الآن. لم أعد بحاجة لترك الناس في غرفة صارخين من الضحك. أنا فقط بحاجة إلى الوقوف بشكل مستقيم ومغادرة الغرفة.

ونأمل ألا أخرج منها وأحبس نفسي في الخزانة مباشرة. الأمور أكثر هدوءًا الآن بالنسبة إليّ، أكثر صدقًا، أكثر احتمالًا. بالتأكيد هناك فرصة في أنه إذا أردت دورًا جيدًا في فيلم ما، فسأكتبه الآن. لكن يمكنني فعل ذلك أيضًا، الاكتفاء. لقد اكتفيت. أنا مكتفٍ تمامًا، ولست بحاجة إلى الظهور في أي عمل مجددًا. لقد تركت بصمتي. حان الوقت الآن للجلوس والاستمتاع بها، وإيجاد الحب الحقيقي، والحياة الحقيقية. لن يعيش أحد على الخوف.

أنا هو أنا. وهذا يجب أن يكون كافيًا، لقد كان دائمًا كافيًا، ولم أفهم ذلك. والآن أنا أفهم. أنا ممثل، وكاتب، وشخص، شخص جيد في ذلك. أريد أشياء جيدة لنفسي وللآخرين، ويمكنني الاستمرار في العمل من أجل هذه الأشياء. هناك سبب في أنني لا أزال هنا، لأتعرف سبب المهمة التي وضعت أمامي.

وسأعرفه. لا داعي للاندفاع أو اليأس. الحقيقة أنني هنا وحسب، وأنني أهتم بالناس، هي الإجابة عن ذلك. الآن عندما أستيقظ، أستيقظ وأنا أشعر بالفضول، أتساءل عما يجنّبه لي العالم، وعما أخبئه أنا من أجله. وهذا يكفي للاستمرار.

أريد أن أستمر في التعلم. أريد أن أستمر في التعليم. هذه هي الآمال العظيمة التي أحملها لنفسي، لكن في غضون ذلك، أريد أن أضحك وأقضي وقتًا ممتعًا مع أصدقائي. أريد أن أمارس الحب مع امرأة أحبها بجنون. أريد أن أصبح أبًا وأن أجعل أمي وأبي فخورين.

أصبحت أحب الأعمال الفنية الآن أيضًا، وبدأت أجمعها. حصلت على لوحة للفنان بانكسي في مزاد في نيويورك. اشتريتها عبر الهاتف. لم ألتق به من قبل، لكنني أريده أن يعرف أنه إذا نشب حريق في أي وقت، فإن لوحة بانكسي الخاصة بي ستكون الشيء الذي سأسعى لإنقاذه. أتساءل إن كان سيهتم (في الواقع، ربما يشعل هو النار بنفسه في اللوحة).

لقد أنجزت الكثير في حياتي، ولكن لا يزال هناك الكثير لأفعله، وهو ما يثيرني يوميًا. كنت طفلًا من كندا وقد تحققت كل أحلامه، لكنها كانت مجرد أحلام خاطئة. وبدلاً من الاستسلام، تغيرت ووجدت أحلامًا جديدة.

ما زلت أجد لها طوال الوقت. إنها موجودة هناك في تلك الإطالة، في الوادي، على الحواف والومضات التي تنعكس من المحيط عندما تغرب الشمس... وهكذا.

عندما يفعل شخص ما شيئًا لطيفًا لشخص آخر، أرى الرب. لكن فاقد الشيء لا يعطيه. لذلك، أحاول أن أحسن من نفسي يوميًا. عندما تأتي تلك اللحظات وأحتاج إلى ذلك، أعمل على حل مشكلاتي، وأفعل ما جئنا هنا جميعًا من أجله، وهو ببساطة مساعدة الآخرين.

المنزل المفتوح هو المنزل المعروض للبيع ويتيح أصحابه الزيارة للعامّة إذ يمكنهم تفقده لمدة ساعة أو أكثر قليلاً (الترجمة).
يقصد أنه تزوج البطلة مونيكا في أحداث مسلسل «فريندز» (المراجعة).
يقصد المؤلف أنه قام بدور الرئيس الأمريكي في مسلسل House of Cards (الترجمة).

فاصل

منطقة التدخين

ذات يوم جميل، اجتمع الرب ومعالجي النفسي وقررا بأعجوبة إزالة رغبتني في تعاطي المخدرات. رغبة ما ظلت أعانيها منذ عام 1996.

قال لي المعالج: «في المرة القادمة التي تفكر فيها في تعاطي الأوكسيكوتين، أريدك أن تفكر في أن تعيش بقية أيامك مع كيس فغر القولون».

لم يقل الرب شيئاً، ولكنه ليس عليه أن يفعل ذلك لاحقاً لأنه الرب، لكنه كان هناك.

بعد أن خضعت لكيس فغر القولون لمدة تسعة أشهر طويلة، تأثرت بكلمات معالجي بشدة. وعندما تضرب كلمات هذا الرجل بشدة، فإن الشيء الحكيم الذي يجب فعله هو البدء في العمل على الفور. تسبب ما قاله في فتح نافذة صغيرة جداً، زحفت منها. وعلى الجانب الآخر كانت هناك الحياة من دون أوكسيكوتين. الخطوة التالية بعد الأوكسيكوتين هي الهيروين. كلمة لطالما كانت تخيفني. خوف أنقذ حياتي بلا شك. خوفاً، بالطبع، هو أنني أرغب كثيراً في هذا المخدر، وأني لن أتوقف عن تعاطيه أبداً وسيقتلني. لا أعرف كيف أفعل ذلك، ولا أريد أن أتعلم. حتى في أحلك أيامي لم يكن هذا خياراً أبداً.

لذا، نظراً لأن الهيروين كان محظوراً وكان الأوكسيكوتين هو المخدر الوحيد الذي كنت أرغب في تعاطيه، كان من الآمن أن أقول إن رغبتني في تناول المخدرات قد تلاشت؛ لم أستطع العثور عليها إذا حاولت، ولم أكن أحاول. شعرت بخفة في قدمي. شعرت بالحرية. أزيح العبء من على ظهري. اختفى الجزء الذي كان غائباً من عقلي وعلى وشك قتلي. حسناً، ليس بهذه السرعة.

أجريت مؤخراً عمليتي الجراحية الرابعة عشرة في بطني، هذه الجراحة لإزالة فتق كان بارزاً من خلال جدار بطني. كان مؤلماً للغاية، وتلقيت من أجله عقار الأوكسيكوتين. نحن المدمنون لا نتحمل المعاناة الأبدية أيضاً؛ إذا كنا نعاني ألماً شديداً، يُسمح لنا بتناول مسكنات للألم، فقط يجب أن يتم ذلك بحرص. هذا يعني أن زجاجة الأقراص مستحيل أن تكون في يدي، والدواء يجب أن يصفه دائماً شخص آخر. هذا يعني أيضاً أن لديّ ندبة جديدة تماماً على بطني، وهذه المرة سيكون الشق طوله ست بوصات. أحقاً يا رفاق؟ لقد انفجر قولوني، وقمتم بفتحي بشق كبير لدرجة يمكنكم وضع كرة بولينج فيه، والآن لديّ ندبة أكبر؟

بعد الجراحة، في اللحظة التي تناولت فيها الدواء، تلاشى الألم، ولكن حدث شيء آخر: شعرت بتجميد القناة الهضمية مرة أخرى. اضطراب ما بعد الصدمة، هل هناك أي شخص للمساعدة؟ وعندما حدث ذلك، توجهت مباشرة إلى غرفة الطوارئ، حيث علمت أنهم إما سيقدمون لي شيئاً لمساعدتي في الذهاب إلى الحمام أو يخبرونني أنني بحاجة إلى عملية جراحية على الفور. وفي أي وقت أجريت فيه عملية جراحية، كنت أستيقظ دائماً مع كيس فغر القولون. لقد حدث ذلك مرتين بالفعل، ويمكن أن يحدث بسهولة مرة أخرى.

هل تعلم ما الذي يمكن أن يضمن أنني لن أستيقظ أبداً من عملية جراحية ومتصل بي كيس فغر القولون، الذي لا رجعة فيه؟ الإقلاع عن تعاطي الأوكسيكوتنين. وهو ما قمت به بالفعل. كنت حرًا. لا توجد كلمات لوصف مدى روعة ذلك الخبر. لم أكن مهتمًا بتناول دواء منذ ذلك الحين. لذا، سوف أسرق كلمات آل مايكلز⁽²⁷⁾ الخالدة عندما هزم مجموعة من طلاب الجامعة الطلاب الروس الأوغاد في مباراة هوكي الجليد في عام 1980 في ليك بلاسيد.

«هل تؤمنون بالمعجزات؟ نعم!!!!!!».

ما زلت لا أستطيع مشاهدة تلك المباراة من دون أن تحدث رعشة في عمودي الفقري. حسنًا، ذلك كان وقتي، تلك كانت معجزتي.

كنت أو من دائمًا بالنظرية القائلة بأن الرب لا يضع أمامك ما لا يمكنك التعامل معه. في هذه الحالة، أعطاني الرب ثلاثة أسابيع. ثلاثة أسابيع من الحرية. وبعد ذلك، وضع أمامي تحديًا جديدًا وهائلًا. كنت أتجاهله، متظاهرًا بأنه لم يحدث بالفعل، أو أنه قد يختفي فجأة.

في ذلك الوقت، عندما استلقيت للنوم، بدأت أسمع صفييرًا. أحيانًا يكون الصوت مرتفعًا بما يكفي لدرجة أنني لا أتمكن من النوم، وأحيانًا كان الصوت أكثر هدوءًا واستمر لفترة أطول. لكن عندما قررت النظر في الأمر، لأن الرب رأى أنني مستعد، كنت قلقًا. كان أمني أن يكون التهابًا بالشعب الهوائية أو شيئًا يمكن علاجه بمضاد حيوي، لكنني كنت أخشى أن يكون أسوأ من ذلك.

كان لطبيب الرئة الخاص بي قائمة انتظار مدتها أسبوع، لذا قضيت سبعة أيام من الاستلقاء وسماع هذا الصوت المريع خلال أكثر أوقات الليل ضعفًا ووحدة. مر ذلك الأسبوع ببطء شديد. ففي بعض الأحيان، كنت أجلس وأدخن سيجارة، وأتمنى أن يختفي ذلك الصغير. أنا لست عالم صواريخ.

أخيرًا، جاء صباح الموعد، وصلت ومعني إيرين الموجودة دائمًا، ذهبت لإجراء اختبار التنفس. تنفست بأقصى ما أستطيع في أنبوب لبضع دقائق ثم طُلب مني الانتظار في مكتب الطبيب للحصول على نتائجي. جعلت إيرين تنتظر معي. كنت خائفًا من أن تكون أخبارًا مروعة. تذكروا، يا رفاق، نحن نريد أن نسمع أنها مجرد عدوى في الشعب الهوائية هنا. وبسبب المعجزة التي حدثت منذ ثلاثة أسابيع، لم يكن لدي مكان للاختباء به إذا كانت أخبارًا سيئة.

بعد فترة طويلة جدًا، سار الطبيب بخفة إلى مكتبه، وشغل مقعدًا، وقال (بلا مبالاة، على ما أعتقد، رغم المخاطر) أن سنوات التدخين التي قضيتها قد أثرت بشكل كبير على رئتي وإذا لم أفلح عن التدخين الآن - اليوم - سأموت في عمر الستين. بعبارة أخرى، لا يهم إذا كنت مصابًا بعدوى في الشعب الهوائية بحق الجحيم.

قال: «لا، بل شيء أسوأ بكثير. لكننا اكتشفنا الأمر مبكرًا بما يكفي لدرجة أنك إذا أفلحت عن التدخين، ستتمكن من العيش بشكل جيد حتى الثمانينيات من عمرك».

ذهلت، وتجمدت من الخوف، ممتنًا لأننا اكتشفنا ذلك في الوقت المناسب، دارت تلك الأفكار في رأسي عندما غادرنا لركوب السيارة. جلسنا بها لفترة، تمنيت أن تكون السيارة من طراز ديلوريان حتى نتمكن من

العودة إلى عام 1988 ولا يمكنني أبدًا التقاط واحدة من هذه العادات السامة التي تبتلع الحياة من البداية. ولكنني تمكنت بطريقة ما من أن أكون متفائلًا.

قلت في النهاية: «حسنًا، لدينا أمر بديهي هنا بين يدينا. سوف أدخن لبقية اليوم. وصباح الغد في السابعة صباحًا، سأتوقف عن التدخين لبقية حياتي».

لقد أقلعت عن التدخين من قبل، لمدة تسعة أشهر، لكن هذا كان كارثيًا آنذاك. قالت إيرين - لأنها تظن لطف شخص في العالم - إنها ستقلع عن التدخين معي.

سُمح لي في البداية بتدخين السيجارة الإلكترونية، لكن في النهاية كان يجب أن أتوقف عنها أيضًا. وفي الساعة 7:00 صباحًا، جاء اليوم التالي بسرعة كبيرة جدًا. تم تطهير منزلي من جميع السجائر، وتشبثت بالسيجارة الإلكترونية من أجل حياة كريمة. تذكرت من المحاولات السابقة للإقلاع عن التدخين أن اليوم الثالث والرابع كانا الأسوأ، لكن إذا تمكنت من الوصول إلى اليوم السابع، فسأكون حرًا بالمنزل.

كان الأمر مروعًا بقدر ما يمكنك أن تتخيل. بقيت في غرفتي في الأساس ودخنت السيجارة الإلكترونية وانتظرت اختفاء المشاعر الرهيبة. لكنني كنت شجاعًا، فقد تمكنت من القيام بذلك.

لكن اليوم السابع جاء وذهب، وما زلت أشعر بشعور مروع. كنت أشتهي أي سيجارة لدرجة لم أكن أعتقد أنها ممكنة. بحلول اليوم التاسع، لم يعد بإمكانني تحمل الأمر؛ خرجت من غرفتي في المنزل وقلت: «أريد سيجارة». كان طاقم التمريض هناك للتأكد من أنني لا أتعاطى المخدرات، وليس لإيقافي عن تدخين سيجارة، لذلك أعطوني واحدة. إذا قلت لك إنني انتشيت منها، فأنا أعني أنني انتشيت تمامًا، مثل نشوتي في أثناء قيادة سيارة موستانج حمراء في فيجاس إلى المنزل.

لم أشعر بذلك الشعور نفسه عندما دخنت السجائر الثمانية المتبقية في تلك الليلة، بل جعلتني أشعر بالقرف وأخافتني لدرجة القرف من نفسي أيضًا (استخدمت «القرف» مرتين، على الرغم من أنها غير لائقة في الكتابة، فإنها مُتعمدة).

كنت رجلًا في الثانية والخمسين من العمر، وإذا لم تكن تلك الصفحة الأولى التي تقرأها في هذا الكتاب، فأنت تعلم بالفعل أن خطتي لبقية حياتي أن تكون طويلة وجيدة. لذا حاولت! استلقيت في سريري ولم أدخن لمدة تسعة أيام.

لقد تمكنت من الإقلاع عن كل دواء مخدر في تاريخ المخدرات، لكن الإقلاع عن السجائر سيكون أصعب؟ أتمرحون معي؟

قررت أن الانتقال من ستين سيجارة في اليوم إلى التوقف تمامًا سيكون صعبًا عليّ للغاية لأنفذه لذا سأقلل من التدخين تدريجيًا حتى يتم وضع خطة أفضل. في الأيام القليلة التالية، تمكنت من التقليل من ستين سيجارة إلى عشر سجائر. على الرغم من أن هذا كان إنجازًا، دعنا لا ننسى: لقد كانت حياتي على المحك وكنت بحاجة إلى أن يصل الرقم إلى الصفر وبسرعة. كانت أي جهود لتقليل عدد السجائر لأقل من عشرة هي جهود عبثية لا جدوى منها.

جاء كيري جاينور، خبير التنويم المغناطيسي. حاولت الإقلاع عن التدخين معه من قبل، لكن الأمر لم ينجح. هذه المرة ثبت أن الوضع مختلف تمامًا. جلست أمام كيري جاينور في ذلك اليوم، رجل يأس يريد الإقلاع عن التدخين. أردت حقًا الإقلاع، تبًا، كنت بحاجة إلى ذلك. أنا لا أعرف الحب الحقيقي، لم أنظر بعمق أبدًا إلى كآبتي النفسية في طفولتي. بالإضافة إلى ذلك، كان التعرض لانتفاخ الرئة مروعًا، مع خزانات الأكسجين وأنايب التنفس وكأنني سأقول: «مرحبًا، أنا ماثيو بيرى، بالطبع هذا أنبوب التنفس الذي تقابله».

ولكن هل يمكن لعقل مثل عقلي أن يتم تنويمه؟ راودتني الأفكار في صراع مستمر وهلوسات سمعية... لذلك إذا لم أستطع السيطرة على عقلي، فكيف سيتمكن التنويم المغناطيسي من ذلك؟ لقد أحببت التدخين - في بعض الأيام، كان سببي الوحيد في البقاء حيًا - في الواقع، قد أسهر أحيانًا فقط من أجل تدخين بعض السجائر. كما أنها كانت آخر ما أملك. من دونها لن يكون لدي ما يفصلني عن نفسي. أقلعت عن الشرب إلى الأبد بعدما زارني الرب في مطبخي. وأقلعت عن المخدرات لبقية حياتي عندما أخافني كيس فغر القولون خوفًا شديدًا. هل قلت ذلك للتو؟ كيف من الممكن أن أقوم بذلك؟ وما الهدف من القيام بأي شيء آخر وأنا ليس بإمكانني التدخين؟

لم تبدأ الأمور على نحو جيد. ذهبت إلى هناك، وضربت الجرس، فتح لي شخص غاية في اللطف، وقلت: «مرحبًا، هل كيري هنا؟ لديّ موعد معه».

لم يكن كيري هناك، إذ قصدت المنزل الخطأ. تساءلت عن شعور ذلك الشخص بعد أن قرع تشاندلر بينج جرس باب منزله...

على بعد خمسة منازل، رأيت كيري واقفًا أمام منزله، منتظرًا وصولي. كنت مدعورًا؛ لقد كان آخر ما أستند إليه، وناهيك عن حياتي، التي أصبحت على المحك.

لم يكن مكتب كيري تمامًا كما توقعته من أعلى منوم مغناطيسي في العالم؛ كان مليئًا بالأوراق والصور ولافتات ضد النيكوتين. جلسنا وبدأ في شعاره بأن «التدخين بشع»، نعم، نعم، أعرف ذلك. دعنا نبدأ في الأشياء المجدية.

شرحت كيف كان الأمر مؤلمًا، وأخبرني أننا بحاجة إلى ثلاثة اجتماعات؛ أنا حالة خاصة على ما يبدو. انتهت المحادثة، واستلقيت، ولمدة عشر دقائق، أنامني مغناطيسيًا. بالطبع لم أشعر بشيء.

من المفترض أن تستمر في التدخين بين الاجتماعات، وهو ما كنت ممتنًا له، ولكن لتسهيل الأمور على رثتي، وعلى كيري، التزمت فقط بعشر سجائر (يمكن لأي شخص أن يدخن ثلاث علب في اليوم، كما فعلت أنا، لكنك تحتاج إلى حوالي عشر سجائر فقط للحصول على النيكوتين الذي يتوق إليه جسمك، أما الخمسون سيجارة الأخرى فهي مجرد عادة).

خلال الجلسة الثانية، قام كيري بتكتيك التخويف بأقصى ما لديه. كان من السذاجة التفكير في أن السيجارة التالية لن تقتلني (لم أفكر هكذا). كان من الممكن أن أدخن سيجارة آنذاك، وأصاب بنوبة قلبية

على الفور، وإذا لم يكن هناك أحد للاتصال بالنجدة على الرقم 911، لأصبحت في عداد الموتى. كان من الممكن لسيجارتي التالية أن تجعل رثتي لا تعملان إلى الأبد، وسأضطر إلى أن أعيش بقية أيامي حاملاً خزانات الأكسجين وأتنفس فقط من خلال أنفي (فكرت: هذا أسوأ من كيس فغر القولون، لكنني لم أقل ذلك بصوت عالٍ). تُرى هل من الأفضل أن أشرب سيجارة أم أتنفس في صباح اليوم التالي؟ (عرفتُ إجابة هذا السؤال).

قبل أن ينيمني مغناطيسياً في تلك المرة الثانية، حاولت أن أشرح له ما يدور في عقلي المجنون المتصارع. قلت: «لست متأكدًا إن كنت ستقدر على تنويمي».

ابتسم كيري بذكاء - ربما سمع هذه الجملة آلاف المرات على ما أظن - وطلب مني مرة أخرى أن أرقد. تضامنت معه، أردت لذلك الأمر أن ينجح. ولكنني ظلت غير واثق من أنه سينجح. تركت مكتبه وعدت مجددًا لعشر سجائر في اليوم، ولكن شيئًا تغير: كل سيجارة أخافتني أكثر من التي قبلها. إن لم يكن هناك سبب آخر، فإن كيري قام بجهد رائع في إلقاء الرعب في كل سحبة دخان. هناك شيء مختلف بالفعل. ثم وصلنا إلى اجتماعنا الأخير. كانت النهاية - وبعد ذلك، كان من المفترض أن أتوقف عن التدخين إلى الأبد. شرحت له أنني مررت بأوقات عصيبة في كل مرة حاولت فيها القيام بذلك - كان الإقلاع عن التدخين أصعب من المخدرات. وقد قمت ببعض الأشياء المجنونة (لاحظ ما حدث مع الرأس والجدار) في أثناء الإقلاع عن التدخين. كنت أشعر بالرعب من أعراض الانسحاب.

استمع كيري بصبر، ثم أشار بهدوء إلى أنه ساعد آلاف البشر في الإقلاع عن التدخين، وكل الملاحظات التي جاءت بعد الجلسات قالت الشيء نفسه: هناك القليل من الانزعاج في اليومين الأولين، ثم لا شيء. لا يمكنك الشعور بالنيكوتين مجددًا، لن تعود هناك السجائر الإلكترونية مرة أخرى.

لكن تجربتي السابقة لم تكن هكذا على الإطلاق، أخبرته بذلك.

قال: «أنت لم ترغب أبدًا في الإقلاع عن التدخين من قبل، ولم تفعل ذلك أبدًا بالطريقة الصحيحة معي». لقد كان على حق، لكنني أردت الإقلاع. لم يكن هناك شك في ذلك. وبهذا، استلقيت مرة أخرى، وأنا مني. وتلك المرة الشعور كان مختلفًا، كنت مسترخيًا ونائمًا تمامًا. أدركت هذا بينما تحدث كيري لعقلي الباطن ووجدت أنه لم يتصارع.

ثم انتهى الأمر.

نهضت، وسألته إن كان من الممكن أن أحتضنه، ووافق على مفضل. وخرجت من مكتبه، لم أعد مدخنًا. إلى الأبد، مهما يحدث. بالعودة إلى المنزل، تم تطهير المكان من جميع منتجات النيكوتين والسجائر الإلكترونية (التي يمكن أن تقتلك بشكل أسرع من السجائر، حسبما قال كيري).

كانت الساعة الآن حوالي 6:00 مساءً، وكانت مهمتي هي أن أكمل حتى 9:30 دون أن أدخن.

لكن شيئًا ما قد تغير؛ لم أكن أرغب في أي سيجارة.

كان اليوم الأول غير مريح بعض الشيء، كذلك اليوم الثاني. وبعد ذلك، اختفت المشاعر السيئة، تمامًا كما أخبرني كيري أن الأمر سيكون كذلك. لم يكن لدي أي أعراض انسحاب. لا شيء. ولم أرد أن أدخن.

لقد نجحت. كيف تمكن من إزالة أعراض الانسحاب وكيف كان ذلك ممكناً طبيًا عن طريق التنويم المغناطيسي؟ كان هذا لغزاً بالنسبة إليّ. لكنني لن أطرح المزيد من الأسئلة.

أجل، لقد وصلت إلى تدخين ما لا يقل عن خمسين سيجارة في اليوم، لكن ذلك كان مجرد عادة. لاحظت شيئاً آخر أيضاً؛ لقد اختفى صوت الصفير. لقد أنقذ كيري جاينور حياتي. أصبحت غير مدخن. تلك كانت معجزة أخرى. في الواقع، المعجزات تطير من حولنا بسرعة؛ انحن بسرعة وإلا ستصطدم بإحداها. لا أريد تعاطي المخدرات، ولا أريد التدخين.

توقفت عن التدخين لمدة خمسة عشر يوماً، وشعرت أنني أكثر إشراقاً، شعرت بتحسن، وأصبحت آخذ استراحات أقل في لعب البيكل بول. ومضت الحياة في عيني.

ولكن بعد ذلك حدث شيء ما. أخذت قضمة من قطعة توست ملطخة بزبدة الفول السوداني، وسقطت كل أسناني العلوية. نعم، كلها. هرعت لطبيب الأسنان في حجز سريع؛ فأنا، على كل حال، ممثل، ويجب أن تكون كل أسناني في فمي، وليست في جيب بنطالي الـ«باجي». ولكن وقعت الكارثة وكانت هناك حاجة إلى عمل كبير. كان على طبيب الأسنان أن يزيل كل أسناني - بما فيها الأسنان المزروعة التي تم تثبيتها في فكي - ثم استبدالها جميعاً بأخرى جديدة. قيل لي إن هذا سيؤلم ليوم أو يومين ويمكن التعامل مع الألم بتناول أدفيل وتايلينول. لكنهما أعادا إلى ذهني بحق الجحيم طبيب الأسنان السادي الذي أدى ستيف مارتن دوره جيداً في فيلم Little Shop of Horrors.

كم يوماً تألمت؟

سبعة عشر يوماً.

هل زال الألم بتناول الأدفيل والتايلينول؟

بالطبع لا.

إلى أي مدى انخرطت في ذلك الألم، ودخنت سيجارة؟

ثلاثة أيام.

لم أتمكن من تحمل ذلك النوع من الألم من دون تدخين في آن واحد. شعرت بأن هناك معجزة جاءتني، وقد رفضتها قائلاً: «لا شكرًا. لا تناسبني».

أود أن أستغل الفرصة لأوجه بعض الكلمات لجراح الأسنان المسؤول عن كل هذا: «اللعة عليك، أيها الوغد الكبير، أيها الفاشل اللعين، يا ذو الوجه الأحمق اللعين». الآن، أشعر بتحسن.

بعد ذلك، بدأت بشكل مبدئي في ترصد كيري جاينور. قابلته في كل الفرص المتاحة، ثم اشتريت علبة سجائر ودخنت واحدة، ثم بللت بقية العلبة تحت الصنبور. لم أكذب عليه إطلاقاً بخصوص الخوف الذي انتابني مع كل نفخة من السجائر؛ حكيت له ما حدث، وحمدًا للرب أنه لم يطلق النار على جرحي. رددت كل الشعارات والمانترا التي ولدت لديّ خوفًا شديدًا من التدخين.

ولكنني ما زلت أدخن.

لم تعد إليّ تلك الحالة أنني لا أريد أن أدخن مرة أخرى. كنت أضطر إلى الخروج متمهلاً لتناول العنب المجمد مع السير عشرين دقيقة على جهاز المشي في كل مرة أردت فيها سيجارة. تخيلت رجلاً يزن مائة رطل على جهاز المشي هذا وهو يسير ويقول بنبرة عالية جداً: «يا إلهي، أتمنى لو دخنت سيجارة!». أما السيجارة الإلكترونية فلم تكن خياراً متاحاً، وكذلك اللاصقة، وكذلك الكذب (ما الفائدة من ذلك؟) كنت أتوقف لمدة أربعة أيام، ثم أدخن فأعود الكرّة.

ولكنني لم أستسلم؛ لا أستطيع الاستسلام. حياتي كانت صعبة للغاية، أنا أستحق التدخين. لقد كتبت نصّاً مسرحياً. أنا أستحق التدخين. تلك الأفكار كان عليها أن تتبدد فوراً لأنها أعطت المدمن أملاً. ثم جاءني الفكرة السديدة بأن أحجز موعدين صباحيين متتاليين مع كيري. بالطبع، لم أستطع التدخين وأنا أعلم أنني سأقابلة في الصباح التالي. كانت ليلة صعبة، ولكنني اكتفيت من تلك الليالي، وفي اليوم التالي، تنزهت حتى مكتبة غريب الطراز، مستعداً لإجراء محادثتنا القصيرة، وليتم تنويمي مجدداً. يمكنني لعب دوره الآن، إذ يمكننا تبادل المقاعد. أقوم أنا بعرض كوب بلاستيكي أطفال من الماء الدافئ عليه، كوب غريب ذي لون أزرق. ولكن جاء اليوم الثاني (يوم الانتصارات الصغيرة). أنا مني، وألقى الرعب بي مجدداً، وجعلني أرحل لحين موعد آخر معه بعد أسبوع. في المنزل، كان لديّ جدول مزدحم لأنني لم أتمكن من أن أدع الملل يتسلل إليّ، فهو ملعب الشيطان. حسناً، إنه الملل، وتلك الفتاة التي كسرت قلبي وأنا في الثلاثين من عمري.

اعتدت تعاطي خمسة وخمسين قرصاً من الفيكودين في اليوم، وأقلعت عن ذلك، لذا لن أدع تلك العادة القذرة، الكريمة، المهدئة بشكل رائع، والعظيمة أن تنال مني مجدداً. ترى هل أدخن أم أنتفس؟ التنفس؛ كم هو أمر رائع نضمن جميعاً وجوده.

لقد أعتيتني السجائر بشدة. إنها ضارة بصحتك أيضاً. يبدو الأمر كأنني أمازحك، ولكن تلك الأشياء يجب أن تتذكرها. لقد عدت لأحصل على دور بعد انقطاع (فأنا لم أمثل منذ حادثتي)، ولديّ كتاب لأؤلفه وأقوم بالدعايا له، ولن أستطيع أن أقوم بالدعايا له وأنا بيدي سيجارة. ولن أستطيع أيضاً أن أتعامل مع هذا الموقف بأن أقول: «توقفوا عن الشرب وتعاطي المخدرات وتدخين السجائر! إليكم الطريقة: فقط تناولوا ست كعكات من الشيكولاتة في كل ليلة!» فتلك ليست الرسالة التي أردت إيصالها بالضبط.

لديّ رقم قياسي يجب أن أكسره: خمسة عشر يوماً، وبعد ذلك سأصل إلى الشعور المريح بعدم الرغبة في التدخين. لقد فعلت هذا من قبل، ويمكنني القيام به مجدداً: إعادة هيكلة الشخص. لا أعلم هذا الشخص، ولكنه يبدو لطيفاً، ويبدو أنه أخيراً توقف عن ضرب نفسه بمضرب كرة البيسبول.

متشوق جداً لأعرف هذا الرجل!

لاعب كرة قدم أمريكية أمريكي، ولد في 1 أبريل 1900 في تيفين في الولايات المتحدة، وتوفي في 21 أكتوبر 1972 في جادسدن في الولايات المتحدة.

باتمان

لم أتخيل قط أن أبلغ الثانية والخمسين من عمري وأنا لا أزال أعزب، ولا أَلعب أَلعابًا مرحة وغبية مع أطفال قصار ولطفاء، يجرون في الأرجاء، ويرددون كلامًا لا معنى له، عَلَّمته لهم جميعًا لمجرد أنني أردت أن أجعل زوجتي تضحك.

لسنوات، ظننت أنني لم أكن كافيًا، ولكنني لم أعد أشعر بذلك. أرى أنني كافٍ بالقدر الملائم. ولكن في كل صباح، عندما أستيقظ، تظل هناك بعض اللحظات أكون فيها مشوشًا، ضائعًا في الأحلام، ونائمًا، ولا أعلم بالضبط أين أنا، أتذكر بطني، وتلك الندبة والجرح في أنسجتي المرافقين لها. (أخيرًا أصبحت لدي عضلات صلبة، ولكنها ليست من التمارين). ثم أحرك قدمي خارج السرير، وأمشي على أطراف أصابعي إلى الحمام، حتى لا أوقظ... إمم، لا أحد. أجل يا سيدي! أنا أعزب كما يجب للعزوبية أن تكون. أنظر إلى مرآة الحمام، أملاً في رؤية ما يفسر لي كل شيء. أحاول ألا أفكر كثيرًا في المرأة الرائعة التي تركتها بسبب خوفي الذي أخذت وقتًا طويلًا لأفهمه. أحاول ألا أسهب في التفكير؛ إذا قضيت وقتًا طويلًا في النظر إلى مرآة الرؤية الخلفية، ستصطدم بسيارتك. مع ذلك، ما زلت أجد نفسي متشوقًا لرفقة، من النوع الرومانسي. لست شخصًا انتقائيًا؛ إذا كانت هناك من هي طولها 157 سنتيمترًا، سمراء الشعر، ذكاؤها حاد، مرحة وعاقلة، ستفي بالغرض. تحب الأطفال أيضًا، وتتسامح مع الهوكي، ومستعدة لتعلم البيكل بول.

هذا كل ما أتمناه.

رفيقة درب.

في النهاية، إذا أطلت النظر، أرى وجهي يبدأ في الاختفاء، وأعلم أنه حان الوقت لأتوجه لشرفتي وللإطالة.

هناك، أسفل المنحدرات والطرق السريعة ومركز التأمل حيث قرأت قائمتي لداعمي، هناك حيث تدور طيور النورس في كاليفورنيا وتنقض، أشاهد تموج المحيط الرمادي كلون الأردواز بحوافه الزرقاء. لطالما اعتقدت أن المحيط يعكس ما في العقل الباطن. هناك يقبع الجمال - الشعاب المرجانية، والأسماك ذات الألوان الزاهية، والرذاذ، وضوء الشمس المنكسر - ولكن هناك شيئًا أغمق، أسماك القرش وأسماك النمر وأعماق لا نهاية لها على استعداد لابتلاع قوارب الصيد المتهالكة.

حجم المحيط هو أكثر ما يهدئني؛ حجمه وقوته. إنه كبير كفاية لتضيق فيه إلى الأبد؛ قوي كفاية ليحمل ناقلات النفط الكبيرة. نحن لا شيء مقارنة باتساعه. هل سبق لك أن وقفت على حافة الماء وحاولت إيقاف موجة؟ إنها مستمرة، بغض النظر عما نفعله؛ بغض النظر عن مدى صعوبة المحاولة، يذكرنا المحيط بأننا لا حول لنا ولا قوة مقارنة به.

عند مشاهدة المحيط، أجد نفسي معظم الأيام ممتلئًا ليس فقط بالشوق، بل أيضًا بالسلام والامتنان وفهم أعمق لما مررت به، وأين أنا الآن.

بداية، لقد استسلمت، لكن للجانب الفاتر، وليس للجانب الخاسر. لم أعد غارقًا في معركة مستحيلة مع المخدرات والكحوليات. لم أعد أشعر بالحاجة إلى إشعال سيجارة تلقائيًا لتدخينها مع قهوة الصباح. لاحظت أنني أشعر بأني أكثر نظافة، أكثر انتعاشًا. لقد ذكر كل أصدقائي وعائلتي هذا؛ هناك تألق أصابني لم يره أحد منهم من قبل.

قرأت في الملحق في نهاية كتاب The Big Book of Alcoholics Anonymous بعنوان «التجربة الروحانية»:

غالبًا ما يدرك أصدقاء الوافد الجديد الفرق قبل فترة طويلة من أن يدرك هو نفسه.

في هذا الصباح، وفي كل صباح في شرفتي، أشعر أنني وافد جديد، ممتلئ ومشحون بطاقة «الاختلاف»؛ لا كحوليات، لا مخدرات، لا سجائر... وبيننا أنا واقف هناك، أشرب القهوة في يد، واليد الأخرى خاوية، أشاهد الأمواج البعيدة في المحيط، أدرك أنني أشعر بموجة بداخلي. إنه الامتنان.

بينما يتوغل ضوء النهار، ويتحول لون المحيط من الفضي إلى اللون الأزرق المائي الباهت، تزداد موجة الامتنان داخلي حجمًا حتى أرى بداخلها وجوهًا، وأحداثًا، وبقايا حطام من لحظات حياتي المليئة بالأحداث.

كنت ممتنًا لكوني على قيد الحياة، لامتلاكي عائلة محبة، وليس هذا وحسب، في الواقع، ربما هم أفضل شيء لدي. هناك في رذاذ المياه الخفيف رأيت وجه أمي، وفكرت فيها وفي قدرتها التي لا توصف على التدخل في الكارثة وتولي المسؤولية وجعل الأمور أفضل. (قال لي كيث موريسون من قبل: «خلال الأربعة عقود التي اقترنت فيها بأمك، كان ارتباطها القوي بك هو محور حياتها. إنها تفكر بك طوال الوقت. في عام 1980، عندما أصبحت علاقتنا جادة، قالت شيئًا لم أنسه قط: «لن يدخل رجل أبدًا بيني وبين ماثيو؛ سيظل دومًا أهم شخص في حياتي. ويجب أن تتقبل ذلك».) وهو ما كان حقيقيًا؛ لم تمر لحظة بيننا دون أن أشعر بحبها هذا نحوي، حتى في أحلك لحظاتها. إذا كان هناك خطب بي، تظل هي أول من ألتجأ إليه وأتصل به). رأيت وجه أبي أيضًا، الوسيم بشكل ساخر، كان من الملائم أن أرى وجهه باعتباره أبي، والفتى البحار في إعلان أولد سبايس الشهير، مع أن تلك الصورة الأخيرة تلاشت منذ مدة بعيدة في الأفق. أفكر في والدي وهما صامدان معًا في الغرفة نفسها في أثناء مرضي الشديد، وما عكسه هذا من حب. لم يكونا مقترنين ببعضهما بعضًا. أتفهم ذلك الآن. لذا أسحب كل آمياتي لرجوعهما معًا. كلاهما محظوظ وتزوج الشخص الملائم له.

انعكست ظلال وجوه شقيقاتي على والدي، وكذلك أخي، كل منهم ابتسم لي، ليس فقط وأنا على سرير المستشفى، بل أيضًا في كندا ولوس أنجلوس حيث حاولت إضحاكهم بثرثري. لم يستسلم معي أي منهم، ولم يديروا ظهورهم لي أبدًا. تخيل هذا القدر من الحب إن استطعت.

أما الصور الأقل عمقًا، ولكنها ليست أقل إثارة، صورة تصدر قرقرة من المياه الهائجة: فوز فريق لوس أنجلوس كينجز في لعبة الهوكي بكأس ستانلي في عام 2012، وأنا في الصف السابع أصرخ في الصف الثاني

ليواصلوا الضغط على حدود الملعب. وفكرتي الأنانية إلى حد ما أن الرب جعلهم يجتازون إلى التصنيفات في عام واحد عندما خاضوا التصنيفات في الأيام الأخيرة فقط. كنت قد أنهيت لتوي علاقة طويلة جدًا، وأنا متأكد تمامًا من أن كينجز اجتازوا كل الطريق لأن الرب قال: «مرحبًا يا ماتي، أعلم أن هذا سيكون وقتًا عصيبًا عليك، لذا إليك شيئًا سيستمر لثلاثة أشهر ويمنحك قدرًا هائلًا من المرح والإلهاء لتصبح أفضل». بوم! وقد كان؛ بعد أن تقاتلوا في التصنيفات مثل ملائكة الموت المنتقمين، فاز فريق كينجز على ديفيلز بفارق ست نقاط في النهائيات، وكانت تلك المباراة الأخيرة في ستايلس سنتر، قنبلة مدوية حدثت في مباراة كأس ستانلي على عكس أي مباراة على مدار عقدين من الزمان، سدده لوس أنجلوس أربع مرات بعد دقيقة واحدة فقط من الشوط الثاني. كنت في كل مباراة، حتى أنني كنت أسافر بنفسني أيضًا مع بعض الأصدقاء إلى المباريات التي تلعب على أراضٍ بالخارج.

مع انزلاق حلبة تزلج تشجيعي الرياضي تحت الماء، ظهر المزيد من الوجوه: الأخوان موراي، أعز وأقدم أصدقائي، اللذين ابتكرت معها طريقة مضحكة للحديث لمست قلوب الملايين في النهاية. كريج بيركو، وهانك أزاريا، وديفيد بريسمان... كيف كان ضحكهم هو الدواء المخدر الوحيد الذي كنت أحتاجه. لكنني لم أكن لألتقي بهم أبدًا، أو أذهب إلى أي مكان، ربما، إذا لم يمنحني جريج سيمبسون دورًا في أول مسرحية لي. أنت لا تعرف أبدًا إلى أين سيقودك شيء ما بعينه... أعتقد أن الدرس هو: اغتنم كل فرصة، لأن شيئًا ما قد يأتي منها.

خرج من الموج شيء هائل وكبير، جاء من أجلي. أغمضت عيني، ثم استنشقت بعمق، وعندما فتحت عيني، كنت محاطًا بأصدقائي من «فريندز» (الذين لولاهم كنت سأقوم ببطولة شيء يسمى «نو فريندز» أو «لا أصدقاء»): ديفيد شويمر، الذي جعلنا نبقي معًا عندما كان بإمكانه أن يقوم بذلك بمفرده، ويستفيد ويجني أكثر من الباقي، وبقاره أننا يجب أن نكون فريقًا ونحصل على مليون دولار في الأسبوع. ليزا كودرو، لم تضحكني امرأة أبدًا بهذا القدر. كورتنى كوكس، التي جعلت أمريكا ترى أن شخصية جميلة جدًا مثلها بإمكانها أن تتزوج رجلًا مثلي. جيني، جينيفر، التي سمحت لي بالنظر إلى وجهها لثانيتين إضافيتين كل يوم. مات لوبلانك، الذي أخذ الشخصية الوحيدة التي لم تتطور بعد وحوّلها إلى أكثر شخصية مضحكة في المسلسل. كل واحد منهم كان لا يزال على بعد مكالمة هاتفية وحسب. في حلقة «لم الشمل»، كنت الشخص الذي بكى أكثر من أي شخص آخر منهم لأنني عرفت ما حظيت به، والامتنان الذي شعرت به آنذاك يعادل الامتنان الذي أشعر به اليوم. وراء كل هذه الشخصيات الرئيسية كان هناك طاقم بأكمله، المنتجين، الكتاب، الممثلين، الجمهور، العديد من الوجوه التي تمتزج في وجه واحد سعيد. مارتا كوفمان، وديفيد كرين، وكيفين برايت، الذين من دونهم لأصبح «فريندز» فيلمًا صامتًا. («هل يمكن أن يكون هذا الفيلم أكثر صمتًا؟»). المعجبون، الكثير من المعجبين الذين تمسكوا به وما زالوا يشاهدونه، ما زالت وجوههم تستدير نحوي مرة أخرى إلى الآن، في صمت، تمامًا مثل الرب، كما لو أنني ما زلت في إستوديو 24 في بوربانك. ضحكهم، الذي منحني هدفًا لفترة طويلة، لا يزال يتردد على جوانب الوادي، ويصل إليّ تقريبًا بعد كل هذه السنوات...

أفكر في جميع الداعمين، والرفاق المتعافين، والأطباء الذين ساعدوني في عدم إفساد الأمور في أعظم وظيفة في العالم.

أنظر إلى المياه، وأقول بهدوء: «ربما لست سيئاً تماماً بعد كل شيء»، ثم أعود لأحتسي المزيد من القهوة.

في المنزل، أجد إيرين، دائماً موجودة عندما أحتاجها. لا أخبرها بما كنت أفكر فيه بالخارج، لكن يمكنني أن أرى في عينيها أن لديها فكرة عنه، ربما. لا تقول أي شيء لأن هذا ما يفعله الأصدقاء المقربون. إيرين، إيرين، إيرين... لقد أنقذت حياتي في دار إعادة التأهيل عندما انفجرت أحشائي، ولا تزال تتقنها كل يوم. من يدري ماذا كنت سأفعل من دونها؛ لا أريد أبداً أن أعرف. أستطيع أن أقول إنها تشتاق لسيجارة، لكنها لا تنكسر. ابحث عن صديق يقلع عن شيء معك؛ ستندهش من تأثير ذلك على الصداقة.

الآن، الشمس أكثر سطوعاً، ذلك اليوم المثالي في جنوب كاليفورنيا يقترب من ذروته. بعيداً، يمكنني رؤية القوارب، إذا أغمضت عيني، أقسم أنني أرى راكبي الأمواج يتسكعون في المياه الهادئة. لا يزال هذا الامتنان يدور حولي، بل إنه أقوى الآن مع ظهور المزيد من الوجوه: شخصيات أحبها من أفلام وودي آلن، المسلسل التلفزيوني Lost، بيتر جابرييل، مايكل كيتون، جون جريشام، ستيف مارتن، ستينج، ديفيد ليترمان لاستضافتي للمرة الأولى، باراك أوباما، أذكي رجل تحدثت إليه على الإطلاق. وسط النسيم، سمعت نسخة البيانو من أغنية «نيويورك، نيويورك» لريان آدامز، والتي تم تسجيلها في قاعة كارنيجي في 17 نوفمبر 2014. أدركت مجدداً أنني محظوظ جداً لأنني كنت أعمل في هذا المجال، لم يكن لديك فحسب إمكانية الوصول إلى الأشخاص غير العاديين، بل تمكنت أيضاً من التأثير على الأشخاص كما تؤثر في أغنية Don't Give Up لبيتر جابرييل (دعنا لا نناقش ذلك الفيديو له وهو يعانق كيت بوش؛ إنه أمر لا يُحتمل). عندما أفكر في جميع الممثلين الذين ينتهزون الفرص، أجد أمامي على الفور لمحة من وجه إيرل هايتاور، نسخته الجيدة، وليست السيئة، وسرعان ما تم استبداله بوجه داعمي الحالي، كلاي، الذي تحدث لي باستخفاف أغلب الوقت. أفكر في جميع الأطباء والممرضين في المركز الطبي بجامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ومحاولاتهم لإنقاذ حياتي. لم أعد مرحباً بي في ذلك المستشفى لأنني ضُبطت أدخن هناك في المرة الأخيرة. ثم أفكر في كيري جاينور لأتأكد من أنه لن تكون هناك مرة أخيرة بيننا. بعدهم جميعاً، يأتي شح بيل ويلسون، الذي بتنظيمه لجلسات مدمني الكحوليات أنقذ الملايين من الأرواح يوماً تلو الآخر في كل مرة، والذي لا تزال منظمته ترفض إطلاق النار على الجرحى وتسمح دائماً بدخول الضوء من أجلي.

أنا ممتن لأطباء الأسنان... لا، مهلاً؛ أكره أطباء الأسنان.

في مكان ما خلفي، أعلى التل، ألتقط صوت الأطفال الذين يضحكون، الصوت المفضل لدي على الإطلاق. ألتقط مجداف البيكل بول من على طاولة الشرفة وأقوم ببعض التدريبات وألوح به قليلاً. حتى وقت قريب لم أسمع قط عن كرة البيكل بول، ولم أفكر مطلقاً في أنني سأكون جيداً بما يكفي للعب أي نوع من الرياضة مرة أخرى. لقد توقفت منذ فترة طويلة عن تحريك مضرب التنس، لكن ماتي الجديد الآن يتطلع بالفعل إلى فترة ما بعد الظهر في الريفيرا، حيث يضرب كرة البيكل بول البلاستيكية الصفراء الزاهية.

قاطعت إيرين خيالي.

قالت من باب المطبخ: «يا ماتي، دوج على الهاتف». دوج تشابين هو مدير أعماله منذ عام 1992، ومثل كثيرين في المجال، كان ينتظري بصبر دائماً حتى أخرج نفسي من حفرتي. حتى أتمكن من العمل مجدداً؟ أو كتابة عمل؟ كان دائماً يدري أن كل هذا جائز.

ترقرقت عيناى بالدموع، وأصبح البحر بعيداً كالحلم. لذا أغمضت عينيّ وشعرت بالامتنان لكل ما تعلمته من هذه الحياة؛ لندباتي في بطني والتي تبرهن أنني عشت حياة تستحق القتال من أجلها. ممتن أنني كنت قادراً على مساعدة رفيقي في أوقات المعاناة والكفاح، ويا لها من هبة!

تتلاشى أمام شبكية عينيّ وجوه النساء الجميلات الرائعات اللاتي كن في حياتي. أنا ممتن لهن مجدداً لمحاولاتهن تحفيزي ودفعي لأكون أفضل شخص قدر الإمكان. كانت حبيبتي الأولى، جابرييل بوبر، هي التي أشارت إلى أن هناك خطباً بي وأرسلتني لدار إعادة تأهيل لأول مرة. كذلك الجميلة والساحرة جايمي تارسيس لعدم سماحها لي بالاختفاء.

تريشيا فيشر، التي بدأت كل شيء معي. ووجه راتشيل. والمرضة في نيويورك التي كانت نوراً ساطعاً مشرقاً خلال أحلك أوقاتي. أنا ممتن حتى للمرأة التي هجرتني بعد أن انفتحت لها. وأنا ممتن للغاية لجميع النساء الرائعات اللاتي انفصلت عنهن لأنني كنت ببساطة خائفاً، أنا ممتن، وآسف. أوه، و متاح الآن.

لن أجلب الأخطاء التي سببها الخوف في علاقتي المقبلة، وقتما ستكون... أدرك ذلك جيداً. كانت الشمس ساطعة تماماً، حان الوقت لأن أعود للداخل في الظل. أكره مغادرة تلك الإطلالة؛ لست متأكدًا إن كان هناك من يفهم ما تعنيه لي إطلالة كهذه. لا أعود طفلاً قاصراً بلا مرافق بينما أحلق فوق العالم هكذا، على وشك أن يكون له أب أو أم مجدداً.

الحياة تستمر، كل يوم هو فرصة جديدة الآن، هو فرصة للتأمل، والأمل، والعمل، والتقدم إلى الأمام. أتساءل إن كانت الممثلة رفيعة المستوى التي عبرت عن إعجابها الشديد بنص مسرحيتي الجديد قد وافقت على تأديتها بعد...

بينما أخطو للداخل، أتوقف عند العتبة. حياتي كانت عبارة عن مسلسل مكون من تلك المحطات، بين كندا، ولوس أنجلوس، وأممي، وأبي، و L.A.X. 2194، و«فريندز»، بين التعافي والإدمان، واليأس والامتنان، والحب وفقدان الحب. ولكنني أتعلم الصبر، وأكتسب ببطء تذوق الواقع. أجلس إلى طاولة المطبخ، وأبحث في هاتفي عن اتصل. ليست الممثلة رفيعة المستوى، ولكن هناك وقت.

هكذا هي الحياة الآن، جيدة.

نظرت إلى إيرين وابتسمت إليّ.

وجودي في المطبخ يذكرني بالرب. لقد تراءى لي في مطبخ، وبالطبع، عندما فعل ذلك، أنقذ حياتي. الرب دائماً موجود من أجلي الآن، في كل وقت أخلي فيه مساري كي أشعر بروعته. من الصعب التصديق، مع كل شيء، أنه ما زال يظهر من أجلنا نحن البشر، ولكنه يفعل، وذلك هو الجوهر: إن الحب ينتصر دائماً.

الحب والشجاعة يا رجل؛ إنها أهم شيئين. لم أعد أمضي قدمًا بخوف؛ بل أمضي قدمًا بفضول. لدي مجموعة دعم رائعة من حولي، ينقذونني كل يوم، لأنني أدركت ما هو الجحيم. الجحيم له ميزات محددة، ولا أريد أيًا منها. لكن على الأقل لدي الشجاعة لمواجهةها.

من سأكون؟ أيًا ما سأكون، سأصبح رجلًا اكتسب أخيرًا طعم الحياة. حاربت هذا الطعم يا رجل. حاربت به بقوة. وفي النهاية، الاعتراف بالهزيمة كان انتصارًا في حد ذاته. الإدمان، ذلك الشيء الرهيب، أقوى من أن يُهزم وحيدًا مع أي شخص. ولكن معًا، في يوم من الأيام، ستمكن من هزيمته.

الشيء الوحيد الذي فعلته على أكمل وجه هو أنني لم أستسلم، ولم أرفع يدي قائلًا: «هذا يكفي، لا أستطيع التحمل أكثر من ذلك، لقد فزت». وبسبب ذلك، أقف الآن فخورًا، مستعدًا لكل ما سيأتي لاحقًا. يومًا ما، قد يُطلب منك أنت أيضًا القيام بشيء مهم، لذا كن مستعدًا لذلك. وعندما يحدث ذلك الشيء، فقط فكر: ماذا الذي قد يفعله باتمان؟ وافعله.

شكر وتقدير

شكرًا لوليام ريتشرت، وديفيد كرين، ومارتا كوفمان، وكيفين برايت، وميجان لينش، وكايت هويت، ودوج تشابين، وليزا كاستيلر، وليزا كودرو، وآلي تشاستر، وجابرييل آلن، وبالأخص الطيب اللامع د. مارك مورو. وجايمي تارسيس، الحلوة، جايمي الساحرة، التي سأفتقدها وسأفكر فيها حتى يوم وفاتي.